





جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة شندي

كلية الدراسات العُليا والبحث العلمي
قسم التاريخ

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ

تحت عنوان:

الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)

إعـــــداد:
نعم عبدالله محمد احمد
إشـــراف:
د. حسن عوض الكريم على

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

الآية

قال تعالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

سورة المجادلة: الآية (١١)

الإهداء

إلى من كلَّله الله بالهيبة والوقار... إلى من علمني العطاء بدون انتظار... إلى من أحمل اسمه بكل فخر... أسألُ اللهَ أن يـمد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار... ستبقى كلماتك نجوماً أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد ...

والدي العزيز؛؛؛

إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب ومعنى الحنان والتفاني... إلى بسمة الحياة وسر الوجود... إلى كنز حياتي والتي دعاؤها يطرق أبواب السماء...

أمي الحبيبة؛؛؛

إلى الذين أراهم كماءٍ في وسط الصحراء...

أشقائي الأعزاء؛؛؛

إلى كل من ساعدني وساندني وأعانني في إخراج هذا البحث

الباحثــة

الشكر والعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم... والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آل بيته وصحابته ومن والاه... وبعد:

الشكر لله عز وجل أولاً وآخراً، على ما أنعم به عليَّ من اتمام هذا البحث، والذي أرجو أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

وأود أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير، إلى كل من ساعدني بتوجيهٍ أو تشجيع أو دعاء. وأخص بالذكر الدكتور/ حسن عوض الكريم علي أحمد الذي سدَّد خطواتي، وأرشدني وقوَّم عملي، اسأل الله له الحفظ بطول البقاء ودوام العطاء. الشكر موصول أيضًا لأسرة جامعة شندي، وأخص بالشكر الأخوة بكلية الآداب قسم التاريخ. كما أتقدم بالشكر كل من أعانني في الحصول على مصادر ومراجع هذا البحث، وأخص بالذكر الأخوة بمكتبات جامعات (امدرمان الإسلامية، والنيلين، والخرطوم). كذلك أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في إعداد وإخراج هذا البحث.

المستخلص:

يدور هذا البحث عن الحياة الإجتماعية والثقافية في الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ)/(٦٦١-٧٥٠م) وهي فترة طويلة ومهمة في التاريخ الإسلامي حيث استمرت احدى وتسعين عاما (٩١ سنة تقريبًا) وتعكس هذه الدراسة أوضاع الدولة الإجتماعية والثقافية في هذه الفترة، والدور الذي قام به الخلفاء والولاة، والازدهار الذي حدث في الحياة.

اتّبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي، وذلك بوصف الحوادث التاريخية وسردها، تم جمعت مادة البحث من المصادر والمراجع العربية والرسائل الجامعية ومنها توصلت الدراسة لعدد من النتائج، وهي أن الأمويين استفادوا من الفئات التي كانت موجودة آنذاك، وخاصة الموالي، في جميع مجالات الحياة. وأيضا القيسية واليمنية التي ظهر الصراع بينهما بشكل واضح في هذة الفترة، اهتم الأمويون بالحياة الثقافية حيث انشأوا المراكز والمؤسسات الثقافية، منها المساجد والكتاتيب وقصور الخلفاء وبيوت العلماء وكان أهمها المسجد، كما اهتموا بطرق التدريس وأساليبه، واهتموا بالعلوم وترجمتها إلى اللغة العربية، وأيضا التفتوا للنشاط الأدبي في مجال الشعر والنثر، كما اهتموا بتمويل هذة النشاطات.

Abstract:

This research is about the Ummayya's state Cultural and social Life (41-132)H. (661-750) A.C. that formulates the most important period in Islamic History.

The study reflects the social and cultural situations in this era, and the role played by the Khalifes and the Walis for the prosperity of the people. The researcher employs the historical and descriptive methods in narrating historical events, data Collection from Arabic references, bibliographic, and academic dissertations.

The study resulted in that the Ummayyas benefited from different groups lived within the state, the freed slaves in particular {Mawali}. In addition the Yamans and beni Gaise where conflicts raised among them within this period.

The Ummayyas have been deeply concerned and concentrated on cultural life where as they established cultural centres and institutes such as mosques, schools, Khalifes palaces and scholars' houses.

They also concerned with teaching methods and sciences, besides translation of sciences from different languages .They have also highlighted literary activities, prose and poetry and financed such activities.

فهرس الموضوعات

المبحث الثاني: المجالس العامة و الخاصة

المبحث الثالث : الأثر الفارسي والروماني على المجتمع الأموي

الفصل الثالث: المراكز والمؤسسات الثقافية في العصر الأموي

المبحث الأول: المراكز والمؤسسات التعليمية في العصر الأموي

المبحث الثاني: طرق التدريس في المراكز والمؤسسات التعليمية

المبحث الثالث: تمويل المراكز والمؤسسات التعليمية

الفصل الرابع: مظاهر الحياة الثقافية في العصر الأموي

المبحث الأول: العلوم النقلية

المبحث الثاني: العلوم العقلية

المبحث الثالث: النشاط الأدبي في العصر الأموي

المقدمة:

حدث انقلاب عظيم في التاريخ الإسلامي وذلك بتغير نظام الحكم في الدولة الإسلامية، وانتقال الحكم إلى الأمويين بعد صراعات وفتن وحروب، ثم حدث نوع من الصلح والتراضي بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان الذي تقلد الخلافة مؤسسًا لدولة بني أمية.

إن دولة المدينة المنورة التي أسسها النبي عليه السلام، ثم حكم الخلفاء الراشدين من بعده كان حكما سابقا لزمنه، وكان فريدا في ذلك العصر، فقد أدخل مفهوم حكم الشورى، وحكم الناس بالمساواة وبالعدل الذي جاءت به الشريعة الإسلامية وطبقه النبي عليه الصلاة والسلام، ثم خلفاؤه الأربعة من بعده. إن حكم الراشدين في زهده وتواضعه ما كان يستطيع أن يقف أمام المتآمرين على الخليفة، فليس بين يدي الخليفة جيش أو شرطة تدافع عنه، وهذا الأمر أدى إلى أن يموت سيدنا عمر مقتولًا، وتمَّ أيضا قتل سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الثالث، ثم آلت الخلافة إلى سيدنا علي بن أبي طالب، ولم تستقم له الأمور في أجواء الدسائس والفتن والمؤامرات التي ظهرت، فمات مقتولًا مغدورًا. ثم يتسلم الحكم رجل أقرب إلى عقلية هذا المجتمع الجديد، فتمكن معاوية بفضل الظروف الجديدة وغلبة الجانب السياسي في إسلامه على الجانب الروحي، وكبر طموح معاوية الشخصي مع دهائه وسعة حيلته كل هذه الظروف مكَّنت معاوية بن أبي سفيان من تأسيس دولة جديدة، وكانت بلاد الشام أهلًا لأن تكون مركزًا وعاصمةً للمجتمع

الجديد، فأهلها من العرب كانوا في عهد الغساسنة يعيشون على أسلوب من الحضارة والتنعم مع الروم، وهذا يشابه ما يتطلبه العهد الجديد.

إن الدولة الأموية انبثقت من الدولة الإسلامية الأولى، وكان للجانب العقائدي والروحاني دور مهم في تأسيس دولة الإسلام الأولى، وقد ارتبط ذلك بتمازج الجانب السياسي والديني بحيث تسير السياسة على مبادئ الدين، لكن الدولة الأموية اعتمدت على السياسة غير المقيدة بالدين، بل بمصلحة حكام بني أمية. وقد استعانوا بالفئات الأرستقراطية أو الأشراف في الفترة السفيانية وبداية الفترة المروانية، كما اعتمدت على قواد الجيوش من القبائل اليمنية أو القيسية.

وقد حافظت الدولة الأموية على عدة مؤسسات ورثتها عن الخلافة الراشدة وقامت بتطوير مؤسسات أخرى،منها المؤسسات الثقافية والتي أدت إلى نشاط وحيوية الحركة الفكرية، كما قاومت الدولة الأموية كل الحركات المعارضة لها والمؤامرات الخارجية.

وشهدت الدولة الأموية تطورات كبيرة على مستوى هياكل الدولة إلى جانب التطورات الإجتماعية والثقافية.

جاء عنوان هذا البحث تحت: الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م).

أهمية البحث:

إن موضوع هذه الدراسة يتناول الحياة الاجتماعية والثقافية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) في فترة طويلة ومهمة من التاريخ الإسلامي، والأهمية تأتي من دور الدولة الأموية في التاريخ الإسلامي،والتغيرات والتطورات التي أحدثتها.

أهداف البحث:

معرفة الحياة الإجتماعية والثقافية في الدولة الأموية عن طريق معرفة الفئات المكونة للمجتمع، وأنواعها، وعلاقتهم مع الخلفاء، والتعرف على العادات والتقاليد في المجتمع، ومدى تأثير المجتمعات الجديدة في الدولة الأموية. وأيضا الوقوف على أبرز ملامح النظام الثقافي من خلال العوامل التي أثرت على الحركة العلمية ومعرفة العلوم التي كانت تدرس في تلك الفترة.

منهج الدراسة:

اتَّبع الباحث في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي، وذلك بجمع المعلومات من المصادر والمراجع ووصف الحوادث التاريخية وسردها وتحليها.

أهم مصادر ومراجع البحث:

قام الباحث بجمع مادة البحث من عدد من المصادر والمراجع، ومن المصادر التي استفاد منها الباحث كتاب العقد الفريد لأحمد محمد الأندلسي (ابن عبد ربه) الذي استقينا منه الموضوعات الاجتماعية، إذ توجد به مادة علمية خصبة ومفيدة في هذا المجال وكذلك كتاب تاريخ الطبري، للطبري، الذي يعرِّف بالدولة الأموية منذ بداياتها إلى

سقوطها، متناولًا كل الجوانب. وأيضًا كتاب مقدمة ابن خلدون وتاريخه والذي افادنا في الحياة الثقافية ومجال العلوم. من أهم المراجع التي استفاد منها الباحث كان كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، والذي احتوى على مادة علمية غزيرة حول التعليم والمناهج التعليمية. وكتاب تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي لمؤلفه علي حسن الخربوطلى والذي استفدت منه في الجوانب الاجتماعية (العادات والتقاليد وغيرها)، وكتاب تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، وقد استفدت منه في النشاط الأدبي في العصر الأموي. وكتاب الخوارج (تاريخهم، فرقهم، وعقائدها) لأحمد عوض أبو الشباب والذي يحتوي على مادة كثيفة عن الخوارج. وكتاب تاريخ الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ /٦٦١-٧٥٠م) لعمر بن سليمان العقيلي، وقد استفدت منه في المراكز ومؤسسات الثقافية التي تحدثت عنها بالتفصيل. وأيضا كتاب التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الإسلام، لشحادة على الناطور، حيث أفادني في تأثيرات المجتمعات (الفارسية والرومانية) على الدولة الأموية.

الدراسات السابقة:

أهم الدراسات السابقة التي استفاد منها الباحث تتمثل في التعليم في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) وهي رسالة ماجستير منشورة/ جامعة الشارقة، استفدت منها في مراكز التعليم وطرق التدريس. وأيضا رسالة ماجستير بعنوان دور الموالي في سقوط الدولة الأموية جامعة قاريوس (بنغازي – ليبيا) وقد أفادتني في دور الموالي في العصر الأموي. أيضا رسالة دكتوراة تحت عنوان مظاهر الحياة الإجتماعية والعلمية في

العراق ابان الدولة الأموية، جامعة امدرمان الإسلامية حيث استفدت منها في جوانب الحياة الإجتماعية.

هيكل البحث:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وقائمة ملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

بدأ البحث بمقدمة تتضمن أهمية البحث وأهدافه ومنهجيته، والمصادر والمراجع والدراسات السابقة.

وكان التمهيد عبارة عن التعرف على نسب الأمويين، ونبذه مختصرة عن الحالة السياسية للدولة الأموية منذ البداية إلى السقوط، ودور كل خليفة.

جاء الفصل الأول بعنوان فئات المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، الذي تم تقسيمه إلى نوعين: النوع الأول هم الفئات القبلية والتي ضمت الأمويين والحجازيين والقيسية واليمانية والموالي. أما النوع الثاني فهي الفئات المذهبية وتضم أهل السنة والمعتزلة والخوارج والشيعة وأهل الذمة.

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان مظاهر الحياة الإجتماعية في العصر الأموي، وقد تناول العادات والتقاليد والمجالس والخاصة، وكذلك بيَّن دور تأثيرات المجتمعات الفارسية والرومانية على المجتمع الأموي.

الفصل الثالث جاء تحت عنوان المراكز والمؤسسات الثقافية في العصر الأموي وتحدثت فيه عن الكتاتيب والمساجد وقصور الخلفاء ومنازل العلماء، وأيضا اشتمل على طرق التدريس في هذه المراكز والمؤسسات وأنواع التمويل التي كانت تأتي إليها.

أما الفصل الرابع فهو مظاهر الحياة الثقافية في العصر الأموي، وقد اشتمل على العلوم النقلية والعلوم العقلية والنشاط الأدبي. ثم انتهي البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد

نسب بني أمية:

ينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف هذا يلتقي بنو أمية مع بني هاشم، وكان بنو عبد مناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة، لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش، وجميع قريش تعرف ذلك، وتسلم لهم الرياسة عليها.

– يقول ابن خلدون: "كان لبني عبد مناف في قريش جمل من العدة والشرف لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش، وكان فخذاهم بنو أمية وبنو هاشم هما جميعًا ينتمون لعبد مناف، وينتسبون إليه، وقريش تعرف ذلك وتسلم لهم الرياسة عليهم، إلا أن بني أمية كانوا أكثر عددًا من بني هاشم وأوفر رجالًا، والعزة إنما هي بالكثرة، قال الشاعر: إنما العزة للكاثر".

– ولعل ما يشير إليه ابن خلدون من تفوق بني أمية قد اتضح قبيل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لما مات عبد المطلب بن هاشم الذي ورث شرف أبيه وبرز نجم أبي سفيان بن حرب، فذلك مايبدو من هذا الوصف الدقيق لطبيعة العلاقة بين بني أمية وبني هاشم، والذي جاء على لسان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لما سئل: أيكم أشرف أنتم أم بنو هاشم؟ فأجاب: كنا أكثر أشرافًا وكانوا هم أشراف، وكان فيهم عبد المطلب ولم يكن فينا مثله، فلما صرنا أكثر عددًا وأكثر إشرافًا، ولم يكن فيهم واحد

كواحدنا، فلم يكن إلا كقرار العين، قالوا: منا نبي فجاء نبي، لم يسمع الأولون والآخرون بمثله، محمد صلى الله عليه وسلم، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف؟.[(١)]

قيام الدولة الأموية:

بايع أمير المؤمنين علي أربعون ألفا من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل الشام، فبينما هو يتجهز للمسير قُتِلَ عليه السلام وإذا أراد الله امرا فلا مرد له، فلما قتل سنة ٤٠هجرية /٦٦٠م وبايع الناس ولده الحسن، وبلغه مسير معاوية فيأهل الشام إليه، فتجهز هو والجيش الذين كانوا قد بايعوا عليًا، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية، وكان قد نزل مسكن، فوصل الحسن المدائن، وجعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مقدمته في أثني عشر ألفا، وقيل: بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله بن عباس، فجعل عبد الله على مقدمته في الطلائع قيس بن سعد بن عبادة. فلما نزل الحسن المدائن نادى منادٍ في العسكر: ألا إن قيس بن سعد قُتِل فانفروا، فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطًا كان تحته، فازداد لهم بغضا ومنهم ذعرًا، ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان الأمير على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، فقال له المختار وهو شاب: هل لكفي الغنى والشرف ؟ قال وماذاك؟ قال: تستوثق من الحسن وتستأمن به

---

(١) على محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، الجزء الأول، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

إلـى معاويـة، فقـال لـه عمـه: عليـك لعنـة الله أثـب علـى إبـن بنـت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم واوثقـه؟ بـئس الرجـل أنـت فلمـا رأى الحسـن تفـرق الأمـر عنـه كتـب إلـى معاويـة وذكـر شـروطًا، وقـال لـه: "إن أنـت أعطيتنـي هـذا فأنـا سـميع مطيـع وعليـك أن تفـي بـه". وقـال لأخيـه الحسـين، ولعبـد الله بـن جعفـر: إننـي قـد راسـلت معاويـة فـي الصـلح فقـال لـه الحسـين: أنشـدك الله أن لا تصـدق أحدوثـة معاويـة وتكـذب أحدوثـة أبيـك. فقـال لـه الحسـن: اسـكت أنـا أعلـم بـالأمر منـك. فلمـا انتهـى كتـاب الحسـن إلـى معاويـة أمسـكه، وكـان قـد أرسـل عبـد الله بـن عـامر وعبـد الـرحمن بـن سـمرة بـن حبيـب بـن عبـد شـمس إلـى الحسـن قبـل وصـول الكتـاب ومعهمـا صـحيفة بيضـاء مختـوم علـى أسـفلها. وكتـب إليـه أن إشـترط فـي هـذه الصـحيفة التـي ختمـتُ أسـفلها مـا شـئتَ فهـو لـك، فلمـا أتـت الصـحيفة إلـى الحسـن اشـترط أضـعاف الشـروط التـي سـأل معاويـة قبـل ذلـك، وأمسـكها عنـده، فلمـا سـلَّم الحسـن الأمـر إلـي معاويـة و طلـب أن يعطيـه الشـروط التـي فـي الصـحيفة التـي خـتم عليهـا معاويـة، فـأبى ذلـك معاويـة وقـال لـه: قـد أعطيتـك مـا كنـت تطلـب، فلمـا اصـطلحا قـام الحسـن فـي أهـل العـراق فقـال "ياأهـل العـراق: إنـه سـخي بنفسـي عـنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي؟".[1]

(١) عزالدين أبي الحسن على بن ابى كرم (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، الجزء الثالث دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧ م/ ١٤٢٨هـ، ص٣٥٣ -٣٥٤.

- فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم، وان يكون خراج دار أبجد له، وأن لا يسب علي وهو يسمع، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية ليحقن الدماء بين المسلمين، فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية.(١)

- سلَّم الحسن الأمر إلى معاوية، لأنه لما راسله معاوية فيتسليم الخلافة إليه خطب الناس، فحمد الله واثنى عليه وقال: "إنا والله مايثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين، قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر. ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولانصفة فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلي الله عز وجل بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضا" فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية وأمض الصلح.

- فلما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال: "أيها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا". وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس أحد إلا بكى حتى سمع

---

(١) أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ابن كثير) البداية والنهاية، الجزء الثامن، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ /٢٠٠١ م.

نشيجه، فلما ساروا إلى معاوية في الصلح فاصطلحا على ما ذكرناهوسلم إليه الحسنُ الأمر.

وكانت خلافة الحسن على قول من يقول: إنه سلم الأمر في ربيع الأول خمس أشهر ونحو نصف شهر، وعلى قول من يقول: في ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيئًا، وعلي قول من يقول: في جماي الأول يكون سبعة أشهر، والله تعالى أعلم. ولما اصطلحا وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس.[١]

المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين، ولهذا يقال له: عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على معاوية.[٢]

وبذلك قامت دولة الخلافة الأموية وأضحى معاوية خليفة الأمة الإسلامية. وقد دام حكمها إحدى وتسعين عامًا هجريًا، تسعًا و ثمانين عامًا ميلاديًا (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)، تولي الخلافة خلالها أربعة عشر خليفة ،أولهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان بن محمد الجعدي. [٣]

تعتبر الدولة الأموية تاني خلافة في التاريخ الإسلامي، وهي أكبر دولة في تاريخ المسلمين، وإحدي أكبر الدول الحاكمة في التاريخ، وإتخذت الدولة الأموية من مدينة دمشق عاصمة لها، حيث كانت الشام إحدى الولايات الهامة في الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، بل كانت لقربها من بيت المقدس، وتاريخهم القديم إحدى المراكز

---

(١) ابن الاثير، مصدر سابق، ص٣٥٤ -٣٥٥.

(٢) ابن كثير، مصدر سابق، ص١٧.

(٣) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، الطبعة السابعة ١٤٣١هـ/٢٠١٠، ص١٥.

الحضارية في هذه الإمبراطورية، وكان العرب قبل الإسلام ينظرون إليها نظرة كبيرة لما تحتويه من حضارة، فضلًا عما بها من خيرات وخضرة وأسواق، وتعتبر مدينة دمشق المدينة الأولى في بلاد الشام، فهي قاعدتها ومدينتها العظمى، ولعبت دورًا كبيرًا في تاريخ المنطقة، لذلك أتخذها الحاكم الروماني قاعدة حكمه. ولما دخل الإسلام الشام، ودمشق خاصةً حافظوا عليها، واحتفظ الولاة لها بميزاتها، وظل معاوية الوالي يعتني بها طوال فترة ولايته عليها، وأقام علاقات وطيدة مع سكانها، وعرف أهمية القبائل اليمنية في دمشق والشام، فتزوج من احداها وهى بني كلب، وأنجب من زوجته الكلبية إبنه يزيد، فضمن ولاءهم لأبنائه من بعده، ولأن الخؤولة من أبرز ما تتحزب له القبائل العربية هذا فضلًا عن أن التصاهر عند العرب بمثابة التحالف السياسي، وقد كان معاوية ذكيا في اعتماده على القبائل اليمنية بدمشق والشام. ولما قامت الدولة الأموية، رأى معاوية أن الدولة الإسلامية توسعت وامتدت شرقًا وغربًا فلم يجد أفضل من دمشق عاصمة للخلافة الأموية، وذلك لأنها تقع بين جزئي العالم الإسلامي، الجزء الشرقي الذي يشمل العراق وفارس والجزء الغربي الذي يشمل مصر والمغرب، فضلًا عن أن القبائل التي ارتبطت به أيدته ودعمت موقفه وصارت يده الطولى في تدعيم حكمه، أي أنها كانت القوة العسكرية والسياسية التي استند عليها الحكم والدولة الأموية. كما قدم له سكان البلد ما يمكن أن يقدموه من خبرة وعمل إداري، فقد وجد معاوية في دمشق تقاليد عريقة في الحكم والإدارة، كما وجد جهازًا إدراريًا متمرسًا ساعده على تأسيس مهمته في فترة التأسيس هذه التي لا تحتاج الإدارة الطيبة فحسب، بل الخبرة والمران واللذين وفرهما له

جهاز الموظفين الذين كانوا يعملون في ظل الإدارة البيزنطية في الميدانين الإداري والمالي.[1]

أدخل الأمويين مبدأ الوراثة في الحكم، لقد تخلى معاوية عن القواعد التي جرى عليها اختيار الخلفاء الراشدين من قبله.[2] وكانت وجهة نظر معاوية وأنصاره في إنشاء نظام وراثي وتعيين ولي للعهد في حياة سلفه، هي الرغبة في المحافظة على الاستقرار، وتجنيب الأمة ما عانته من تمزق وفرقة.

وكانت هناك عقبات اعترضت معاوية ولكن بالرغم من ذلك استطاع الحصول على البيعة لإبنه يزيد وبهذا تم تحويل الخلافة إلى سلطة بمبدأ التوريث، وصار معاوية بذلك مؤسس الدولة الأموية، وأول من طبق الوارثة في الخلافة الإسلامية.[3]

من أهم أعمال خلفاء بني امية نقل معاوية بن أبي سفيان الخلافة من الكوفة إلى دمشق واصبحت منارة للعلم والعلماء، واهتم بالعمارة وبناء المساجد، وبنى أول أسطول بحري اسلامي، وقام بالتصدي للخوارج، وفتحت العديد من الدول في عهده منها جزيرة رودس وبلاد السند، وألغى نظام مجلس الشورى، وأنشأ ديوانًا جديدًا وهو ديوان الخاتم ونظام البريد، ونظامًا للشرطة لحمايته وحراسته.

---

(١) على محمد الصلابي، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٢) محى الدين بن عبد حسين عرار، الدولة الأموية نشأتها وأسباب سقوطها، دار الإعصار العلمي، الطبعة الأولى ٢٠١٧م/١٤٣٨هـ، ص٢٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣.

فـي عهـد عبـد الملـك بـن مـروان قـام بتنظـيم شـؤون الدولـة، وتبنـى حركـة التعريـب وبنـاء مسـجد قبـة الصـخرة وإدخـال نظـام التجنيـد الإجبـاري. اهـتم الوليـد بـن عبـد الملـك ببنـاء المسـاجد فبنـى الجـامع الأمـوي الكبيـر فـي دمشـق، وقـام بإعـادة بنـاء وتوسـيع المسـجد النبـوي فـي المدينـة المنـورة مـن جميـع الجهـات وبنـاء المسـجد الأقصـى فـي القـدس، وجـرت فـي عهـده أكبـر الفتوحـات الأمويـة فاسـتكمل فـتح المغـرب، وفتحـت الأنـدلس والسـند بقيـادة محمـد بـن القاسـم الثقفـي، وبـلاد مـا وراء النهـر. اهـتم عمـر بـن عبـد العزيـز العمـل بالكتـاب والسـنة، ونشـر العلـم، فقـد رأى أن مـن أهـم واجباتـه أن يعـرف رعيتـه بمبـادئ ديـنهم، وفـي عهـده رفـع الظلـم عـن النـاس ونشـر العدالـة بيـنهم، وعـم فـي عهـده الرخـاء والاسـتقرار، وإزالـة كـل عمـل لا يسـاير روح السـلام. هشـام بـن عبـد الملـك فـتح فـي عهـده جنـوب فرنسـا، حيـث امتـدّت الدولـة مـن أطـراف الصـين شـرقًا إلـى جنـوب فرنسـا. فتحـوا الكثيـر مـن الـبلاد مـن الصـين شـرقًا إلـى الأنـدلس غربًـا فاصـبحت أكبـر دولـة فـي التـاريخ الاسـلامي، حيـث سـاهموا بنشـر الـدين الاسـلامي بشـكل واسـع. اهتمـوا بالحيـاة الاقتصـادية فـي جميـع الـبلاد الإسـلامية وقـاموا بتعـين ولاة وحكـام. اهتمـوا بـالعلم والفقـه والطـب وقـاموا ببنـاء المشـافي وفتحـوا المكتبـات وصـكوا أول عملـة اسـلامية. اتخـذ أكثـر الخلفـاء الأمـويين الكتـاب والسـنة مرجـع لهـم فـي حكمهـم، فعملـوا علـى المسـاواة والعدل بين الناس.(١)

---

(١) ويكيبيديا موسوعة وزي وزي، خلفاء الدولة الأموية وأهم أعمالهم، عن طريق الشبكة العنكبوتية الإنترنت.

أهم أسباب سقوط الدولة الأموية:

علي الرغم من كثرة الإنجازات التي حققها الخلفاء الأمويين، الإ أنها مرت بفترة اضطرابات ادت إلي سقوطها ومنها التالي:

١- **الثورة المضادة على حركة عمر بن عبد العزيز الإصلاحية:** إذ أخذت الخلافة الأموية تتراجع عن الغاية التي قامت من أجلها الدولة في الإسلام وهي حراسة الدين، فنهض عمر بهذا المبدأ، ورفع لواءه وأعلى شأنه وضبط أمور الدولة بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين، وأصلح الانحرافات التي وقع فيها الخلفاء الأمويون الذين سبقوه، إلا أن الخلفاء الأمويين الذين جاءوا بعد عمر بن عبدالعزيز لم يواصلوا السير على الطريق ذاته.

٢- **الظلم:** إن الظلم في الأمة والدولة يعجل في هلاكها، بما يحدثه فيها من آثار مدمرة تؤدي إلى هلاكها واضمحلالها خلال مدة معينة، وقد حدثت مظالم كثيرة في عهد الأمويين، فقد سفكوا الدماء بغير حق، وقتلوا الحسين بن علي رضي الله عنه، وحاصروا الكعبة وقتلوا عبد الله بن الزبير. وقد فرضوا زيادات في بعض الضرائب المقررة وانشأوا ضرائب جديدة لم تكن معروفة.(١)

٣- **الترف والانغماس في الشهوات:** ومن خلفاء بني أمية الذين ظهر فيهم الترف والميل إلى الدعة والاهتمام بالغواني يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد،

---

(١) على محمد الصلابي، مرجع سابق، ص ٧٣١ ت٧٣٤.

وقد سئل أحد أمراء بني أمية عن سبب زوال ملكهم فقال: شغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهماتنا.

٤-**تعطيل نظام الشورى:** الشورى هي استطلاع راي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها وأتخذ المسلمون الشورى أصلًا وقاعدة من أصول الحكم وقواعده، لكن خلفاء بني امية قاموا بتعطيل هذا النظام نتج عنه بروز العديد من حركات المعارضة والتي استنزفت جسد الأمة، بل إن بعضها تحول إلى مذهبي.[١]

٥- **نظام ولاية العهد:** أوجد هذا النظام البغض والكراهية ليس لدى جماهير المسلمين فحسب، بل حتى لدى أهل البيت الأموي نفسه، ففضلا عن أن الفكرة شغلت معاوية كما شغله تنفيذها، إلا أنها جلبت على الخلافة الأموية كلها المشاكل التي أسهمت في كراهية الناس لها، وسعيهم في القضاء عليها، وأسهمت في خلق التفكك وإضعاف التضامن في البيت الأموي.[٢]

٦- **الثورات ضد النظام الأموي:** من أهمها ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه، حيث أنها تقف من ضمن المعالم البارزة التي أسهمت بطول الزمن في القضاء على الأمويين وعلى دولتهم، وكذلك ثورة زيد بن على بن الحسين وقد

---

(١) على محمد الصلابي، مرجع سابق، ص ٧٣٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٣٧.

استفاد العباسيون من هذه الثورة في حشد الأنصار ضد الأمويين. وأيضا ثورات الخوارج.

٧- **العصبية**: سعى معاوية المؤسس منذ البدء إلى تلافي هذه المعضلة ونجح في ذلك إلى حد كبير، ولكن أعقابه، وخاصة السلالة المروانية، التي تسلمت السلطة عام ٦٤هـ وعلى رأسهم مروان بن الحكم قد مارس معظم خلفائها سياسة قبلية واضحة، وأخذت تتصاعد يوما بعد يوم، حيث مثلَت أحد العوامل الخطيرة في تدمير الوجود الأموي.

٨- **الموالي**: وكان للموالي دورهم السياسي والعلمي في الدولة الأموية فقد قاموا بأعمال الفتوحات الواسعة كقادة للجيش، أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير، كما قاموا بتنظيم الدواوين وتعريبها، ومنهم سرجون الذي كان نصرانيا يكتب لمعاوية. وفي الحقيقة لم تكن هنالك سياسات عامة للدولة لاضطهاد الموالي أو التعصب ضدهم، فهذه النظرة المتعالية لم تكن نظرة العرب جميعهم، بل كانت نظرة البدو الذين لم يفهموا الإسلام، ونظرة بعض الولاة الذين كان يستفزهم عداء الموالي للدولة.[1]

٩- **النزاع الداخلي بين الأسرة الحاكمة**: ومن أسبابه ضعف الوازع الديني عند بعضهم، والتكالب على المصالح الدنيوية، فبدأ الخلاف بتولي الوليد بن زيد الخلافة، وبذلك خرجت الخلافة من عبد الملك إلى أحفاده، مما أثار الحسد بين

(١) على محمد الصلابي، مرجع سابق، ص٧٣٨ -٧٤٣.

الأحفاد، وكان أكثرهم حسدًا أبناء الوليد بن عبد الملك، إلى أن قام يزيد بقتل ابن عمه الوليد وتولى الخلافة، فأدى ذلك إلى رفع أستار المهابة عن الدولة، ودفع بها إلى السقوط.[١]

(١)على محمد الصلابي، مرجع سابق، ص ٧٤٨.

الفصل الأول

فئات المجتمع الإسلامي في العصر الأموي

المبحث الأول: أهم فئات المجتمع الحجازي
المبحث الثاني: الفئات المذهبية

المبحث الأول

أهم فئات المجتمع الحجازي

ينقسم العرب إلى قسمين أو طبقتين هما:

الطبقة الأولي العرب البائدة ويسمونها العرب العاربة، أما الطبقة الثانية فهي العرب المتعربة أو المستعربة، وهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم، والعرب العاربة سموا بذلك لرسوخهم في العربية، ويعتبرهم المؤرخون أقدم سكان جزيرة العرب كما يعدونهم ساميين من نسل ارم بن سام.

تسمى قحطان عربًا متعربة هم (اليمنية)، وعدنان عربًا مستعربة (القيسية).[١] كان موطن شعب قحطان بلاد اليمن، وهو ينسب إلى قحطان بن عابر بن شالح الذي يقال أنه أول من ملك أرض اليمن وليس التابع.[٢] وأطلق على نسل قحطان اليمنيين أو القحطانيين، بينما أطلق على نسل إسماعيل بن إبراهيم العدنانيين أو النزاريين، وصار هذان اللفظان يرادفان عرب الجنوب وعرب الشمال.

وكان يعرب الذي خلف قحطان أول من اتخذ العربية لسانًا، ومن هنا أطلق على القحطانيين العرب المتعربة، أما العدنانيون فيقال لهم العرب المستعربة، لأن إسماعيل كان يتكلم العبرانية، فلما نزلت جرهم من القحطانية بمكة وسكنوا مع إسماعيل وتزوج

---

(١) جرحي زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة مصر، ١٩٩٢م، ص٣٧.

(٢) اسكندر آغا ابكاريوس، نهاية الأدب في أخبار العرب، مطبعة الوطنية، بيروت، ١٨٥٢م، ص٦.

منهم، وتعلم هو وأبناؤه العربية فسموا المستعربة، وهم جمهور العرب من البدو والحضر الذين يسكنون أواسط جزيرة العرب وبلاد الحجاز إلى بادية الشام.[١]

وكان أهل الجنوب يعيشون عيشة قرار، أما أهل الشمال فغلبت عليهم البداوة والارتحال. وكانت لغة اليمنيين تخالف لغة العدنانيين في أوضاعها وتصاريفها، وكما كان لسان أهل الجنوب يشمل لهجات شتى أهمها: المعينية والسبئية والقتبانية والأوسانية والحضرمية، وهي قريبة من اللهجات الحبشية السامية. كذلك كان لسان أهل الشمال يشمل أيضًا عدة لهجات نستطيع أن نميز بين أربعة أنواع منها وهم: اللحيانية، الثمودية، الصفوية، والنبطية.

وتمتاز اللهجات الثلاث الأولى بخطوطها المشتقة من الخط العربي الجنوبي بخلاف اللهجة الرابعة المنقوشة بخط آرامي، كما تمتاز اللحيانية والثمودية أيضًا باشتمالهما على كلمات وصيغ لا تختلف كثيرًا عن اللغة العربية الفصحى، على حين أن اللهجة الرابعة هي لهجة آرامية اختلطت بها صيغ وكلمات عربية.[٢]

لقد سبق عرب الجنوب عرب الشمال في إنشاء حضارة خاصة، بينما ظل معظم الشماليين يعيشون في بيوتهم التقليدية المصنوعة من الشعر، وينتقلون من مكان إلى آخر طلبًا للعيش والحياة، ولم يظهر عرب الشمال على المسرح العالمي إلا ببزوغ شمس

---

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الأول، دار الجيل بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٢م، ص٢٥.

(٢) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام: الجاهلية، الدولية العربية، الدولة العباسية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ص٢٨.

الإسلام الذي تعتبر أرضهم مهده الأول. هناك فرق بين عرب الشمال وبين عرب الجنوب من ناحية الأجناس: فعرب الشمال ينتسبون لجنس البحر الأبيض المتوسط، أما عرب الجنوب فينتسبون للجنس الألبي المسمى أيضًا بالجنس الحبشي أو العبري.

كان العداء مستحكما بين العدنانيين والقحطانين منذ القدم حتى أن كلا منهم اتخذ لنفسه شعارًا في الحرب يخالف شعار الآخر، فاتخذ المضريـون العمائم الحُمر والرايات الحمر، واتخذ أهل اليمن العمائم الصفر والرايات الصفر، وكان توالي الحوادث والوقائع الحربية يزيد في العداء بينهم، ولم يزل الاختلاف واضحًا بينهم على الرغم من محاولة الإسلام توحيد الأمة العربية وجمع شملها تحت لوائه، وقد كان لهذا الاختلاف الشأن الكبير في إضعاف معنويات الدولة العربية.[١]

١/ الحجازيين:

الحجاز منطقة تاريخية وتعد أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية الجغرافية الخمسة ويقع في الجزء الشمالي الغربي والجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية والحجاز في الأصل عبارة عن سلسلة جبلية ممتدة على طول ساحل البحر الأحمر في الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية.[٢] وسميت بالحجاز لأنها تحجز نجد عن تهامة. كما أن الأصمعي عندما قام بوصف الحجاز قال انها تبدأ من تخوم مدينة صنعاء إلى تخوم الشام، وقال

---

(١) علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، قصه الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص١٥.

انها سميت بهذا الإسم لأنها تحجز نجد عن تهامة، ومن هنا فمكة هي مدينة تهامية، أما المدينة المنورة فهي من المدن الحجازية.[١]

طبقات المجتمع في الحجاز:

يتكون المجتمع في الحجاز قبل الفتوحات الإسلامية من العرب، وهم معظم السكان الأصليين، ويليهم الموالي ثم الرقيق.

أ/ القبائل العريبة: كانت القبائل العربية هي الركيزة الأولى للمجتمع لأنها تمثل الغالبية العظمى من السكان، وكانت كل قبيلة تضم عددًا من العشائر، التي تشتمل كل منها على عدد من الأسر.

لقد كانت الروابط بين أفراد الأسرة الواحدة أقوى من الروابط التي تربطها بالعشيرة، كما أن الروابط بين أبناء العشيرة الواحدة أقوى من الروابط بين عشائر القبيلة.[٢]

وتنقسم القبائل إلى فروع، تدعى العمائر والبطون والأفخاذ والعشائر والفضائل والأرهاط والأحياء.[٣]

ساعد استقرار القبائل في المدن بالحجاز والعراق إلى الحد من غلواء العصبية القبلية وإن لم تقض عليها تمامًا. فاندماج القبائل في المجتمع والمساهمة في الحياة الاقتصادية، واندماج أفراد القبائل مع آخرين ليسوا من عشائرهم، إلى جانب ما دعا إليه الدين

---

(١) الشيخ الإمام شهاب أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر بيروت، ص٢١٩.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٨١م، ص١٠٣.

(٣) عبد الله عبد الجبار، مرجع سابق، ص٨٨.

الإسلامي الحنيف من مساواة وأخوة بين جميع المسلمين فأدى هذا إلى إضعاف العصبية القبلية.[1]

جاءت الفتوحات الإسلامية فتغيرت التركيبة القبلية في الحجاز نظرًا لنزوح كثير من القبائل للمشاركة في هذه الفتوحات الإسلامية، واستقرار بعضها في الأمصار التي تم فتحها.[2] كذلك اختلطت مواطن القبائل، وأصبحت الفوارق بين منازل كل قبيلة وأخرى ضعيفة.

ولكن ظلت الروابط القبلية في بوادي الحجاز أقوى مما هي عليه في حواضر المدن، فكان لرئيس القبيلة السلطة العليا على أفراد قبيلته، وكان لكل قبيلة ديوان خاص لدى الدولة، فيه أسماء أفرادها ومواليهم. وأول من فرض الديوان على أساس القبائل كان هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمر ذلك في العصر الأموي.[3]

إن أهل البوادي قد كانوا يعيشون على طلب الكلأ والعشب والماء، وينتقلون من مكان إلى آخر حول المراعي الخصبة لرعى أنعامهم، وظلت حياتهم بدائية يكتفون بما تنتجه إبلهم وأغنامهم من لبن ولحم وصوف، وكانوا أحيانًا ينزلون أسواق المدن لبيع ما

---

(١) أبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٧١م، ص٥.

(٢) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، شرح وتعليق محمد حسن شمس الدين، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص٣٦٩.

(٣) أبي محمد علي الأندلسي، مصدر سابق، ص٥.

ينتجونه، وشراء ما يحتاجون إليه من الأقمشة والتمر.[1] في العصر الأموي استمرت هجرة القبائل من الحجاز إلى الأمصار الإسلامية ولكن لم يقطعوا صلتهم بالحجاز.[2]

أهم قبائل الحجاز هي قريش وهذيل وجهينة: فقبيلة قريش من القبائل التي انتهى إليها الشرف في الجاهلية، ثم بمبعث النبي القرشي عليه السلام زادت عزًا وشرفا، فقد كان لتلك القبيلة مكانة سامية في نفوس العرب عامة، لذلك كان للقرشيين الأفضلية في تقلد المناصب العليا في الدولة الأموية، فإلي جانب أنها القبيلة التي خرج منها الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أن بني أمية ينتمون إليها، فهم أبناء عمومته صلى الله عليه وسلم.[3]

أما قبيلة هذيل فقد تفرقت في الأمصار الإسلامية خلال الفتوحات، ولكن يبدو أن هذه الهجرة لم تؤثر على معظم أفراد القبيلة الذين ظلوا يعيشون في مساكنهم القديمة منذ العصر الجاهلي.[4]

أما قبيلة جهينة فهي من أعظم القبائل وأكثرها ثباتًا في مواطنها القديمة، ولكن بعد الفتوحات الإسلامية هاجر بعضهم إلى مصر واستقروا هنالك.[5]

---

(١) عبد الله عبد الجبار، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) عبد الله بن سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١١١.

(٣) عبد الله عبد الجبار، مرجع سابق، ص١٢١.

(٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٦٩.

(٥) القلقشندي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٣٦٨.

من القبائل التي سكنت الطائف قبيلة ثقيف بن قيس بن منبه بن بكر بن هوازن ومن هذه القبيلة خرج أهم ولاة الأمويين كالحجاج بن يوسف الثقفي، ومحمد بن القاسم الثقفي.[(١)] وأيضًا قبيلة بني عذرة فقد سكنت وادي القرى، وإلى هذه القبيلة ينسب الحب العذري ومنهم عروة بن حزام وجميل بثينة اللذان عاشا في العصر الأموي.[(٢)]

ب/ الموالي:

تعريف الموالي والفرق بينهم وبين الرقيق:

الموالي ومفردها مولى، وتعني كل من أُعتق ونال حريته وظل على ولائه لمعتقه وكل من دخل في الإسلام من الأعاجم. هذا وترجع كثرة الموالي في الحجاز في أواخر عهد الخلفاء الراشدين وفي العصر الأموي إلى كثرة الرقيق الذي تدفق على الحجاز أثناء الفتوحات الإسلامية، وإلى الثراء العريض الذي تمتع به أهل الحجاز واحتياجهم لاستخدام الرقيق في أعمالهم الخاصة، لذلك توافد تجار الرقيق إلى الحجاز لبيع رقيقهم مما أدى إلى كثرته.[(٣)] لقد شارك الموالي في الحياة السياسية في الحجاز، ففي سنة ٦٣هـ اشترك الموالي في معركة الحرة مع أهل المدينة ضد الأمويين بقيادة يزيد بن هرمز، وقد قتل عدد كبير منهم. كما اشترك موالي عبد الله بن الزبير معه في الحرب

---

(١) ابن حزم الأندلسي، مصدر سابق، ص٢٦٧.

(٢) القلقشندي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٦٧.

(٣) أبي عبد الله الإمام مالك بن انس الأصبحي، المدونة الكبرى، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٣، الجزء الأول، ص٢٧١.

ضد الأمويين، أما موالي الأمويين فقد حاربو معهم ضد ابن الزبير.[1] وشارك موالي أهل المدينة في معركة قدير ضد الخوارج بقيادة أبي حمزة الشاري فقتل عدد كبير منهم.[2]

شارك الموالي أيضًا في الحياة الاقتصادية، حيث كان المسئول عن مزارع معاوية بن أبي سفيان في المدينة من الموالي وهو ابن مينا.[3] وكان أبو إسماعيل بن يسار مولى بني تميم بن مرة من قريش يصنع طعام العرس فيشتريه من أراد أن يتزوج.[4]

شارك الموالي في الحياة الاجتماعية، ويظهر ذلك في الحياة الفنية في الحجاز حيث اشتهر منهم عدد كبير من المغنين الذين اقتبسوا موسيقى الفرس والروم وغناءهم، ونقلوه إلى اللغة العربية بعد أن أجروا عليه بعض التعديل، كما اشتهر أصحاب النوادر والفكاهة كأشعب مولى عبد الله بن الزبير.[5]

كان للموالي أثر كبير في تغيير حياة أهل الحجاز الاجتماعية بعد الفتوحات الإسلامية، حيث امتزجت الدماء العربية بالدماء الأعجمية عن طريق الزيجات التي تمت بين العرب

---

(١) أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦.

(٣) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م، ص٢٥٠.

(٤) أبو الفرج الإصفهاني علي بن الحسين بن محمد، الأغاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري، الجزء الرابع، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤٠٨.

(٥) الزبير بن بكار، تحقيق محمود محمد شاكر، جمهرة نسب قريش وأخبارها، مكتبة خياط، بيروت، ص٢٨.

وغيرهم من الأمم المفتوحة، ولقد ترتب على هذه الزيجات نشوء جيل من التابعين خليط بين العرب والموالي.[١]

ج/ الرقيق:

العنصر الثالث من عناصر المجتمع في الحجاز والذي كان له أثره في الناحية الاقتصادية والاجتماعية هو عنصر الرقيق. ونجد أنه بعد الفتوحات الإسلامية قد تدفقت أعداد كبيرة منهم على الحجاز، وكان بعض الولاة عندما يعودون إلى الحجاز بانتهاء مدة عملهم يجلبون معهم أعدادًا وفيرة من الرقيق. فعندما عُزل سعيد بن عثمان بن عفان عن ولاية خراسان قدم المدينة بمال وسلاح وثلاثين عبدًا من السغد.[٢]

كما اعتاد بعض الخلفاء الأمويين تقسيم الأموال والرقيق عندما يزورون الحجاز خاصة في موسم الحج، كما فعل الخليفة الوليد بن عبد الملك عندما حج سنة ٩١هـ فقد قسم في المدينة رقيقًا كثيرًا بين الناس.[٣]

ومن العوامل التي أدت إلى كثرة الرقيق في الحجاز تجارة الرقيق، فقد راجت هذه التجارة في العصر الأموي، وساعد على ازدهارها تطور المجتمع وارتفاع مستوى المعيشة، ووفرة الأموال لدى السكان وحاجتهم إلى الرقيق للخدمة في البيوت أو في النواحي الاقتصادية المختلفة، لذلك توجه التجار بالرقيق نحو الحجاز لبيعه فيه. كما كان بعض الناس

---

(١) ابن خلدون، مصدر سابق، ص١٥٤.

(٢) الإصفهاني، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٣٥.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء السادس، دار الكتب العليمة، بيروت ، ص٤٦٦.

يستأجرون نخاسين لبيع رقيقهم في البلدان مقابل أجرة معينة.[١] كان للشاعر عمر بن أبي ربيعة مجموعة من الرقيق يزاولون مختلف الأعمال وكان يزاول الحياكة منهم سبعون عبدًا.[٢]

ولاشك أن هؤلاء الأرقاء جلبوا معهم فنون بلادهم من مختلف المهارات، لهذا نجد أن بلاد الحجاز في تلك الفترة قد برزت فيها الفنون الفارسية والرومية والحبشية وغيرها. وفي مجال الحياة الاقتصادية فقد شارك الرقيق في جوانبها المختلفة، فاشتغل بعضهم بالزراعة واستصلاح الأراضي التي كان يملكها أسيادهم، فقد استخدم سعيد بن عثمان بن عفان رقيقًا للعمل في مزارعه في المدينة المنورة.[٣] وعمل الرقيق في رعي الإبل لأسيادهم.[٤] أيضًا شارك الرقيق في التجارة التي نشطت في العصر الأموي أكثر مما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين، فكان السيد يعطي عبده المال ويفتح له المحل التجاري للبيع فيه، كما كان العبد يساعد سادته في التجارة.[٥] لم تقتصر أعمال الرقيق على مزاولة التجارة مع أسيادهم، بل كان بإمكانهم الحصول على إذن من أسيادهم لمزاولة التجارة بمفردهم.[٦]

---

(١) الإمام مالك، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٧١.

(٢) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٧٨

(٣) البلاوزي، مصدر سابق، الجزء السادس، ص١١٩.

(٤) الزبير بن بكار، مصدر سابق، ص٨٠.

(٥) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٤١.

(٦) أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، نسب قريش وأخبارها، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، الطبعة الأولي، ص٣٩١.

وعلى الرغم من الخدمات الاجتماعية والاقتصادية التي يقدمها الرقيق للمجتمع إلا أن بعض الناس كانوا ينظرون إلى الرقيق نظرة إزدراء واحتقار، ففي بعض الأحيان نجد أن الرقيق يحملون في أعناقهم أختامًا تشير إلى رقمهم.(١)

٢/ الأمويون:

موقف الأمويون من الدعوة الإسلامية:

لقد كان تعامل الأمويين مع الدعوة الناشئة هو نفس تعامل بقية بطون قريش للدعوة الجديدة من أمثال بني مخزوم وبني هاشم وغيرهم، ولنأخذ على ذلك مثالًا وهو كيفية تعامل بني هاشم رهط النبي صلي الله عليه وسلم، وأقرب بطون قريش إليه مع الدعوة، فإن منطق العصبية السائد في الجاهلية يقتضي أن يتلقف بنو هاشم الدعوة الجديدة التي تحقق لهم العزة والشرف بالإيمان والنصرة، وأن يقفوا خلف النبي الهاشمي بالتأييد والبذل، وقد وقفوا إلى جواره فعلًا في بعض المواقف، ولعل أشهرها حصار الكافرين لهم في شعب بني هاشم، ولكنهم في النظرة الشاملة انقسموا عليه بين مؤيد ومعارض ومؤمن وكافر، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من قبائل مكة.(٢)

والمثال المشهور لكفار بني هاشم هو أبو لهب عم النبي صلي الله عليه وسلم الذي كان أول من جهر بعداوة الإسلام لما جهر الرسول بدعوته، ولم يكتف بالمعارضة الصريحة

---

(١) الإمام مالك، مصدر سابق، الجزء الثاني عشر، ص١٤٧.

(٢) أبي محمد عبد الملك بن هشام العافري، (ابن هشام)، السيرة النوبية، الجزء الثاني، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة جديدة، ١٣٩١–١٩٧١م، ص٣.

بل عضدها بالعمل والكيد، فقد مارس صورًا شتى في تعذيب الرسول صلي الله عليه وسلم وصد الناس عنه، وكانت معه زوجته أم جميل بنت حرب الأموية.(١)

وكان أبو لهب في كفره وعناده مثالًا مشهورًا، ولكنه لم يكن الهاشمي الوحيد الذي كفر بالنبي صلي الله عليه وسلم وجهد في إيذائه وحربه، فقد كان في أسرى المشركين يوم بدر من بني هاشم العباس بن عبد المطلب، وعقيل بني أبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفهم عتبة بن عمرو بن جحدم، وقد قبل الرسول صلي الله عليه وسلم فداءهم فيمن افتدى من أسرى قريش.(٢)

أ – الأمويون المعارضون للدعوة الاسلامية: وبالنسبة لبني أمية وموقفهم من الإسلام فإن مؤرخينا لا يتحدثون عنهم كبطن مستقل من بطون قريش، وإنما يتحدثون عنهم مع غيرهم من بني عبد شمس والد أمية، فيعدونهم وحدة واحدة، وقد كانوا أبناء أب واحد تربطهم علاقات التصاهر والترابط الاجتماعي، ولذلك فإنهم عند حديثهم عن عداء بني أمية للرسول يذكرون إسمي عتيبة وشيبة إبني ربيعة بن عبد شمس، رغم أنهما ليسا من بني أمية(٣)، ويذكرون معهما أيضًا أبا سفيان بن حرب وعقبة بن أبي معيط، فأما عقبة بن أبي معيط هذا فقد كان من مردة قريش، فقد تفل في وجه رسول الله، وأنه قد رمى عليه صلي الله عليه وسلم سلى جذور وهو يصلي، وأنه خنقه بثوب في عنقه حتى دفعه أبوبكر الصديق، وقد نال جزاءه عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله بعد أسره

---

(١) ابن هشام، مصدر سابق، ص٥.

(٢) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٤١.

(٣) محمد علي الصلابي، مرجع سابق، الجزء الأول، ص٢٩.

يوم بدر.[1] أما معارضة عتبه وشيبة ابني ربيعة فمعلومة ومشهورة، ومع هذا لما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فصدَّه أهلها، وتبعه الصبيان والغلمان يرمونه ويصيحون به، فلجأ إلى حائط ابني ربيعة عتبة وشيبة، فلما رأياه على هذا الحال تحركت له رحمهما، فدعيا غلاما نصرانيًا يقال له عداس، فقالا له: خذ قطعًا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم أذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه.[2]

وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممن شهد قتال يوم بدر وهو مع المشركين، ونجا من القتل والأسر.[3]

ب- الأمويون المسلمون منذ بداية الدعوة الإسلامية: إذا جارينا نهج المؤرخين في الحديث عن بني أمية وبني عبد شمس معًا، فإننا نرى منهم جماعة كانوا من السابقين إلى الإسلام. فمنذ المرحلة السرية للدعوة وقبل الجهر بها كان قد أسلم كل من عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وكان إسلامه على يد أبي بكر الصديق في أيام الإسلام الأولى، وكذلك كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وقد أسلم أيضًا في هذه المرحلة السرية التي دامت حوالي ثلاث سنين أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كما أسلم في مرحلة مبكرة حليفان لبني أمية وهما عبد الله بن جحش بن رئاب وأخوه أبو أحمد بن جحش وهما أبناء عمة النبي صلى الله عليه وسلم،فأمهما أميمة بنت عبد المطلب. وفي الهجرة الأولى إلى الحبشة شارك نفر من مسلمي بني أمية

---

(١) ابن هشام، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٩.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٤٢.

مثل عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو، كما كان لبني أمية مشاركة في الهجرة الثانية ومعهم بعض حلفائهم، وقد ذكر الدكتور حمدي شاهين قائمة طويلة بأسمائهم، مما يؤكد استجابة بعض بني أمية للإسلام منذ بداية الدعوة.[١] وقد ساهمت نساء بني أمية وعبد شمس في صنع مسيرة الإسلام وفي إعطاء الأسوة وضرب المثل في نبل التضحية وعزيز العطاء، فقد أسلمت رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى المدينة وثبتت معه على دينه، ورغم مقتل أبيها وعمها وابنه في بدر مما أهاج عليها غضب هند بنت عتبة فقالت تعيبها:

لحي الرحمن صائبه بوج *** **ومكة أوباطراف الحجون**

تدين لمعشر قتلوا أباها *** **أقتل أبيك جاءك باليقين**

وهاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط إلى المدينة في الهدنة التي كانت بين النبي والمشركين في الحديبية، على أن الصورة الأزهى والنموذج الأرقى في ذلك المجال هو إسلام أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، فقد أسلمت مبكرًا.[٢]

ج- دور بني أمية في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين: رغم إسلام الكثير من رجال بني أمية منذ بداية الدعوة، وتضحياتهم وهجرتهم إلى الحبشة، ورغم إسلام جميع بين أمية عند فتح مكة، وترحيب الرسول بهم وفرحه بإسلامهم،

---

(١) حمدي شاهين، الدولة الاموية المفتري عليها، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١، ص١٣٠-١٣١.

(٢) علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص٢٩.

والاعتماد عليهم في جلائل الأعمال، وقد أفسح لهم مكانًا في دولته لتستفيد من جهودهم ومقدراتهم، فقد أعطى الرسول صلي الله عليه وسلم لأبي سفيان ميزة لم يعطها أحدًا من أهل مكة، حين قال: من أغمد سيفه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فسوى بين بيته وبين بيت الله، وهذا شرف عظيم لم ينل أحد مثله للآن، وفي ذلك اليوم أسلم معظم المتأخرين عن الإسلام من رجالات قريش وذوي النجدة فيها، وكانوا يسمون مشيخة الفتح، وكان الرسول صلي الله عليه وسلم أسعد الناس بإسلامهم، وكان يقابلهم قائمًا ومعانقًا لهم كما فعل بصفوان بن أمية والحارث بن هشام وغيرهم.

وبعد انتهاء فتح مكة ولى عليها شابًا من بني عبد شمس وهو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس.[1] ويذكر ابن هشام أن ابن إسحاق روى عن زيد بن أسلم قال: لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهمًا: فقال أيها الناس: أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله صلي الله عليه وسلم كل يوم درهمًا فليس بي حاجة إلى أحد.[2]

كما استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية على قرى خيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو عليها. كما استعمل الحكم بن سعيد بن العاص على سوق مكة، واستعمل خالد بن سعيد بن

(١) الشيخ محمد الخضري، الدولة الأموية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٤٢٢.
(٢) ابن هشام، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص٦٢.

العاص على صنعاء، واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على البحرين وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها، كما كان أبان وخالد إبنا سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان إضافة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنهم من كتَّاب الرسول صلى الله عليه وسلم. وخلاصة القول: فقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعظم رجالات بني أمية على مختلف الأعمال من الولاية والكتابة، وجباية الأموال ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر منهم، واستعمال النبي صلى الله عليه وسلم لأكثر رجال بني أمية هو أكبر دليل على كفاءتهم وأمانتهم.(١)

استعمل أبوبكر مشيخة الفتح الذين لم تلحقهم أعمالهم بالسابقين في الإسلام فشاركوا في حروب الردة وأبلوا فيها بلاءً عظيمًا وأغنوا غناء حسنًا، وممن أشتهر غناؤهم وعظم ذكرهم يزيد بن أبي سفيان فقد كان ولاه أبوبكر في قيادة أحد الجيوش الأربعة التي توجهت لفتوح الشام،وكان الوالي على دمشق لعمر بن الخطاب، وكان أخوه معاوية عاملًا على إحدى الجهات الشامية، فلما مات يزيد استعمل عمر على عمله أخاه معاوية مضافًا إلى ما كان له من قبل من العمل، وكان عمر يحس منه بحسن السياسة وقوة التدبير والأمانة، وهذا كل ما كان يطلب عمر من عماله.(٢)

---

(١) علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص٥٨.

(٢) الشيخ محمد الخضرى، مرجع سابق، ص٤٢٢.

وفي عهد عثمان جمعت الشام كلها لمعاوية، فصار واليها الهام، ويولي على الكور عمالًا من قِبَله، ونزل هناك العدد الطيب من قريش ومن بني عبد شمس فأسسوا الجنود وأرهقوها بالطاعة.

وعلى الجملة فإن بيت عبد شمس انتقل من السيادة في الجاهلية إلى سيادة في الإسلام، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" [(١)] فاتصلت له السيادتات، وفروعه التي كانت فيها الشهرة والخلافة أثنان: فرع حرب بن أمية، وفرع أبي العاص بن أمية، وكان من الفرع الأول ثلاثة خلفاء، ومن الثاني عشرة خلفاء، ومدة خلافة هذه الدولة تبتدئ من اليوم الذي بويع فيه معاوية سنة ٤١ هـ وتنتهي بمقتل مروان الثاني بن محمد سنة ١٣٢هـ.[(٢)]

الأمويون والخلافة:

لما تولي الأمويون أمر الخلافة برزت الأمور التالية:

١- تعيين أقاربهم:

كان الخلفاء الأمويون يعيِّنون أبناء عشيرتهم في مناصب سياسية معينة، فقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يعيِّن بني حرب وبني العاص ولاة على الحجاز.[(٣)] لكن هذا

---

(١) أبي الحسين مسلم بن الحجاج، البر والصلة الآداب، المجلد الثامن، مطبعة العامرى، تركيا، ١٣٣٠هـ، ص٦.

(٢) الشيخ محمد الخضري، مرجع سابق ، ص٤٢٣.

(٣) بثينه بن حسين، الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، الطبعة الأولي، ص٣٤٦.

التعيين يكون حسب ترتيب معين خاضع لتجربة الرجل سواء من بني حرب أو بني العاص، إذ يعين في أول مرحلة على الطائف،ثم تأتى مرحلة التعيين على الطائف ومكة، فإذا ما أحسن ولاية الطائف ومكة يعين على كافة الحجاز (أي على مكة والطائف والمدينة)، فالمدينة هي أصعب مرحلة من هذه السلسلة لأنلها طابع رمزي هام. فقد حصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان تعيين بني أمية بالحجاز فقط وذلك لأنه أراد أن يقضي على طموحاتهم السياسية.

كما كان الخليفة معاوية يحد من هذه الطموحات بعدم ابقاء الأمويين وقتًا طويلًا فقد عيَّن الخليفة معاوية بن أبي سفيان أخاه عنبسة بن أبي سفيان على الطائف ثم عزله، وعين عتبة بن أبي سفيان، كما عين عبد الملك بن مروان على ديوان المدينة ولم يعين معاوية أقاربه على ولايات هامة كولاية العراق، ما عدا ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي الذي عينه بعد موت زياد.ربما كان معاوية متخوفًا من تعيين أقاربه على هذه الولاية الهامة حتى لا يحتفوا بأموال الخراج ويستغلوه على حسابه.

اتبع الخليفة يزيد بن معاوية نفس سياسة أبيه في تعيين أفراد عشيرته على ولاية المدينة، كما واصل تدعيم سياسة أبيه، فلم يعين أفراد عشيرته أو قبيلته على ولاية العراق، وقد تواصل هذا التوجه السياسي السفيانى في عهد المروانيين أيضًا.

فقد عين الخليفة عبد الملك بن مروان على ولاية المدينة أشخاصًا ينتمون للبيت الأموي، وكان عبد الملك يحب أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ويعتبره أحد ولده، وعلى هذا الأساس عينه على خراسان.(١)

وعين الخليفة عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة، لكنه توفي بعد مدة قصيرة. إن هذا المثال هو مثال استثنائي، إذ أن الخليفة عبد الملك لم يعين شخصًا آخر من بني أمية على هذه الولاية سوى الحجاج بن يوسف الذي ينتمي لثقيف، وعلى هذا الأساس يكون الخليفة عبد الملك قد اتبع سياسة الخلفاء السفيانيين بعدم تكليفه لأمويين بمهام حساسة كولاية العراق.(٢)

كان الخلفاء الأمويين (السفيانيون والمروانيون) يعيِّنون أقاربهم على مناصب رمزية (كولاية المدينة أو الحجاز) مما ليس لها وزن مالي أوحربي، لكنهم لم يشركوهم فعليًا في السلطة، بدليل أنهم تحاشوا تعيينهم على ولاية العراق (وإن عينوا البعض منهم بصفة استثنائية على هذه الولاية ولمدة قصيرة)، فقد كان الخلفاء الأمويين متخوفين من احتفاظ أقاربهم بأموال الخراج ومنافستهم لهم على السلطة، لكن لم يمنع هذا الإقصاء الخلفاء من منحهم امتيازات مادية.

---

(١) بثينه بن حسين، مرجع سابق، ص٣٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤٨.

ثراء الأمويين:

منح الخلفاء الأمويين الأموال والقطائع لأقاربهم، فقد أقطع الخليفة يزيد بن معاوية عبد الملك بن مروان أرضا كان يملكها الخليفة معاوية، وقد اشتراها من بعض اليهود وهي بوادي القرى.[١] فقد بدأت سياسة توزيع الأراضي منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان، ثم أكملها الخليفة معاوية بن أبي سفيان حيث منح قطائع من أراضي الصوافي لبني أمية، تتمثل أراضي الصوافي في أراضي كسرى والإستقراطية الفارسية التي توفي عنها أصحابها واتخذها معاوية ملكا له، فقد منح الخليفة معاوية قطيعة هي قرية السطح قرب دمشق لعتبة بن أبي سفيان وورثها ابنه عمرو، وأقطع يزيد خاله سعيد بن مالك بن بحدل إقليم بيت الآبار.

وكان مسلمة بن عبد الملك يملك أرضًا بغراس وعين السلور، وقد وقف مسلمة أرضا بغراس لذوي الحاجة الفقراء والمساكين واليتامى.[٢]

إن البثوق انبثقت أيام الحجاج الذي كتب إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يعلمه انه قدر لسدها ثلاثة آلاف الف درهم، فاستكثرها الوليد، فقال مسلمة بن عبد الملك بأنه ينفق عليها على أساس أن يقطعه الأراضي المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم والتي سيتكفل بإنفاقها الحجاج، فوافق الوليد وتحصل مسلمة بن عبد

---

(١) أحمد بن يحي بن جابر البغدادي البلاوزي، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٨.

(٢) بثينة بن حسين، مرجع سابق، ص٣٥٠.

الملك على ضياع كثيرة. ومثَّل مسلمة بن عبد الملك قوة مالية داخل الدولة الأموية، إذ أنه أكتسب ثروات بإمكانها أن تساعد الخليفة نفسه.

وكان الوليد بن يزيد ولي العهد في فترة هشام بن عبد الملك يملك ضيعة بناحية من نواحي دمشق، ولم يقتصر منح الثروات العقارية والأموال للبيت الأموي على الخلفاء. الأمويين بل شمل كذلك الولاة الأمويين، فقد منح عبد العزيز بن مروان والى مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان قصرا بالفسطاط لأخيه عمر بن مروان.[١]

كان الأمويون يملكون ثروات متنوعة تتمثل في الأموال والقطائع والضيعات والقصور، وقد منح الخلفاء الأمويون أقاربهم هذه الثروات منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، وقد أصبح الأمويون يضاهون في ثرائهم الخليفة نفسه، ولم يتوقف الخلفاء الأمويون على منح أقاربهم مناصب سياسية وثروات بل صاهروهم.[٢]

٣/ الموالي:

تعريف الموالي في اللغة: للفظ الموالي عدة أوجه ومعاني في اللغة، فمنها التي تعني القرب والدنو في المكان والنسب، ويقال تباعدنا بعد ولي، ومنه وليه وكل مما يليك أي ما يقاربك ودار وليه: أي قريبه[٣].

---

(١) بثينة بن حسين، مرجع سابق، ص٣٥١

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥٢.

(٣) محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جوهرة القاموس، حققه عبد الستار أحمد، الجزء العاشر، مطبعة الكويت، الكويت، ١٩٦٥م، ص٣٨٩.

والولي: الوصي، والذي يلي الأمر، فتطلق على ولي اليتيم، وولي المرأة الذي يتولى عقد النكاح عليها، ومنها أيضًا الولية: وهي ما تخبؤه المرأة من زاد لضيف ينزل.

وولي الشئ: ولي عليه ولاية، وهي الإمارة والخطة، والولاية بالكسر: السلطان، ويأتي لفظ الولاء بمعني المتابعة، فيقال: والى بين الأمرين موالاة، وتوالى عليه الشهران أي تتابعا.(١)

وأحيانًا يطلق على التمييز والعزل مثل قولهم: والى غنمه موالاةً، أي عزل بعضها عن بعض وميزها، فقال الأزهري: سمعت العرب تقول: والي حواشي نعمكم عن جلتها، أي أعزلوا صغارها عن كبارها.

وقول ابن الإعرابي المولى هو الحليف والجار، وقد جمع شاعر جاهلي أنواع الموالي قبل الإسلام في بيت واحد فقال:

نبئت حيًا على نعمان أفردهم * مولى اليمين ومولى الدار والنسب.**(٢)

تعريف الموالي في القرآن والسنة:

ورد في القرآن الكريم والسنة العطرة عدة معاني للمولى، منها النصرة والمحبة والقرب والرب والمالك، والسيد والصديق والقريب والوصي والوكيل والناصح والمشرك ومن يقوم بخدمة العاجز، والتهديد والوعيد، والتمكين والتهيئة لأمر ما والأعراض والإمارة، والمتابعة

---

(١) محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، الجزء التاسع، دار صادر، ١٩٥٦م، ص٤٠٧- ٤١٥.

(٢) ايمان علي النور، دور الموالي في سقوط الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١ - ٧٥٠م)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولي، ٢٠٠٨م، ص٥٠.

والعتقاء، والأحق بالشئ والولي في الدين والشريك وابن العم والعصابات والحليف والصهر.[١]

تعريف الموالي في الاصطلاح:

الموالي جمع مولى، يعني كل من اُعتق ونال حريته وظل على ولائه لمعتقه، وكل من دخل الإسلام من الأعاجم.[٢]

أنواع الموالي في المجتمع الجاهلي:

ينقسم الموالي في المجتمع الجاهلي إلى أربعة أقسام هي:

١- **موالي الحلف:** الحلف هو العهد أو المعاهدة، والأصل في الحلف أن يكون بين قبائل أو عشائر كانت مرتبطة فيما بينها، وتتفاوت وثاقته.[٣]

٢- **موالي الجوار:** يحدث الجوار عادة عندما يفر الفرد من قومه ويلجأ إلى قبيلة أخرى يطلب منها الحماية والأمن، نتيجة لعمل ارتكبه يستحق من أجله الخلع والطرد من قبيلته، لسوء تصرفه أو لخوفه من أن تثأر منه القبيلة، كأن يقتل أحد أفرادها مثلًا.

وأيضًا من يطلب الجوار قد يكون وقع عليه ظلم جائر من عتاة قومه، مثل جوار ابن الدغنة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.[٤]

---

(١) مجمع اللغة العربية، معجم الفاظ القران الكريم، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية، القاهرة ،١٩٧٠م، ص٨٨٥.

(٢) عماد علي عبد السميع حسين، الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ص٣٥.

(٣) ابن منظور، مصدر سابق، ص٥٣.

(٤) ابن هشام، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٩.

إذن قد يكون الجوار بين شخصين من نفس القبيلة، أو من غيرها، ويتم بعقد شفهي تذاع بنوده على الرهط في مكان عام، كسوق عكاظ، أو في دار الندوة مثلًا، وبمجرد إعلان الجوار تتقرر حقوق الإجارة.[١]

٣- موالي القرابة (موالي الرحم – موالي النسب): موالي القرابة يحتلون مكانة أعظم من سواهم من الموالي في المجتمع الجاهلي، لأنهم من أبناء العموم والخؤولة، وتجمعهم رابطة الدم بعضهم مع بعض، ولهذا تغنى بهم الشعراء، فقال علقمة التميمي في أقاربه:

فلا يعدم البانون بيتا يكنهم * ولا يعدم الميراث مني المواليا.**[٢]

٤- موالي العتاقة: هم في الأصل أسرى حرب أو رقيق منَّ عليهم ساداتهم بالعتق نظير صنيعٍ ما من قِبَلهم، فأصبحوا عندئذٍ موالي عتاقة، فهم أقل منزلة من الموالي اللذين سبق ذكرهم، وأعلى درجة من الرقيق أو العبيد، ونوع العتق في الجاهلية هو السائبة، والمكاتبة، والتدبير.[٣]

أنواع الموالي في الإسلام:

ينقسم الموالي في الإسلام إلى ثلاثة أقسام هي:

---

(١) ابن هشام، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص١٠.

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ابن قتيبة)، الشعراء والشعراء، الجزء الأول، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٤٧.

(٣) محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، مصدر سابق، ص٨٦.

أ/ مولي عتاقة: ويسمى ولاء النعمة، وذلك لأن المعتِق أنعم على المعتَق بالحرية فاستحق الولاء أن يسمى بسببه، وهو الإنعام بالعتق.(١) وهناك عدة أشكال لهذا العتق منها: المكاتبة، وهو العتق الذي يجري بعد إتفاق بين العبد وصاحبه بالبيع، حيث يكتب العبد على نفسه صكا بثمن معلوم، فإذا عمل وأداه أعتقه مالكه.(٢)

- **عتق سائب:** هو أن يعتق العبد بأن يقول المالك للعبد: أنت سائب أو أنتِ سائبة لوجه الله تعالى، طمعا بالثواب.

- **عتق التدبير:** وهو أن يعدْ المالك عبده بأنه سيصبح حرًا بعد موته، إلا إذا عاد المالك ونكص عن وعده قبل وفاته.(٣)

ب- مولى عقد: وأُطلق عليه أيضًا مولى حلف أو اصطناع، وذلك أن ينتمي رجل إلى آخر بالخدمة على اختلاف ضروبها، أو بالمحالفة أو الملازمة أو المخالطة، على أن يتعاقب ذلك أجيالًا.(٤)

ج- مولى الرحم: مولى الرحم يكتسب الولاء بالزواج من موالي بعض القبائل، فينسب إلى القبيلة التي تزوج من مواليها.(٥)

---

(١) ابن منظور، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٧٠٠.

(٢) مقداد محمود، الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ص١٢٧.

(٣) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص٢٧٢.

(٤) محمد الطيب النجار، الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة، الطبعة الأولي، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص١٤.

(٥) أحمد أمين، فجر الإسلام، يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أخر الدولة الأموية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص٨٩.

الموالي في العصر الأموي:

تكاثر الموالي:

الموالي في نظر مؤرخي التاريخ الإسلامي هم المسلمون من غير العرب، وكانوا في الأصل أسرى حرب فأصبحوا في منزلة الرقيق، ثم أسلموا فأُعتقوا وأصبحوا موالي، فقد اقترن إسلامهم بدخولهم في خدمة العرب وتحالفهم معهم كي يعتزوا بنصرتهم، وقوتهم، فكأنهم قد أصبحوا في نفس الوقت موالي حلف وموالاة.(١)

أصبح الموالي طبقة من طبقات المجتمع الأموي، تأتي في المرتبة الثانية بعد العرب المسلمين وذلك نتيجة السبق في الإسلام والجهاد فيه.(٢)

عندما تسلَّم الخلافة الأمويون في أواسط القرن الأول للهجرة بدأ عدد الموالي يزداد، وأخذ عدد الرقيق يتكاثر بموالاة الحرب والاَسْر أو الإهداء وبالشراء أيضًا، لأن كثيرًا من العمال كانوا يبعثون بالمئات والألوف من الرقيق الأبيض والأسود إلى بلاد الخلفاء هديةً أو بدلًا عن الخراج أو نحوه.(٣)

وكان الخليفة يفرق ذلك العدد في قواده وبطانته، وهؤلاء بدورهم يفرقونهم حولهم أو يبيعونهم، فينتقل الموالي والرقيق إلى الناس على اختلاف طبقاتهم، فمن أنجب من أولئك الأرقاء أو أُعتق لسبب من الأسباب صار مولى، وهذا بطبيعة الحال غير الذين كانوا

---

(١) محمد الطيب النجار، مرجع سابق، ص١٤.

(٢) أبو عبيد بن عبدوس (الجهشياري)، الوزراء والكتاب، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص٣٣٦.

(٣) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثاني، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص١٥٤.

يدخلون في الولاء بالعقد وغيره، وبذلك ازداد عدد الموالي في العصر الأموي زيادةً ملحوظة، لكنهم أخذوا يتقربون من مواليهم بما يحتاجون إليه في شئونهم، مما سهل للعرب استخدامهم في جميع مصالحهم الصناعية والزراعية والعلمية، ثم دخلوا في معترك السياسة فتوصلوا إلى أعلى المراتب، ونبغ منهم الكثيرون في جميع حقول المعرفة من كُتَّاب وحُجَّاب وقراء وشعراء، وفنيين مغنيين، وعلماء وفقهاء، فتكاثروا كثيرًا.

وبعض الموالي أثرى ثراءً واسعًا فأخذ يبتاع العبيد ويعتقهم فيصيرون من مواليه، وهؤلاء الجدد إذا استطاع أحدهم شراء العبيد وإعتاقهم فعل ولم يتردد، وهكذا حتى يتفق أحيانًا أن يكون الواحد منهم مولى مولي أو أكثر.[١]

إن أكثر من نصف سكان الكوفة كانوا من الموالي، وكان هؤلاء يحتكرون الحِرَف والصناعة والتجارة، وأكثرهم من الفرس في جنسهم وفي لغتهم، جاؤوا الكوفة أسرى حرب ثم دخلوا في الإسلام، ثم أعتقهم مالكوهم العرب، فصاروا موالي لهم، وبذلك صاروا أحرارًا، ولكنهم ظلوا في حاجة إلى حماية سادتهم من حاشية العرب وأتباعهم في السلم والحرب.[٢]

وبجدر بالذكر أن الذين قتلوا في موقعة الحرة بالمدينة في عهد يزيد بن معاوية من الموالي بلغوا حوالي خمسة آلاف، بينما قتل من الأنصار وقريش ثلاثة آلاف.[٣]

---

(١) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٠٢.

(٢) أمين أحمد، مرجع سابق، ص٩٢.

(٣) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص٢٤٩.

زواج الموالي:

اعتمدت الدولة الأموية على العرق العربي دون سواه في إدارتها الرسمية وفي مؤسساتها، واستبعدت غير العرب، ومن هؤلاء المستبعدين الموالي، وكان أعداء الدولة الأموية على الإجمال يكيدون لها في الخفاء بكل ما عندهم من وسائل لذلك ازداد الأمويون تحقيرًا لهم وجورًا عليهم. فبعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مولى القوم منهم)، منع الأمويون زواج الموالي بالعربيات.[(١)] فعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين اتصف بالتقوى والورع والفقه، كانت أمه سلامة بنت يزدجرد ملك الفرس، فلما توفي أبوه زوجها بثريد مولى أبيه، وأعتق جارية له وتزوجها، ولما علم عبد الملك بن مروان بهذا، كتب إليه يعيره من هذا الزواج القبيح، فرد عليه زين العابدين: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقد أعتق الرسول صلى الله عليه وسلم صفيه بنت حيي وتزوجها، وأعتق زيد بن حارثة وزوَّجه بنت عمته زينب بنت جحش.[(٢)]

وبصورة عامة لا يزال الموالي أحط مقامًا من العرب، لكن في صدر الإسلام كانوا يتولون الكثير من مصالح الدولة التي تحتاج إلى ثقة وأمانة، فضلًا عن العلم والدين، وكان لهم رواتب سنية.[(٣)]

---

(١) المسعودي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٩٦.

(٢) محمد الطيب النجار، مرجع سابق، ص٣٩.

(٣) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء العاشر، ص٧١.

لكنهم كانوا محرومين من المناصب الرفيعة التي تحتاج إلى شرف وعصبية كالقضاء مثلًا، فإنهم كانوا يعدونه فوق مرتبتهم ولا يستحقونه، فعمر بن عبد العزيز لما أراد أن يولي مكحولًا القضاء، رفض هذا المنصب قائلًا: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يقضي بين الناس إلا ذو شرف في قومه)، وأنا مولى.[١]

دور الموالي في الحضارة الأموية:

أحسن خلفاء بني أمية معاملة الموالي في بلاد الشام واندمجوا معهم في الحياة السياسية والاجتماعية واستعان بهم الخلفاء في شتي المجالات الحيوية، فقد استعان معاوية بن أبي سفيان بالفرس الذين نقلهم إلى سواحل الشام في ترميم الحصون وبناء السفن لخبرتهم في البناء، ومعرفتهم بركوب البحر.[٢]

للموالي فضل يؤثر في بناء الحضارة الأموية، وإذا تصفحنا كتب الأدب والتاريخ وجدنا معظم الحفَّاظ وأهل اللغة والتفسير والشعر وسائر العلماء من الموالي، لأن العرب في تلك الفترة انشغلوا عن هذه العلوم بالسياسة والتنازع على السلطة، ومعظم الموالي الذين خدموا العرب في صدر الإسلام من بقايا الفيء والغنائم في فارس وغيرها، وأكثرهم كانوا غلمانا في جملة السبي، فاعتنقوا الإسلام ونبغوا في سائر العلوم الإسلامية كالتفسير والحديث والفقه كما نبغ من أولادهم عدد كبير كانوا عونًا كبيرًا للمسلمين في السلم

---

(١) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٠٠م، ص٥٠١.

(٢) البلاذري، (أنساب الاشراف)، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٦١.

والحرب، وفي الدين والأدب، منهم موسي بن نصير القائد المعروف الذي فتح المغرب والأندلس، فأبوه كان منهم وحمران مولى عثمان بن عفان.[١]

وقد نبغ كثير منهم في نواحي المعارف والعلوم وبصورة خاصة في الفقه، حتى غلبوا على معظم المناطق والأقاليم.[٢]

فمثلًا كان في المدينة سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت له شهرة علمية فائقه، وهو أحد الفقهاء السبعة، واتفقوا على وصفه بالجلالة وكثرة العلم، وقد توفي سنة ١٠٣هـ في خلافة يزيد بن عبد الملك.[٣]

وعكرمة مولى ابن عباس وكانت له شهره علمية فائقة، حتى يروى عن معمر بن أيوب أنه قال: "قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى أنك تصعد فوق ظهر بيت لتراه"، وكان من أعلم الناس بالتفسير، وقد توفي سنة ١٠٥هـ .[٤]

لم يقتصر فضل الموالي على ميدان معين، بل نراهم قد تفوقوا في جميع الميادين الأدبية، والسياسية والقضائية والفنية، وقد كان بعضهم على جانب كبير من التقوى والصلاح وحسن السيرة، ونبل في الأخلاق، وكثيرون منهم كانوا عادلين معتدلين شهاداتهم مقبولة عند القضاة.[٥]

---

(١) ابن الأثير، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص١٩٢.

(٢) أحمد بن محمد الأندلسي، (ابن عبد ربه)، العقد الفريد، الجزء الثالث، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٨٢م، ص٤١٥.

(٣) محمد الطيب النجار، مرجع سابق، ص٨٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٥.

(٥) حسين الحاج حسن، مرجع سابق، ص١٠٦.

٤/القيسية واليمانية:

القيسية واليمانية منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد الخلفاء الراشدين:

مثّل الإسلام نقلة جديدة في حياة العرب السياسية، فمن خلال الدعوة المحمدية تأسس أول مجتمع قائم على أسس غير قبلية، وهو مجتمع المدينة المنورة، ثم توسع ليضم مجمل جزيرة العرب في اتحاد قبلي قائم على دفع القبائل الزكاة أو الجزية، مع الإعتراف بسلطة المدينة.

واقع الحال أن هذا البناء كان جديدًا في توحيده للعرب، إلا أنه لم يكن جديدًا في أسسه، فقد خضعت القبائل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من منظور الخضوع لزعيم شريف إذ تمكن الإسلام من فرض سيادته فهو قبلة المسلمين.(1) لكن معظم القبائل العربية انفصلت عن الإتحاد الإسلامي حين توفي النبي صلى الله عليه وسلم حيث أن الهوية الإسلامية لم تمح الهوية القبلية ولم تهدف إلى تحقيق ذلك، إذ أن أبا بكر الصديق وأصحابه كانوا يجادلون الأنصار حول خلافة النبي بدعوى قبلية، وهي أن العرب لا تخضع إلا لقبيلة قريش، وخلقت هذا الثنائية بين الإسلام والقبيلة مجتمعًا غير مستقر، فشهد التاريخ الإسلامي صراعات قبلية دموية، وصراعًا مستمرًا على الحكم، ومن أخطر الصراعات القبلية صراع القيسية واليمنية.(2)

---

(١) خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبيلة من المنظور الإسلامي، توزيع مؤسسة الجريسي، ص١١٥.

(٢) محمد عباد الجابري، العقل السياسي العربي ومحدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م، ص١٣.

انتشر خبر وفاة النبي بين القبائل حيث قامت الثورات والتمرد ضد عمال النبي صلى الله عليه وسلم لأن القبائل الصغيرة تمردت علي الصدقات، أما القبائل الكبيرة لم تخف طموحها إلى استرجاع ملك قديم كما فعل بنو ربيعة في البحرين عندما أجمعوا على الثورة وقالوا: نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر الذي عادوا فملَّكوه عليهم فعلا.[١] ليس هذا فحسب بل لقد كان أخطر تلك الثورات تطمح إلى القضاء على ملك قريش وتعيين ملك آخر مكانه انطلاقًا من إدعاء النبوة، فإن خلافة النبي صلى الله عليه وسلم انتقلت إلى المهاجرين أي إلى قريش حاملة راية الإسلام هذه المرة لتعيد تأسيس الدولة بسواعد أبنائها ودمائهم، وعلى رأس قريش الآن بنو أمية وحلفاؤهم من ثقيف وبني مخزوم، وهم بنو عمهم الأعلون، أبناء قيس بن مضر، ومن هنا سيصبح التصنيف إلى (قيس) و (كلب) أو إلى (مضر) و (ربيعة) أو بصورة عامة إلى عدنان وقحطان من التصنيفات الأساسية على مستوى القبيلة، وهذا التصنيف الثنائي كان قائمًا بصورة واضحة في الخيال القبلي زمن حروب الردة في عهد أبي بكر إلا أنها لم تبلور وتكرس انطلاقًا إلا في عصر الأمويين، فإن قريش وبني عمومتها من قيس. عيلان أصبحت تحكم (العرب) عرب الجنوب أبناء قحطان وعرب شرق الجزيرة أبناء ربيعة. ومن هنا يظهر الصراع على مستوى القبيلة في شكل صراع بين ربيعة ومضر من جهة وبين العدنانيين والقحطانيين من جهة أخرى.[٢]

---

(١) الطبري، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٨٦.

(٢) اليعقوبي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٤٦.

هذه التصنيفات والصراعات التي أخذت تهيمن على الخيال القبلي أثناء حروب الردة ظهرت بوضوح مع حروب الفتوحات الكبرى: فتح العراق وفارس من جهة، والشام ومصر من جهة أخرى.[١] في زمن عمر بن الخطاب حيث أن التجنيد العام لجميع العرب نتج منه إنشاء مجموعات قبلية كبرى، وبما أن الوجهة كانت العراق والشام فكثيرًا ما حدث أن قسمت القبيلة الواحدة إلى قسمين: قسم يبعث به إلى الشام وقسم يرسل إلى العراق، وهناك يلتقي كل قسم مع أقرب القبائل إليه ليشكل معها كتلة قبلية جديدة، وهكذا أصبحت مراكز التجمع أو الأمصار التي مصرت لهذا الغرض كالبصرة والكوفة عبارة عن أحياء للقبائل المختلفة. يلاحظ منذ عهد عمر أن القبائل العربية أخذت تتجمع في الحواضر والأمصار الجديدة مؤلفة كتلا قبلية ضخمة.[٢]

ثم إزداد هذا التجمع القبلي اتساعًا بظهور الرابطتين القيسية واليمنية، وإضافة إلى الدور الذي قامت به طريقة التجنيد وتوزيع القبائل حين الفتح في إبراز الروابط القبلية، وكان لإحداث ديوان العطاء في عهد عمر بن الخطاب ولطريقة ترتيب الناس فيه دور لا يقل أهمية في هذا الشأن.[٣] والحقيقة أن عمر ساعد على ظهور روح العصبية بغير قصد، فقد كان نظام عطاء الجند الذي سنه دافعًا هامًا لظهور روح العصبية القبلية، فقد كان هذا النظام قائمًا على أساس السابقة في الإسلام والقرابة من الرسول صلى الله عليه

(١) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ٢٥٨.

(٢) إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الإموي، دار اليقظة العربية بيروت، ١٩٦٤م، ص ١٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ص١٩٠.

وسلم، فكان يرتب الجند باعتبار القبائل والأجناس مما يؤدي إلى تمييز بعض القبائل على غيرها، فكان عمر يقدم العدنانيين على القحطانيين لأن النبوة فيهم.[١]

كانت القبائل القيسية واليمنية في خلافة عثمان بن عفان من ضمن القبائل التي ترى أنها دخلت الإسلام كما دخلت قريش، وهاجرت كما هاجرت، ولكن قريشًا استأثرت بالخلافة والزعامة.[٢]

لقد تكاتب رؤساء القبائل الناقمة على قريش وعلى سياسة عثمان، في كل من الكوفة والبصرة ومصر، فاتفقوا على الخروج بأتباعهم إلى المدينة تحت غطاء العمرة، وكان ذلك سنة ٣٥هـ. كان الخارجون من مصر أربع فرق، وكان على رأس هذه الفرق أمراء من اليمن، وخزاعة وكندة، وكان الخارجون من الكوفة أربع فرق أيضًا وعليهم زعماء من اليمن وشرق الجزيرة، وعلى رأس الجميع عمرو بن الأصم من بني عامر بن صعصعة، وأما البصرة كانوا أربع أيضًا ورؤساؤهم من عبد القيس وبني حنيفة وعلى رأسهم جميعًا حرفوص السعدى من تميم، وقد التقت هذه الجموع في المدينة ثم دخلوا مع عثمان في مفاوضات انتهت بالفشل، وكانت النهاية مقتل عثمان، ويبدو أن النفوذ والسيطرة في صفوف الثوار كانت لليمنيين.[٣]

---

(١) علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي)، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م، ص٢٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٦٥٢.

بعد مقتل عثمان قام معاوية بالمطالبة بدمه لأنه من عشيرته، وكان علي بن أبي طالب قد بويع في المدينة وانتقل إلى الكوفة ليدخل في صراع مع معاوية (حرب صفين)، حيث كان صراع قريش والعرب، وعلى رأس قريش معاوية أما العرب فكانوا يشكلون الأغلبية العظمى في صفوف علي، وكانت ربيعة على رأس القبائل المخلصة لعلي، وكان هو كثير الثناء عليها. وأهم القبائل اليمنية التي كانت في صفوف علي هي كندة وهمزان وخشعم والأزد. أما جيش معاوية فقد كان يتألف من أساسه من القبائل اليمنية وعلى رأسها قبيلة كلب، إلى جانب القبائل اليمنية الأخرى، ثم تأتي قبائل قيس التي كانت تمثل العنصر المضري في الشام وبالخصوص ثقيف التي كان منها كبار الولاة الأمويين على العراق مثل المغيرة وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي.

حاول علي بن أبي طالب أن يقيم نوعًا من الانسجام في جيشه بأن عقد حلفًا بين ربيعة والقبائل اليمنية ضد قريش، لكنه لم يستطع إقرار التعايش والتعاون بين العنصر اليمني والعنصر المضري في صفوفه، وهكذا اعتز كل من فرعي بني عبد مناف بواحد من الفريقين المتعاديين منذ الجاهلية، فاعتز علي بربيعة واعتز معاوية باليمن.[١]

عندما قبل علي بن أبي طالب التحكيم فرض عليه رؤساء القبائل اليمنية وفي مقدمتهم الأشعث بن قيس ومالك الأشتر، تعيين أبي موسى الأشعري، وهو يمني، لينوب عنه في التحكيم، فلمااعترض علي ابن أبي طالب لكون أبي موسى ليس في مستوى دهاء عمرو بن العاص ممثل معاوية، واقترح عليهم تعيين ابن عباس مندوبًا عنه، فردَعليه الأشعث

---

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، الجزء الثالث، المكتبة العلمية، بيروت، ص٣١٦.

بن قيس بأن ابن عباس وعمرو بن العاص مضريان وأنه لا يقبل أبدًا أن يحكَّم في الأمر رجلان من مضر، وفي نهاية الأمر قبل علي بأبي موسى الأشعري.[١]

وعندما أخذ الأشعث بن قيس يطوف على معسكر علي بكتاب التحكيم فهم الناس أن التحكيم قضية اليمنيين، فكان رد فعل قبائل بكر (من ربيعة) وتميم (من مضر) هو رفض التحكيم.[٢]

القيسية واليمانية وصراعهم في العصر الأموي:

الصراع بين القيسية واليمنية ظهر بشكل واضح في العهد الأموي، حيث اعتمد معاوية في خلافته على اليمانية، كما تزوج من قبيلة كلب التي تنتمي إليهم وأنجب منها ابنه يزيد، ولذا ارتفع شأن كلب في خلافة يزيد مما أثار الغيرة في قلوب قيس وهي من مضر، كما قرت عين مضر بخروج عبد الله بن الزبير في الحجاز فأسرعت إلى تأييده، ولما مات يزيد ٦٤هـ/٦٨٣م أبت مضر الاعتراف بولده معاوية خليفةً، وبايعت ابن الزبير.

انتقل الصراع بين قيس المضرية وكلب اليمنية بعد وفاة يزيد بن معاوية إلى العراق، فخرج زفر بن الحارث إلى قرقيسيا حيث تحصن بها، وصار يغير منها على بلاد كلب التي تؤيد مروان بن الحكم، بينما وقفت قيس في صف ابن الزبير.[٣]

(١) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، المطبعة المدني، مصر، الطبعة الأولي، ١٣٦٥هـ، ص٢٩٠.

(٢) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص١٠٤.

(٣) البلاذري، أنساب الاشراف، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٠٨.

وبعد موت يزيد قامت في البصرة الفتنة بين الأزد وربيعة، وأحب الأحنف بن قيس أن يهديء الموقف فقال عبارة تصور عصيبة المدن: يا معشر الأزد وربيعة أنتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الصهر، وأشقاؤنا في النسب، وجيراننا في الدار، ويدنا على العدو، والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام.[١]

اجتمع بنو أمية في دمشق لإنقاذ خلافتهم بما يعرف بـ(مؤتمر الجابية)، فكان الحزب اليمني بقبيلة كلب النافذة في البلاط الأموي بزعامة حسان بن مالك، وموقفه هو التمسك بالأمويين، أما الحزب القيسي الذي استاء من معاوية، ويريد أهل المدينة، فقد وصل مع زعيمه الضحاك بن قيس الفهري إلى مكانة كادت تنافس الحزب اليمني، فقد منحته الأحداث السياسية، بعد وفاة معاوية الثاني مركزًا متقدمًا من خلال منصبه كأمير ببلاد الشام، وفي الوقت نفسه وجد القيسيون في ظل تضعضع الأسرة الأموية في عبدالله ابن الزبير فرصة أخرى لهم مكنتهم من التغلب على الكلبيين، وانتزاع مواقع القوة منهم، وهي المواقع التي اكتسبوها من تحالفهم مع معاوية، فأعلن الضحاك ولاءه لابن الزبير.[٢]

وانتهى المؤتمر، وتمت البيعة لمروان بن الحكم وهكذا اتحدت كلمة اليمنيين، هنا شعر الأمويون بخطر العصيبة القبلية على ملكهم، فاجتمعوا بمرج راهط لتصفية هذه الأحقاد،

---

(١) علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٢٥١.

(٢) الشيخ الأمين محمد عوض الله، تاريخ الدولة الأموية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٥٩.

فمروان ما لبث أن قضى على نفوذ ابن الزبير بالشام بقتله الضحاك بن قيس في مرج راهط، وبهذا تم تدمير قوة القيسيين الذين انهزموا أمام اليمنيين.[١]

ظل القيسيون في بداية عهد عبد الملك بن مروان على ولائهم لابن الزبير، وكان أحد كبار زعمائهم زفر بن الحارث الكلبي الذي فرَّ إلى قرقيسيا وتحصن بها، فقام عبد الملك بمحاصرة زفر، ولكن رجال زفر أظهروا بطولة في الدفاع عن المدينة فقال فيهم عبد الملك بن مروان (لا يعبد الله رجال مضر والله قتلهم لذل وإن تركهم خسارة).[٢]

لجأ عبد الملك إلى المسالمة والمهادنة فانتهى الأمر بمصالحة زفر، وزوَج ابنه مسلمة بن عبد الملك بالرباب بنت زفر بن الحارث، وقد حرص عبد الملك على تحقيق التوازن بين القبائل اليمانية والقيسية، وجعل من أصحابه زفر بن الحارث وابنه الهزيل وعبد الله بن مسعود الفزاري وغيرهم من زعماء قيس، كما كان من أصحابه حسان بن مالك الكلبي ورجاء بن حيوه الكندي وغيرهم من زعماء اليمنيين، وعدل بين الفريقين في مجلسه، وعدل بينهما في وظائفه، فكان يختار ولاته على الأمصار من القيسية غالبًا، بينما يختار موظفي بلاطه من اليمانية.[٣]

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م التي تعتبر فترته انتقال بين حال القوة والتماسك وحال الضعف والتفكك الذي اعترى الخلافة الأموية، فقد كان عمر صالحًا عادلًا، قضى فترة في إصلاح ما أفسده من سبقه من خلفاء بني أمية حتى نال

---

(١) الشيخ الأمين محمد عوض الله، مرجع سابق، ص٦٠.

(٢) ابن الأثير، مصدر سابق، ص٣٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٠.

رضا جميع العناصر الثورية فلم يتعصب لقبيلة دون الأخرى، ولم يول واليًا إلا لكفايته وعدالته، سواء أكان من كلب أو من قيس، فسكنت في عهده الفتن.(١)

لكن زجَّ يزيد الثاني ١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م نفسه في غمرة الصراع القيسي اليمني، فأخذ جانب المضرية، فولَّى أخاه مسلمة بلاد المشرق، ثم ولاها من بعده لعمر بن هبيرة القيسي، وقد اصطبغت الدولة كلها في عهده بالصبغة القيسية، وأصبح العنصر اليمني ضعيفًا خاصة بعد قضائه على أسرة المهلب بن أبي صفرة التي أخلصت في خدمة الأمويين وهي من أزد اليمن.(٢)

انتقل الصراع قيس واليمن إلى الولايات وخاصة في خراسان فقد فرَّق أميرها مسلم بن زياد بين قيس واليمن، وكانت النتيجة أن اقتتل الفريقان في هراه.

حاول هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م أن يعيد التوازن بين القبيلتين، فقد إنحاز إلى جانب اليمنية في أول الأمر بعد إزدياد قوة القيسيين، خاف من هيمنتهم فعزل العمال المقربين وولَّى مكانهم بعض اليمنيين، فقد ولَّى خالد بن عبد الله القسري العراق، كما ولى أخاه أسدًا على خراسان، وقد تعصب الواليان لليمنية وانتقما من القيسية، لكن سرعان ما انقلب الخليفة هشام على اليمنية وانحاز إلى جانب القيسيين.

انضم اليمنية إلى يزيد الثالث١٢٦هـ/٧٤٤م وأوصلوه إلى الحكم فلزم جانبهم وولَّى العمال منهم، فاستغل هؤلاء نفوذهم وأخذوا ينكلون بالقيسيين، فثار هؤلاء في حمص وفلسطين

---

(١) عبد الله فياض، صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧، الطبعة الأولي، ص١٠٥.

(٢) الشيخ الأمين محمد عوض الله، مرجع سابق، ص٢٢٩.

والأردن، وانضم إليهم عدد من رجالات بني أمية، إلا أن يزيد الثالث استطاع أن يتغلب على خصومه بمساعدة اليمنيين.

وأخيرًا انضمت القيسية إلى جانب مروان بن محمد ١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م آخر خليفة أموي، واستفحلت الصراعات العصبية في خلافته، وشملت جميع أنحاء الدولة حتى تصدع البيت الأموي، وأشرف الأمويون على الزوال.[١]

(١) الشيخ الأمين محمد عوض الله، مرجع سابق، ص٢٣٠.

المبحث الثاني

الفئات الدينية

أولًا أهل السنـة:

يعد أهل السنة أكبر طائفة حيث ينتمي إليها الغالبية العظمى من المسلمين، ومن مصادر التشريع الإسلامي السني عندهم القرآن الكريم وسنة النبي محمد المتمثلة في الأحاديث النبوية الصحيحة المنسوبة إليه، كما في صحيحي البخاري ومسلم. ويأخذون الفقه عن الأئمة الأربعة، ويعتقدون بصحة خلافة الخلفاء الأربعة الأوائل أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، ويؤمنون بعدالة كل الصحابة.[١] وبهذا هم يختلفون عن أهل الشيعة في عقيدتهم.

نشأة المذهب:

إن نشأة المذهب تتمثل بنزول الوحي على النبي محمد في غار حراء، وقد سموا أنفسهم بذلك لأنهم متمسكين بسنة وهدى النبي محمد وآله وأصحابه من بعده، ومن أجل التميز عن المخالفين للمذهب السني، ومن الذين بدأوا ينشقون تدريجيًا عن نهج الدين الإسلامي.[٢]

---

(١) مصطفي حلمي، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٤٤.

(٢) ناصر بن عبد الله بن علي العفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، الجزء الأول، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ص ٤٢.

ولم يكن مصطلح أهل السنة والجماعة مشهورًا، لا في العصر الراشدي ولا في العصر الأموي، ولا حتى بدايات العصر العباسي، فقد كان هناك مسلمون فقط وانما بدأت التسمية تنتشر في منتصف العصر العباسي ١٠٥٤م، بعد سقوط الدولة البويهية على يد السلاجقة، وانتشار المدارس النظامية في كبرى الحواضر الإسلامية.[١] وللتفريق عن الشيعة، التي بدأت تسميتها بعد مقتل علي بن أبي طالب على يد الخوارج من أهل الكوفة، ويمكن القول أن الطائفة السنية تميزت كطائفة إسلامية مستقلة في خلافة علي بن أبي طالب، تمييزًا لها عن الخوارج، وعن فرق التشيع بعد صلح الحسن بن علي مع معاوية بن أبي سفيان، إلا أنهم لم يسموا أنفسهم بأهل السنة إلا في منتصف العصر العباسي، بالرغم من بدء التسمية منذ نهاية العصر الأموي، إلا أنها لم تشتهر كما حصل في منتصف العصر العباسي، حيث تجنَّب أقطاب السنة الخوض في الخلاف بينهم لكيلا يتشتت الدين الحنيف، ومنهم ابن عمر وانس بن مالك وسعد بن أبي وقاص، ولم يظهر الانفصال الواضح بين السنة والشيعة بعد، بل كانت هناك حركة انفصالية تدريجية.[٢] وأول من استعمل هذا المصطلح محمد بن سيرين، فيروى بأنه قال: (كانوا لا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فيرد حديثهم).[٣]

(١) ناصر بن عبد الله بن علي العفاري، مرجع سابق، ص٤٥.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٧.
(٣) أبي الحسين مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٩.

تعريف الُسنَّة لغةً واصطلاحًا:

السنة لغة: السيرة والطريقة، حسنة كانت أم قبيحة، وهي مأخوذة من السنن وهي الطريق.[١]

السنة اصطلاحًا: لها معان اصطلاحية متعددة بحسب الفن الذي ترد فيه، فالسنة عند الفقهاء غيرها عند المحدثين، وهي غيرها عند الأصوليين.

لكن يعنينا هنا معناها عند علماء الاعتقاد، وهي عندهم على معنيين، فالأول هو الأصل في إطلاق السنة في اصطلاح السلف، وهو: (ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من العلم والعمل والهدي وكل ما جاء به مطلقًا) وهذا اصطلاح عام، فيشمل التوحيد وغيره، فالسنة بهذا الاعتبار تطلق على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه علمًاوعملًا، اعتقادًا وسلوكًا، خلقًا وأدبًا، وهي السنة التي يجب إتباعها، ويُحمَد أهلُها ويُذم من خالفها، وهي على هذا المعنى مرادفة للدين والشريعة.[٢]

أما الإطلاق الثاني فيقصد به العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة، حيث أطلق السلف مصطلح السنة على أصول الدين، وفرائض الإسلام، وأمور الاعتقاد، والأحكام القطعية في الدين، وعلى هذا أجرى الإمام أحمد وغيره من الأئمة في تصنيفهم كتب الاعتقاد باسم السنة.[٣]

---

(١) مجمع اللغة العربية، معجم الفاظ القران الكريم، ص٦٠١.

(٢) محمد يسرى، علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة (المبادئ والمقدمات)، الطبعة الأولي، ١٤٢٥هـ، ص١٥.

(٣) محمد يسرى، المرجع نفسه، ص١٧.

إقرار فقهاء أهل السنة بخلافة بني أمية:

يرى الفقهاء في العصر الأموي أن الإمامة في قريش وحدها، وأن تختار الإمام عن مشورة منها، وأن بيعته لا تنعقد إلا بإجماعها.

ويلاحظ أن أكثر الفقهاء في ذلك العصر تقبلوا خلافة بني أمية، وأفتوا بأنها خلافة شرعية، ويظهر أنهم فعلوا ذلك لثلاثة أسباب: الأول أنه يجوز أن يكون بعض الخلفاء من بني أمية، لأن شرط النسب والقرشية تحقق فيهم، والثاني أنه لا يصح الخروج عليهم، لأن الأمة بايعت لهم، والثالث أنه يجب الأخذ برأي الجماعة، لأنه أقرب إلى الصواب والحق، وأبعد عن الضلال والباطل، ولأنه أدعى للسلامة والعافية، وأنفى للإختلاف والفرقة.

ومن أقوى الأدلة على تسليم أكثر الفقهاء في ذلك العصر بخلافة بني أمية أنهم دخلوا في طاعتهم، وأعطوهم بيعتهم. ومن كبار فقهاء المدينة الذين أقروا بخلافتهم، ولم يختلفوا عن مبايعتهم عبد الله بن العباس، ومحمد بن الحنفية، وعبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب.[١]

ومن كبار فقهاء العراق الذين بايعوا لهم الحسن بن أبي الحسن البصري، وسعيد بن جبير الأسدي الكوفي، وعامر بن شراحبيل الشعبي الكوفي.

---

(١) حسين عطوان، الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولي، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٢.

ولم يتأخر أحد من فقهاء الشام عن بيعتهم، بل إنهم كانوا أخلص شيعتهم وأصدقهم في نصرتهم، وأحرصهم على دولتهم.

وإنما ذكرت أسماء قلائل من كبار فقهاء الأمصار الذين بايعوا لبني أمية، وأقروا بخلافتهم، لأنهم كانت لهم مواقف واضحة من بعض الأحداث السياسية المهمة، أما سائر الفقهاء فإن البيعة كانت تؤخذ منهم كما تؤخذ من جميع الناس عند قيام كل خليفة.[1]

عمل فقهاء أهل السنة مع بني أمية:

أعرضَ قليلٌ من الفقهاء عن العمل مع بني أمية وولاتهم تورعًا وتحرجًا، إذ كان بعضهم يخاف أن يجانب الصواب في العمل فيقع في الإثم. فقد أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد الهمداني الدمشقي القضاء فرفض، وأحب الحجاج بن يوسف أن يولي أبا قلابة الجرمي البصري القضاء ففرَّ إلى الشام، ورغب عمر بن عبد العزيز أن يولي هانئ بن كلثوم القضاء فاستحى، ورغب أن يولي مكحولًا القضاء فأبى.[2]

لكن جمهور الفقهاء اتصلوا ببني أمية وولاتهم، وعملوا معهم، ونذكر منهم أمثلة معدودة، فمن الفقهاء من تولى بعض الأمصار كالمغيرة بن شعبة الثقفي والضحاك بن قيس الفهري، والنعمان بن بشير الأنصاري الدمشقي، وهم من الفقهاء، وكلهم تولى الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان.

---

(١) حسين عطوان، مرجع سابق، ص١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٤١.

ومنهم من تقلد بيت المال والخراج مثل ميمون بن مهران الجزري، ومنهم من تولى الشرطة مثل خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، فإنه كان على شرطة معاوية. ومن الفقهاء من كانت له مكانة خاصة عند بني أمية وعمالهم، وكان يعمل كالمستشار لهم مثل روح بن تباع الجذامي الفلسطيني، فقد كان عبد الملك بن مروان يستشيره في أموره، وكان له كالوزير لا يكاد يفارقه، وكان عبد الملك معجبًا به إعجابًا شديدًا، فكان يقول: جمع أبو زرعة طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز.[١]

من أهم فقهاء الذين انصفوا بني أمية:

ابن تيمية: فهو يتعقب شبهات الشيعة والمعتزلة عن الأمويين، ويناقشها ويرد عليها، ومن أبرزها الشك في جدية إسلام بعض كبار الأمويين، بدعوى أنهم من الطلقاء الذين أسلموا بعد الفتح لما لم يكن أمامهم غير الإسلام، فيرى أن كلمة الطلقاء ليست بصفة ذم، فإن الطلقاء غالبيتهم ممن حسن إسلامهم، وكانوا من خيار المسلمين[٢] ومعاوية ممن حسن إسلامه، وكذلك حسن إسلام أبيه أبي سفيان بن حرب وأمه هند بنت عتبة، وقد أصبحت مكانته عظيمة في الإسلام منذ عهد عمر بن الخطاب.

---

(١) حسين عطوان، مرجع سابق، ص٤٢-٤٥

(٢) تقي الدين أحمد بن تيمية، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال "مختصر منهاج السنة" اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، وكالة الطباعة والترجمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ص٢٦٠.

ويرد ابن تيمية الأحاديث الموضوعة التي يزرعها أعداء الأمويين في ذم بني أمية علي لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم على بعض ولايته.

وينص ابن تيمية على العلاقات الوثيقة بين بني أمية وبني هاشم، فهما ينتميان معًا إلي جد واحد هو عبد مناف، وما زالوا متفقين في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي إمرة الشيخين أبي بكر وعمر، ولما وقع القتال بين علي ومعاوية كانا أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين.(١) لم يكن معاوية رضي الله عنه يشك في فضل علي رضي الله عنه عليه، كما ذكر ذلك عنه ابن كثير حيث يقول: " وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: هل تنازع عليا أم أنت مثله ؟ فقال: والله إني أعلم أنه خير مني وأفضل وأحق بالأمر مني. "ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال "ويحك!! إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم".(٢)

إن خلفاء الدولة الأموية نصروا الإسلام، وفتحوا البلدان، وكسروا الصلبان، وذكر ذلك ابن حزم رحمه الله الذي نطق بها بيانا بعد انقضاء آخر معاقل الدولة الأموية في الأندلس، وبدأ عصر ملوك الطوائف فقال: "فسار منهم من بني أمية عبد الرحمن بن

---

(١) تقي الدين أحمد بن تميمة، مصدر سابق، ص٢٦١.

(٢) أبو حسام الأعظمي، الدولة الأموية والسنة النبوية، مركز سلف للبحوث والدراسات "١٤٣٨هـ/٢٠١٧م"، ص ٤.

معاوية إلى الأندلس، ومَلكها هو وبنوه، وقامت بها دولة بني أمية ثلاثمائة سنة، فلم يكن في دول الإسلام أنبل منها ولا أكثر نصرا على أهل الشرك، ولا اجمع لخلال الخير.[١]

ومهما يكن من أمر فإن الدولة الأموية لا يعرف أحد من خصومهم اتهمهم بوضع الأحاديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر ما يروى من الأكاذيب والمبالغات مأخوذ من المستشرقين الحاقدين علي الإسلام وتاريخه، ولا غرابة ولا عجب من حقدهم على هذه الدولة، إذ كانت هي السبب في دخول الإسلام عقر دارهم، وحولت كثيرًا من ممالك الدولة الرومانية الشرقية إلى ممالك إسلامية.[٢]

فأما عن الصحابة فحاشاهم أن يتركوا النهي عن المنكر وإنكاره خوفا أو مجاملة ولنتأمل الراويات والأخبار الصحيحة التي نقلت عنهم في ذلك العصر، فهي تعطينا صورة مقاربة لطبيعة العلماء مع حكام بني أمية.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه "باب الخروج إلى المصلى بغير منبر" ثم روي عن أبي سعد الخدرى، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى؛ فأول شي يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم يقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد أن يقطع بعثا قطعه، أو يأمر بشي أمر به، ثم ينصرف". قال أبو سعد: "فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان، في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا

---

(١)أبي محمد علي بن أحمد (ابن حزم الأندلسي)، رسائل ابن حزم الاندلسي، المحقق إحسان عباس، الجزء الثاني،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، ص١٤٦.

(٢) أبو حسام الأعظمى، مرجع سابق، ص ٨.

مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجذبت بثوبه، فجبذني، فارتقى فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله، فقال أبا سعيد: قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة".[١] وعند مسلم فقام إليه رجل فقال: (الصلاة قبل الخطبة ومد بها صوته).[٢]

فتأمل كيف أن إنكار المنكر سمة ظاهرة في ذلك العصر، وكيف قام رجل وانتقد فعلهم، مع أن مروان صنعه بتأويل، وتأمل فعل أبي سعيد ورد فعل مروان على كل هذا.

روى البخاري من حديث سعيد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر حيث أصابه سنان رمح في اخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب فنزلت فنزعتها وذلك بمنى، فبلغ الحجاج فجعل يعوده فقال الحجاج لو نعلمما أصابك، فقال ابن عمر أنت اصبتني قال وكيف؟ قال حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه، وأدخلت السلاح الحرم ولم يكن السلاح يدخل الحرم" [٣]. أيضا من الإنكار إنكار أبو هريرة رضي الله عنه على مروان في التصوير، فعن أبي زرعة قال: "دخلت مع أبي هريرة في دار مروان فرأى فيها تصاوير، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة".[٤]

---

(١) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري (كتاب العيدين)، المكتبة الإسلامية ص ٥٢٧.

(٢) أبي الحسين مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، المجلد الأول، ص٣٧٢.

(٣) محمد بن اسماعيل البخاري، مصدر سابق، ص ٥٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٦٧.

فهل يتصور بعد هذا أن يقوم علماء الصحابة بوضع أحاديث مجاملة لبني أمية أو نفاقا أو كرها في شيعة علي وأهل البيت؟[١]

ثانيًا: المعتزلة:

تعريف المعتزلة في اللغة والاصطلاح:

أ- **في اللغة:** المعتزلة من الاعتزال، مأخوذ من اعتزال الشئ، تعزله بمعنى تنحى عنه، ومن تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، ومن قوله تعالى "إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون".[٢] أراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا معي ولا عليَّ.

فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.[٣]

ب- **في الاصطلاح:** هو اسم أطلق على أول مدرسة كلامية واسعة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري وأوجدت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية.[٤]

أصل تسمية المعتزلة:

التفسير الشائع الذي ورد في كتاب الفرق كالبغدادي والشهرستاني وغيرهما والذي يفيد أن كلمة المعتزلة لفظ أطلقه أعداؤهم من أهل السنة عليهم، للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم وتركوا مشايخهم القدامى، واعتزلوا قول الأمة الإسلامية بأسرها في مرتكب الكبيرة فهم

---

(١) أبو حسام الاعظمي، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) سورة الدخان الأية ٢١.

(٣) ابن منطور، مصدر سابق، الجزء الحادي عشر، ص٤٤٠.

(٤) عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٨٣.

بهذا الاعتبار إسم يتضمن نوعًا من الذم، واتهامًا واضحًا بالخروج على السُنَّة والجماعة، فالمعتزلي هو المخالف والمنفصل.(١)

يقول الشهرستاني "دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكَفّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيديه الخوارج وجماعه يرجون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الأيمان بل العمل علي مذهبهم ليس ركنا من الإيمان فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ ففكر الحسن في ذلك قبل أن يجيب قال واصل بن عطاء أنا لا اقول بأن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به الجماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه من المعتزلة.(٢)

ويقول البغدادي أن واصل بن عطاء زعم أن الفاسق من الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، وأن الحسن البصري لما سمع ذلك منه طرده

(١) عرفان عبد الحميد، مرجع سابق، ص٨٤.

(٢)الإمام آبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنخل، صححه وعلق عليه الأستاذ احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٤٢.

من مجلسه، وانضم إليه صديقه عمرو بن عبيد، فقال الناس فيهما أنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة انتهى كلام البغدادي. بتصرف.[(١)]

العقائد والأفكار عند المعتزلة:

بدأت المعتزلة بفكرة أو بعقيدة واحدة، ثم تطور خلافها فيما بعد، ولم يقف عند حدود تلك المسألة بل تجاوزها ليشكل منظومة من الأفكار والعقائد التي في مقدمتها الأصول الخمسة الشهيرة، والتي لا يعد معتزليا من لم يقبل بها، وأنه لا يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة وهي.[(٢)] التوحيد، العدل والوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والأصول الخمسة هي التي تمثل الخط العام لفكرة المعتزلة، وهذه الأصول لم تتكون دفعة واحدة بل مرت بمراحل نشأة المعتزلة وتطورها، وأولها من الناحية التاريخية هو أصل المنزلة بين المنزلتين.[(٣)]

الأصول الخمسة هي :

١- **التوحيد:** هو الأصل الأول من أصول المعتزلة الخمسة وإن وحدانية الله تعالي أصل من أصول الدين هو أول وأهم أصل قام عليه الإسلام عندهم يدور حول ما يثبت لله وما ينفى عنه من الصفات، ويدل على ذلك تعريفهم له، أن التوحيد في أصل اللغة عبارة عما به يصير الشئ واحدًا، أيضًا في الاصطلاح يعرفونه بأنه هو العلم بأن الله تعالى

---

(١) عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٥.

(٢) عرفان عبد الحميد، مرجع سابق، ص٨٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٤.

واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه، والإقرار به.[١]

٢- **العدل:** هو الأصل الثاني، وعلاقة هذا الأصل بسابقه هو أن البحث في العدل عند المعتزلة بحث في أفعال الله تعالى وأفعاله تأتي بعد إثباته وإثبات صفاته، وعلى ذلك فإن معنى العدل بعد التوحيد لأنه ينبني عليه، والمراد بالعدل هو أن أفعال الله تعالى كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه.[٢]

٣- **المنزلة بين المنزلتين:** هو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الإسمين وحكم بين حكمين، وهذه المسالة تتعلق بمسالة الأسماء والأحكام وقد اختلف الناس فيها، فذهب الخوارج إلي أن صاحب الكبيرة كافر وذهبت المرجئة إلى انه مؤمن وذهب الحسن البصري.* إلى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، وإنما يكون منافقا وإلى هذا ذهب عمرو بن عبيد وكان من أصحابه، وذهب واصل بن عطاء.* إلي أن صاحب الكبيرة لا يكون مؤمنًا ولا كافرًا ولا منافقًا بل يكون فاسقًا.[٣]

---

(١) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٢.

* هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، أشهر من أن يعرف وينسب له القاضي رسالة في العدل والتوحيد أرسها إلى عبد الملك بن مروان ويضعه في الطبقة الثالثة من رجال الاعتزال.

* هو شيخ المعتزلة المشهور يكني بابي حذيفة يلقب بالغزالي وقال المبرد: لم يكن غزال لكنه كان يلازم الغزالين وكان احد الخطباء المشهورين استطاع أن يتجنب الراء في خطبه حتى لا تظهر لثغته، لازم الحسن البصري ثم اعتزله في مشكلة مرتكب الكبيرة ذكره القاضي والحاكم وابن مرتضى في الطبقة الرابعة.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٧.

٤-**الوعد والوعيد:** فقد قالوا فيه أن الله تعالى صادق في وعده وفي وعيده وذلك يوم القيامة لا مبدل لكلماته فلا يغفر الكبائر إلا بعد التوبة، فإذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها خلد في النار، وكان عذابه أخف من عذاب الكفار، لذلك فان المعتزلة أنكروا الشفاعة يوم القيامة وتجاهلوا الآيات القرآنية التي تقول بها، وتمسكوا بالآيات التي تنفيها لأن الشفاعة تتعارض مع الوعد والوعيد فلا يستطيع أحد أن يشفع عند الله لأحد ويجعله ينجو من العقاب بل تجد كل نفس يومئذ من الثواب بقدر عملها الصالح، ومن العذاب بقدر عملها السيئ.(١)

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** أجمعت المعتزلة، إلا الأصم، على وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف وكيف قدروا علي ذلك.(٢)

المعتزلة في العصر الأموي:

أراد معاوية بن أبي سفيان بعد ان استقر له الأمر أن يثبت في أذهان الناس أن امرته علي المسلمين إنما كانت بقضاء الله وقدره، فأشاع الفكرة وشجع مذهب الجبر، وأخذ هو وخلفاء بني أمية بعده يثبتون الفكرة بمختلف الوسائل، إذ بدا لهم أن القول بالجبر يبرر

(١) أبي الفتح محمد (الشهرستاني)، مصدر سابق، ص٣٩.

(٢) أبي الحسن علي بن اسماعيل الشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الجزء الأول، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٣٣٧.

كل ما كان يأتون به من مظالم، فعملوا أن يفسر الناس كل ظلم هو بقضاء الله وقدره.[1] فمثلا قيل بأن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد أمر أن ينادى في الناس "إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ".[2]

كان من الطبيعي أن يثير هذا التبرير ردود فعل من أكثر من جهة، وكان أبرز من تصدى لهذه الجبرية العمياء أولئك الذي أطلق عليه خصومهم اسم (القدرية) أي الذين قالوا بقدرة الإنسان على إتيان أفعاله، أي هو مخير غير مجبر. أما الخوارج كان رد فعلهم مركزًا لا على فكرة الجبر ذاتها بل علي سلوك الأمويين الذين ارتكبوا الكبائر من قتل وعسف بغير حق، فقالوا إن مرتكب الكبيرة كافر يجب قتله، ومن هنا يمكن أن تتصور حجم الفتنة الفكرية التي أثاروها بالصاقهم تهمة الكفر بمرتكب الكبائر من هذا النوع. وفي هذا الجو من الفوضى والشك والحيرة ظهرت المعتزلة، وكانت محايدة، فقالت مرتكب الكبيرة فاسق ارتكب معصية، ولكن دون أن يسقطوا عنه صفة الإيمان ولا الإسلام استنادا على أنه ينطق بشهادة الإسلام.

كان واصل بن عطاء تلميذًا للحسن البصري، على أن الحسن البصري قد قاوم الجبر الأموي بتقريره لقدرة الإنسان على الفعل، وبالتالي مسؤوليته عما يفعل، وأنه في مسألة مرتكبي الكبيرة لم يخرج من دائرة المنطق الثنائي إلا بإحالة الحكم في هذه المسألة إلى المشيئة الإلهية، وذلك بتقرير أن مرتكب الكبيرة مؤمن عاصي إن شاء الله غفر له. وهذا

---

(١) عرفان عبد الحميد، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٢) اجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلقه عليه (محمد يوسف، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الخالق)، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية، ص٩٧.

الموقف وإن كان يعبر في الوقت نفسه على رفض لأيدلوجية التكفير الخوارجية فإن إدانته للأمويين ادانة خفيفة (مؤمن عاصي وان شاء الله غفر له) فانه ينطوي في ذات الوقت على نوع من التساهل في مسالة الوعد والوعيد، وذلك انه إذا كان الله سيغفر لمؤمن عاصي فمعنى هذا انه سيخلف وعيده، علما بأن الله توعد مرتكبي الكبائر بالعقاب الشديد، ومثل ذلك يقال بالنسبة لوعده أصحاب الحسنات بالثواب، والتساهل في الوعد والوعيد يؤدي حتما إلي تزكية ادعاء الخلفاء الأمويين بأنهم لا يجري عليهم حساب ولا عقاب، وهكذا تعود إلى وضعية: (إما ... إما) أيدلوجية التكفير، وإما أيدلوجية الجبر وما يرتبط بها من قول باستثناء الخلفاء الأمويين من العقاب.

وللخروج من هذا المنطق الثنائي القيمة عالج واصل بن عطاء هذه المسالة على مستوى منطق ثلاثي القيمة، فقال أن مرتكب الكبيرة يقع بمنزلة بين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر، وهي منزلة الفاسق الذي هو لا مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا، بحسب ما نقله عنه الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل".(١)

سبق أن ذكرنا أن نشأة المعتزلة كانت في بداية القرن الثاني الهجري، فإن حياة هذه الفرقة من المسلمين قد استمرت مع شيء من التقلبات قوةً وضعفًا، حتى نصل إلى القرن

---

(١) محمد مهند مراد ايهم، المعتزلة، السبت ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٧م، موقع أهل القرآن، عن طريق الإنترنت، الشبكة العنكبوتية.

الرابع الهجري، حيث بلغوا ذروة تطورهم وازدهارهم وانتشار مذهبهم، وخصوصا في عصر المأمون (١٧٠-٢١٨هـ) حيث أصبح مذهبهم المذهب الرسمي للدولة.[١]

إن مدرسة المعتزلة قد بدأت بمواطنين من البصرة هما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وكانت فترة نشاطهما أثناء خلافة هشام وخلفائه الأمويين، أي من سنه ١٠٥هـ إلي سنة ١٣١هـ.[٢]

وبصورة عامة يمكننا القول أن المعتزلة لم يكونوا على وئام تام مع السلطة أثناء العصر الأموي، ولذلك فإن مذهبهم لم يكتب له كبير انتشار في هذا العصر فكان حالهم في ذلك العصر كحال سائر المذاهب الإسلامية الأخرى، إلا إذا استثنينا بعض الفترات القصيرة التي انتعش فيها مذهبهم، وشهد فيها بعض التطور والمكنة نتيجة لبعض المحاولات الفردية التي كانت نتيجتها عقد بعض العلاقات الودية مع بعض الخلفاء الأمويين، وهو ما كان يسعى إليه دوما زعماء المعتزلة لكي يضمنوا لمذهبهم الانتشار والتمكن.[٣]

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، (حققه عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب)، الجزء الرابع، دار المعارف ١٩٧٧م، الطبعة الخامسة، ص٢٣.

(٢) م.ت هوتسما، ت.و.أرنولد: ر. باسيت: ر. هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، المحقق (إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، حسن حبشي، عبد الرحمن الشيخ، محمد عناني)، الجزء الثلاثون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولي، ١٤٨٩هـ/١٩٩٨م ، ص٢٤.

(٣) فالح الربيعي، تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٢٣.

ومن أولئك الخلفاء الأمويين الذين جمعتهم علاقات ودية مع المعتزلة، إلى حد اعتناق آرائهم الوليد بن يزيد، ومروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين، والذي قيل أنه كان تلميذًا لأحد أعلام المعتزلة وهو: الجعد بن درهم".

ومع ذلك فان مسيرة التطور الحقيقي الذي كان من نصيب المعتزلة في التاريخ الإسلامي لم يكن إلا مع بداية العصر العباسي.(١)

ثالثًا: الخوارج:

الخوارج في اللغة جمع خارج. أي منفصل.(٢)

وفي الاصطلاح: من خلع طاعة الإمام الحق، والمراد هنا، طائفة مخصوصة كان أول خروجهم على أمير المؤمنين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وللخوارج أسماء شتى، منها المحكمة، الشراة، الحرورية، النواصب، المارقة، حيث أطلق عليهم لفظ المحكمة لترددهم عبارة "لا حكم إلا لله"، وأطلق عليهم لفظ الشراة لأنهم زعموا أنهم شروا أنفسهم لله عز وجل، أي باعوها، إذ الشراة جمع شار كقضاة وقاض. أما لفظ الحرورية فلأنهم حينما خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه انحازوا إلى قرية حروراء، وهي قرية بجوار الكوفة. ولفظ النواصب لمبالغتهم في نصب العداء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقد غلب هذا اللقب على كل من غالى في

---

(١) فالح الربيعي، مرجع سابق، ص٢٤.

(٢) ابن منظور، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٢٣١.

بغض أمير المؤمنين رضي الله عنه. أما لفظ المارقة لما فهموه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم "يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية".[١]

فرق الخوارج:

تنقسم الخوارج إلى سبع فرق رئيسية كبرى: وهي المحكمة الأولى، الأزاقة، النجدات الصفرية، العجاردة، الإباضية والثعالبة.

وتتفرع من هذه الفرق فروع شتى، ويجمع هذا الفرق كلها الاتفاق على تكفير علي وعثمان رضي الله عنهما، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضى بالتحكيم، ومن صوب الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على الإمام إذا جار ولو في نظرهم فقط.[٢]

نشأة الخوارج:

بداية ظهور الخوارج كانت بعد موقعة صفين، وما جرى فيها من أمر التحكيم، وأنهم خرجوا على الطائفتين جميعًا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر بهم وذكر حكمهم، ولكن هذ لا يعني البتة أنهم ظهروا هكذا دون مقدمات، حيث يبدو أن ثمة عوامل متعددة قد تضافرت في نشأة هذه الفرق الضالة المضلة، ولم تكن مسألة التحكيم إلا الحافز أو السبب المباشر الذي أدى إلى ظهورها.

إن ظهور الخوارج بعد التحكيم كفرقة لها عقائدها وأفكارها وأراؤها وأهدافها وتطلعاتها الخاصة لا يعني البتة أن بذورها الخبيثة لم تكن موجودة، حيث ثبت أن بذرتها الأولى

---

(١) عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مكتبة فهد الوطنية، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣ هـ، ص١٦٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٨.

ظهرت زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إليهم من خلال حديث ذي الخويصرة (حرقوص بن زهير) الذي يعرف في السنة المطهرة بحديث الخوارج.[١]

المبادئ العامة للخوارج:

تنوعت فرق الخوارج وكثرت، ولا شك أن كثرة هذه الفرق يعني اختلافها فيما بينها في بعض الأمور التفصيلية، لكن يجمعها بعض المبادئ الأساسية المشتركة ومن أهم المبادئ التي يقول بها معظم الخوارج: [٢]

رأيهم في الإمامة: موضوع الإمامة قد استحوذ على فكر الخوارج، إذ يرى الخوارج وجوب الإمامة، ماعدا فرقة النجدات، ويقول ابن حزم "اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم" إلا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة انما عليهم أن يتعاطوا الحق فيما بينهم.[٣] ولقد علق الخوارج أهمية كبيرة على الإمامة، ورأوا في صلاحها صلاح للأمة، وفي فسادها فساد الأمة.[٤]

---

(١) أحمد عوض أبو الشباب، الخوارج (تاريخهم، فرقهم، وعقائدها)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص١٨.

(٢) على عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل و دارسة)، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ص ١٧٢.

(٣) ابي محمد بن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الجزء الرابع، دار الجيل، بيروت، ص٨٧.

(٤) الشهرستانى، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٧١.

أما شروط الإمامة فيرى الخوارج أنه يجوز أن يكون الإمام غير قرشي، فكل من ينصبونه برأيهم ويعاشر الناس ما امتثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إمامًا.[١] وتمسك الخوارج بأن القرآن لم يذكر نسلًا معينًا يكون منه الإمام، بل اشترط العدل فقط في الحاكم.

أما عن باقي الشروط اللازم توفرها في الإمام، فلا خلاف كبير بين الخوارج وغيرهم في تلك الشروط، ومن ذلك ضرورة أن يكون عالمًا بالدين مجتهدًا فيه وله خبرة بأمر الحروب، واقامة العدل، علاوة على بعض الشروط العامة التي يجب توافرها فيه، كأن يكون مسلمًا حرًا، وسليم الأعضاء، بالغًا، عاقلًا، وأن يكون ذكرًا، ولا تجوز الإمامة للمرأة، وجميع الخوارج يقولون باستخدام السيف لإزالة أئمة الجور ومنعهم أن يكونوا أئمة. وتاريخ الخوارج كان تطبيقًا عمليًا لذلك الرأي، فقد كانوا يجاهرون به معظم الأحيان، ويطبقونه كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تبرأوا ممن كان يوالي السلطان ولو كان منهم.[٢]

رأيهم في خلود صاحب الكبيرة: أجمع الخوارج على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات، فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه وتعالى يعذب أصحاب الكبائر عذبًا دائمًا.[٣] وهذا الموقف المتشدد من الخوارج تجاه أصحاب الذنوب هو نتيجة لاعتبارين: الأول موقفهم المتشدد والمتطرف في الدين، فقد كانوا أهل عبادة وتقوى، وتمسكوا

---

(١) الشهرستانى، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٥٧.

(٢) أبو الحسن الأشعري، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٧٩.

(٣) المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ١٦٨.

بظواهر النصوص، ولم يقبلوا التهاون أو التفريط في حد من حدود الله. والثاني: هو جعلهم العمل من الإيمان وركن من أركانه الأساسية فالإيمان عقد، والعمل أحد أركان هذا العقد، ومن أخلَّ بأحد شروط العقد سقط العقد كله، وخرج من الإيمان إلى الكفر.[١]

الخوارج في العصر الأموي:

إن الخوارج الذين أظهروا معارضة شديدة لاتفاق التحكيم، كانوا ساخطين على معاهدة الصلح التي جرت بين الحسن ومعاوية، لأنهم وجدوا فيها خطرًا يتهددهم ويضع حدًا لطموحاتهم وأطماعهم، لذلك لم ينتظروا كثيرًا في إعلان الثورة على معاوية، فخرجوا عليه منذ الأيام الأولى لبيعته، وكان أول الخارجين عليه فروة بن نوفل الأشجعي وذلك سنة إحدى وأربعين للهجرة.

أقبل معاوية من الكوفة حتى نزل النخيلة، وأقبل الخوارج عازمين على القتال وأرسل معاوية إلى أهل الكوفة مهددًا ومتواعدًا برفع الأمان عنهم إن لم يكفوا هؤلاء الخوارج. استعمل الخوارج عليه عبد الله بن أبي الحوساء، فقاتلهم أهل الكوفة وقتلوهم، وقتل ابن أبي الحوساء.[٢]

لما قتل ابن أبي الحوساء، اجتمع الخوارج من جديد فولوا أمرهم حوثرة بن وداع بن مسحود الأسدي وخرجوا لمقاتلة الأمويين، فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له: أخرج إلى

---

(١) علي عبد الفتاح المغربي، مرجع سابق، ص١٧٦–١٧٧.

(٢) احمد عوض أبوالشباب، مرجع سابق، ص١٣٧.

ابنك فلعله يرق إذا رآك، ولكن هذا الأمر لم يأت بأي نتيجة، فسيَّر اليهم عبدالله بن عوف الأحمر وانتهى الأمر بقتل حوثرة وأصحابه.(١)

عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن الكوفة، واستعمل مكانه المغيرة بن شعبة، ومنذ الأيام الأولى لولايته، خرج عليه طوائف من الخوارج، مستغلين السياسة التي اتبعها في إدارة البلاد، والتي اتسمت باللين والتسامح، حيث أحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، وكان يؤتى فيقال له: إن فلانًا يرى رأى الشيعة، وفلانًا يرى رأى الخوارج، فيقول: قضى الله أن لا يزالوا مختلفين، وسيحكم الله بين عباده فأمنه الناس.(٢)

إلا أن الخوارج استغلوا هذه السياسة، فخرجوا عليه منذ الأيام الأولى لولايته، فكان أول الخارجين عليه فروة ابن نوفل الأشجعي، إلا أن المغيرة تمكن من القضاء عليه وقتله. ثم خرج بعد ذلك معين بن عبد الله، وبعده أبو مريم، وبعده أبو ليلى ثم حيان بن ظبيان السلمي وتم اعتقاله، ولما علم المستورد بن علقمة باعتقاله خرج مسرعًا إليهم، ولكنهم لم ينجحوا جميعًا في القضاء على الأمويين.

وعلى العموم فقد نجح المغيرة في القضاء على الخوارج في الكوفة وما حولها إلا أن السياسة التي اتَّبعها معهم (والتي اتسمت باللين في كثير منها) كما ذكرنا سابقًا، كانت موضع جدل، فعلى الرغم من نجاحه في القضاء على ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى، وبدهاء وحكمة، فإنه لم يكن عنيفًا في أخذه لهم، حتى يبدو وكأنه يطمع بعودتهم عن

(١) ابن الاثير، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٠.

غايتهم ليعفو عنهم جميعا، فقد جاءه عبد الله بن عقبة الغنوي الخارجي، الذي كان رسول المستورد بن علفة إلى سماك بن عبيد الأزدي، فعفا عنه.(١)

في سنة ٤٥هـ/٦٦٥م حين ولّى معاوية زياد بن أبي سفيان على العراق، وكانت السياسة التي اتبعها تتسم بالحزم والشدة والتي نجحت إلى حد ما في إضعاف الخوارج، وبالرغم من ذلك فقد خرج اثنين من رؤساءهم على زياد وذلك سنة ٤٦هـ/٦٦٦م، وهما سهم بن غالب الجهيمي وقد ثارفي الأهواز، والثاني هو الخطيم،ولكن تمكن زياد منهما، فقتل سهم وصلبه، ونفى الخطيم.(٢)

وقد تشدد زياد في ملاحقة الخوارج، وامتدت ملاحقته لهم إلى نسائهم، قتلا وملاحقة، فلم تكن تأخذه فيهن رحمة ولا هوادة، وخاصة أنهن كن يشاركن الرجال في الحملات العسكرية، وخرج الخوارج ذات مرة ومعهم امرأة، فلما ظفر بها زياد قتلها وعراها، فلم تخرج النساء بعد ذلك، وكن إذا دعين إلى ذلك قلن: لولا التعرية لسرعنا.(٣)

ولم تطل مدة ولاية زياد حيث وافته المنية في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين فتنفس الخوارج الصعداء، وقد تخلصوا من عدو لدود طالما أذاقهم الأمَرَّين.

الخوارج وابن الزبير:

أتاحت أجواء الفتنة التي انطلقت بعد موت يزيد، فرصة طيبة للخوارج للانطلاق من جديد، وكان قد التفَّت جماعة منهم حول عبدالله بن الزبير، يؤازرونه ضد خصومه، منهم

---

(١) أحمد عوض أبو الشباب، مرجع سابق، ص١٣٩–١٤١.

(٢) ابن الاثير، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٢٢٥.

(٣) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٨٥.

نافع بن الأزرق، وعبدالله بن إباض.[١] وكان يجمع الطرفين (الخوارج وابن الزبير) في تلك المرحلة هدف واحد وهو التصدي للجيش الشامي، ومنعه من دخول مكة فرغم أوضاعهما التي كانت مختلفة، فابن الزبير الذي رفض البيعة ليزيد بن معاوية، وانتقل إلى مكة واحتمى فيها بالحرم صار منذ مقتل الحسين بن علي أبرز المعارضين للحكم الأموي. أما الخوارج فكانوا منقسمين إلى فريقين قدما من منطقتين مختلفتين، ولم يكن بينهما على ما يبدو اتفاق مسبق حول الطريقة التي سيتعاملون بها مع ابن الزبير. فكل ما اتفقوا عليه وجمعوا على أساسه أصحابهم هو حماية الحرم من هجمات الجيش الشامي.[٢]

وقد تواصلت مشاركة الخوارج إلى حين فك الحصار عن مكة.[٣] والذى تم مباشرة بعد وصول خبر موت يزيد بن معاوية، واختلاف الشاميين بعده، فقد رفض الجيش الشامي مواصلة الحرب من دون خليفة، فقرر قائده الحصين بن نمير الانسحاب، فاسحًا المجال أمام ابن الزبير لإعلان نفسه خليفة.[٤]

فلما استقر الأمر لابن الزبير، أقبل الخوارج بعضهم على بعض يتلاومون، بسب تأييدهم لابن الزبير، من قبل أن يعرفوا رأيه في عثمان بن عفان، فاجتمعوا إليه فسألوه عنه، فأجابهم فيه بما يسوؤهم، وذكر لهم ما كان يتصف به من الإيمان والتصديق، والعدل

---

(١) أحمد عوض الشباب، مرجع سابق، ص١٥٥.

(٢) لطيفة البكاي، حركة الخوارج (نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي ٣٧-١٢٣هـ) دار الطبعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص١٠٠.

(٣) البلاذري، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٠.

والإحسان، والسيرة الحسنة والرجوع إلى الحق إذا تبين له وعند ذلك نفروا منه وفارقوه.(١)

وبالرغم من ذلك بقى جزء من الخوارج مع ابن الزبير في مكة، وأغلبهم في اليمامة، فقد قرر الخوارج مبايعة ابن الزبير إن تبنَّى مواقفهم وكفَّر عثمانًا وعليًا اللذين خالفا القرآن، ويدعو هذا الموقف إلى الاستغراب لأن ابن الزبير لا يتفق مع الخوارج في الحكم على عثمان وعلي وهذا الأمر يؤكد منطق الخوارج اللاسياسي، كما أن هذا المنطق اللاسياسي ميَّز الخوارج منذ ظهورهم، وهو الذي جعلهم يفشلون في التحالف مع كل الحركات المعارضة للدولة الأموية.(٢)

أمر الخوارج من عبد الملك إلى نهاية الدولة الأموية:

إن أمر الخوارج زمن عبد الملك بن مروان كان هو نفس حالهم منذ بداية نشأتهم إذ يولون عليهم أميرًا منهم، ثم يخرجون حركة تلي الأخرى. ولما آل أمر العراق لعبد الملك بن مروان بعد مقتل مصعب بن الزبير، استعمل خالد بن عبدالله القسري، حيث أن خالدًا عين أخاه عبد العزيز بن عبد الله لحرب الخوارج، فسار في طلبهم، ومعه مقاتل بن مسمع، فهزمهم الخوارج، بعد أن قتلوا مقاتل بن مسمع، ثم بعد ذلك أمدهم عبد الملك بخمسة آلاف رجل عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فسار خالد إلى الخوارج لكنهم ولوا مدبرين.(٣)

---

(١) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٣٩٧.

(٢) لطيفة البكاوى، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص١٠٣.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٣٩٨.

ثم أرسل بشر بن مروان (بأمر من أخيه عبد الملك) عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف من أهل الكوفة في طلب الأزارقة.[١]

أيضًا خرج أبى فديك الخارجي، فأرسل إليه أمية بن عبد الله في جند كثيف، فتمكن أبي فديك من هزيمتهم. ولما استفحل الامر أرسل عبد الملك إليه عمر بن عبيد الله بن معمر فقتلوه، وجماعةً كثيرة من أصحابه، وذلك سنة ثلاث وسبعين وهكذا ضعف أمر الخوارج.[٢]

وايضًا كان المهلب بن أبي صفرة يلاحق الخوارج، وبالرغم من الضربات الموجعة التي كان يوجهها لهم، إلا أنهم من حين إلى آخر كانوا يخرجون كلما سنحت لهم الفرصة[٣]. لم يقم الخوارج بأية حركة تذكر في خلافتي الوليد وسليمان ابني عبد الملك، فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز، خرجت خارجة منهم بالعراق[٤]. اختلف رد فعل عمر بن عبدالعزيز إزاء هذا التحرك عن رد فعل أسلافه، فقد كتب إلى واليه في العراق يطلب منه أن يرسل جيشًا إلى الخوارج، ولا يحاربهم إلا إذا سفكوا دمًا أو أفسدوا في الأرض[٥]. كما كتب إلي بسطام (قائد الخوارج الذي خرج على عمر) يسأله عن سبب خروجه، ويدعوه

---

(١) الطبري، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٥٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢٧–٥٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣٠.

(٤) أحمد عوض أبو الشباب، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٥) الطبري، مصدر سابق، الجزء السادس، ص٥٥٥.

إلى مناظرته ، فلم يحرك بسطام شيئًا، وكتب إلى عمر يقول (لقد أنصفتَ، وقد بعثتُ إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك).[1]

ويختلف الرواة عند تعرضهم للمواضيع التي دار حولها النقاش بين عمر ومبعوثي بسطام، ويذكر ابن عبد الحكم أن الرجلين وضعا شرطاً واحدًا لإنهاء التحرك، وهو (أن يبرأ عمر من أهل بيته السابقين ويلعنهم).[2] ورأي آخر يقول أن النقاش دار حول مسألة العهد ليزيد، ومحاولة الخوارج إقناع عمر بضرورة التخلي عنه، وأن هذا الطلب هو الذي دفع الأمويين إلى قتل عمر بن عبدالعزيز خوفًا من أن يخلع يزيدًا وتخرج الخلافة منهم.[3]

لم تؤد المفاوضات بين الخليفة ومبعوثي بسطام إلى اتفاق. ثم جاء موت عمر المفاجئ ليبعد كل إمكانية لإنهاء هذا التحرك بالطرق السلمية، فقد أمر والي العراق الجيش الذي بعثه إلى بسطام بقتال الخوارج منذ أن بلغه خبر موت عمر[4]، لينال بذلك حظوة لدى الخليفة الجديد.[5]

عاد الخوارج للظهور أيام هشام بن عبد الملك، وظهرت في عهده بدعة الخوارج في البربر وظهر رجل من الخوارج يقال له عكاشة بن أيوب، فسار إليه جيش من القيروان،

---

(١) محمد عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، علق عليها: أحمد عبيد، عالم الكتب، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٣.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء السادس، ص٥٥٦.

(٤) المصدر نفسه، الجزء السادس، ص٥٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٧٥.

فألحق عكاشة به الهزيمة، ثم خرج إليه جيش آخر تمكن من هزيمة عكاشة لكنه هرب، فعين عبد الملك حنظلة بن صفوان على أفريقيا، فلم يمكث حتى خرج عليه عكاشة الخارجي في جمعٍ عظيم من البربر، وتمكن حنظلة في نهاية الأمر من هزيمة عكاشة وقتله.[١]

عاد الخوارج في زمن مروان بن محمد، مستفيدين من الضعف الذي بدأ يتراءى في جسم الخلافة الأموية، فخرج سنة سبع وعشرين ومائة الضحاك بن قيس الشيباني.[٢]، ولكن تمكن مروان بن محمد من هزيمته، وقتلوا الضحاك سنة ثمان وعشرين ومائة، وبعد قتل الضحاك أجمع الخوارج أمرهم على رجل يدعى الخيبري[٣]، وأيضا تمكن الأمويون من قتله هو وأصحابه. وبعد ذلك كتب مروان إلى نائبه بالعراق يأمره بقتال الخوارج الذين في بلاده، فجرت له معهم وقعات عديدة، فظفر بهم وأباد خضراءهم، ولم تبق لهم بقية في العراق، واستنقذ الكوفة من أيدي الخوارج.[٤]

---

(١) أحمد عوض أبو الشباب، مرجع سابق، ص١٧٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص١٨٤.

رابعًا: الشيعة:

الشيعة في اللغة: تعني الأتباع والأنصار. يقال هؤلاء شيعة فلان أي أتباعه وأنصاره.[١]

الشيعة في الاصطلاح: تعني الشيعة هنا كل من فضَّل عليًا على الخلفاء الراشدين قبله (رضي الله عنهم) ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة منهم.[٢]

انقسمت الشيعة إلى أربع فرق رئيسية وهي:

السبئية: هم أتباع عدو الله عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي وكان من أهل صنعاء.

الكيسانية: هم أتباع كيسان الذي دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية رحمه الله.

الزيدية: هم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم.

الرافضة: هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه لما سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأثنى عليهما خيرًا.

الشيعة في العصر الأموي:

رفض الحسين بن علي بن أبي طالب مبايعة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، بعد ذلك قام أعيان أهل الكوفة بمراسلة الحسين وتشجيعه للمجيء للكوفة والثورة على حكم يزيد وعامله على الكوفة عبيد الله بن زياد[٣]، وأرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل

---

(١) ابن منظور، مصدر سابق، المجلد الثامن، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) عبد القادر شيبة الحمد، مرجع سابق، ص٢٠٩.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٥٢.

ليستطلع أخبار الكوفة ويمهد الطريق للثورة[١]، فاجتمع مسلم برؤساء القبائل اليمنية، حيث كان معظم سكان الكوفة بعد الفتح من عرب اليمن وأكدوا لمسلم برغبتهم في الثورة على حكم يزيد ومبايعتهم للحسين بن علي.[٢] واجتمع لمسلم جيش من القبائل اليمنية، وحاصر قصر الإمارة في الكوفة مطالبًا والي الكوفة عبيد الله بن زياد بخلع نفسه من كرسي الولاية .[٣]

إلا أن والي الكوفة عمل على مهادنة رؤساء القبائل الكوفيين وأغراهم بالمال، فكان أن تخلَّى هؤلاء عن مسلم بن عقيل وارتدوا عن مبايعتهم للحسين[٤]، فلم يبق سوى نفر غير كبير من جيش مسلم تركوه في آخر الأمر لاعتقادهم بعدم جدوى القتال. فصار مسلم بن عقيل وحيدًا، وانتهى به الأمر إلى باب امرأة تدعى طوعة، حيث أخبر إبن هذه المرأة عنه، وتم القبض عليه وقتل.[٥]

كان مسلم بن عقيل قد ارسل للحسين وطالبه بالمجيء للكوفة بعد تأكده من رغبة أهل الكوفة بالثورة، ومبايعتهم للحسين ومناصرتهم له.[٦] غادر الحسين مكة متوجهًا إلى الكوفة[٧]، وفي الطريق فاجأه الجيش الأموي بقيادة عبيد الله بن زياد في صحراء

---

(١) الطبري، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٥٣.

(٢) هشام (جعيط)، نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الجزء الخامس، ص ٣٧٧.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٥٠.

(٤) البلاذري، انساب الاشراف، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٣٨.

(٥) الطبري، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٧٣.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٩٥.

(٧) البلاذري، انساب الأشراف، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٣٧١.

كربلاء.[1] وطالبوه بالاستسلام والمبايعة ليزيد بن معاوية، لكن الحسين رفض المبايعة وبعد محاصرة الحسين لستة أيام ومنعه من الماء هو ومن كان معه[2]، قتل في آخر الأمر هو وأخوه العباس وأهل بيته.[3]

بعد هذه الأحداث قامت مجموعة من الثورات الشيعية ضد الحكم الأموي، منها التوابين (٦٥ هـ/٦٨٤ م) وثورة المختارين أبي عبيد الثقفي(٦٦-٦٧هـ/٦٨٥-٦٨٦م).[4] الذي نجح في إقامة دولة شيعية في الكوفة إلى جانب دولة الزبير في الحجاز.[5] ودارت عدة معارك بين المختار والدولة الأموية من جهة، وبين المختار ودولة آل الزبير من جهة أخرى، الأمر الذي لم يترك مجالًا لاستقرار هذه الدولة الشيعية، والتي انتهت بمقتل المختار على يد مصعب بن الزبير، والذي تمكن من السيطرة على كل الكوفة.[6]

ثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٢٢هـ/٧٣٩ م): كانت في عهد هشام بن عبد الملك، إذ كاتب أهل الكوفة زيد بن على ليبايعوه على الإمامة وألحوا عليه في الخروج إليهم، فشاور أخاه أبا جعفر محمدًا الباقر في ذلك، فأشار عليه الباقر رحمه الله بأن لا يركن إلى شيعة الكوفة، إذ كانوا أهل غدر ومكر، وقال له: بها قُتِل جدك علي، وبها طُعِن عمك الحسن، وبها قُتِل أبوك الحسين، وفيها ومن رجالها شُتِمنا أهل

(١) البلاذري، انساب الأشراف، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه، الجزء السادس، ص١٩٣.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٩٣.

(٤) وجيه قانصو، الشيعة الامامية بين النص والتاريخ، دار الفارابي، بيروت، ص٢٦٨.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٧٦.

(٦) المرجع نفسه، ص٢٧٧.

البيت ويقال: إن الذي أشار عليه بهذه النصيحة هو جعفر الصادق رضي الله عنه. ولكنه لم يعمل بما أشار به، وأصرَّ على الخروج.

ولما صار إلى الكوفة بايعه أكثر من خمسة عشر ألف رجل من أهلها وتهيئوا لقتال والي العراق يوسف بن عمر الثقفي. فلما قامت الحرب قالوا لزيد: إنا لننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر[١]، واللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب فقال زيد: إني لا أقول فيهما إلا خيرًا، وما سمعت أبي يقول إلا خيرًا، وانما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله (الكعبة) بحجر المنجنيق والنار.

فلما سمعوا من زيد هذا الكلام تفرَّقوا عنه. فقال لهم زيد رفضتموني ولذلك سموا "رافضة"، وقد تركوه في شرذمة قليلة من أصحابه لم يلبثوا أن انهزموا أمام يوسف بن عمر الثقفي، فقد أصيب بسهم في جبهته فأتى أصحابه بحجَّام من بعض القرى لاستخراج النصل، وبعد نزعه مات زيد، فدفنوه في ساقية ماء سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م. عرف الحجَّام موضوع دفن زيد فأخبر به يوسف بن عمر، فاستخرج يوسف جثمانه وبعث برأسه إلى هشام، وكتب إليه هشام أن يصلبه ويحرقه.

لما قتل زيد مضى ابنه يحيى إلى خراسان، وقام بإمامة الزيدية بعد أبيه، وظهر في عهد الوليد بن يزيد في آخر ١٢٥م/٧٤٣م. ودارت معارك بين الفريقين انتهت بقتل يحيى بن زيد، وحملت رأسه إلى الوليد كما صلب جسده، ولم يزل مصلوبًا حتى ظهر أبو مسلم

(١) عبد القادر شيبة الحمد، مرجع سابق، ص٢٢٩.

الخراساني وأنزل جثة يحيى ودفنها.[1] وثورة أبى مسلم الخرساني كانت آخر ثورة في العصر الأموي، وهي التي أدت إلى استلام العباسيين للسلطة.[2]

ومما سبق سرده يتضح لنا أن الدولة الأموية قد تعاملت مع الخوارج والشيعة معاملة عنيفة عن طريق القمع والمعارك الحربية، لأنهم فكروا في الخلافة وانتزاع السلطة.

خامسًا: أهل الذمة:

بقي بعض أهل البلاد المفتوحة على دينهم وسُمُّوا بالرعية، أي الذين أصبحوا في رعاية الفاتحين، أي أنهم أصبحوا في ذمة العرب المسلمين، وعرفوا أيضا بأهل الكتاب ويدخل في هؤلاء الذميون والنصارى واليهود والمجوس والصابئة.[3]

الذمة في اللغة العهد والأمان والضمان وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وسُمُّوا بهذا الإسم لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، فإن تقاليد الإسلام كانت تقضي بأنه إذا أراد المسلمون غزو إقليم وجب عليهم أولًا أن يطالبوا أهله باعتناق الإسلام، فمن استجاب منهم طبقت عليه أحكام المسلمين، ومن امتنع فرضت عليه الجزية تطبيقًا لقوله تعالى "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى

(١) عبد القادر شيبة الحمد، مرجع سابق، ص٢٣٠.

(٢) وجيه قانصو، مرجع سابق، ص٢٦٨.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٥٣.

يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ".[1] ولم يكن يتمتع بها الامتياز سوى أتباع الملل المعترف بها وهي: المسيحية واليهودية والمجوسية والسامريه والصابئة".[2]

ولما تم للمسلمين فتح الأمصار رحب بهم أهل الذمة، فقد أملوا في الخلاص من الانقسامات الدينية والمذهبية، والخلاص من ظلم حكامهم، والإعفاء من الخدمة العسكرية، والتمتع بالحرية الدينية التي يسمح بها الإسلام مقابل دفع الجزية، فقد دعا العرب المسلمون أهل الذمة إلي الإسلام، وأعلنوا أن المحارب إذا أسلم يصبح له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، ولذا دخل في الإسلام جموعٌ هائلة من أهل الذمة، وآمن بعضهم بأن توفيق العرب المسلمين في الفتوحات هو مظهر من مظاهر رضاء الله عليهم، ودليل على صدق دينهم، وأما من بقي من أهل الذمة على دينه فقد عاملهم العرب بتسامح عظيم باعتبارهم أهل كتاب، وكانت كتب الصلح مرآة صافية انعكست عليها صور كثيرة من تسامح المسلمين.[3]

حقوق وواجبات أهل الذمة:

كان على أهل الذمة في الدولة الإسلامية واجبات، ولهم مقابلها حقوق، وأما الواجبات فكانت على أهل الذمة أن يدفعوا الجزية، على الموسر ٤٨ درهما، وعلى متوسط الحال ٢٤ درهما، وعلى الفقير ١٢ درهما، مع تقديم الزيت والخل والطعام اللازم للمسلمين.

---

(١) سورة التوبة الأية ٢٩.

(٢) علي حسني الخربوطلي، مرجع سابق، ص٢٦٣.

(٣) السير توماس. و. أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة إلى العربية (د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين)، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولي ١٩٤٧م، ص٥٢.

وكان يشترط على أهل الذمة في عقد الجزية شرطان أحدهما مستحق، والآخر مستحب[1]، ويشمل الشرط المستحق ستة أمور يجب على أهل الذمة تحقيقها، فيجب عليهم احترام القرآن الكريم والرسول، وعدم القدح في الإسلام، وألا يصيبوا مسلمة بزنا ولا بنكاح، وألا يحولوا مسلما عن دينه، وألا يعينوا أهل الحرب. وأما الشرط المستحب فيشمل أيضا أمورا ستة، فعليهم لبس الغيار وشد الزناد، وأن تكون مبانيهم أقل ارتفاعا من مباني المسلمين، وألا يسمعوا المسلمين أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم، وعدم المجاهرة بشرب الخمر أو إظهار الصلبان والخنازير، وإخفاء دفن الموتى، وعدم النواح عليهم، وعدم ركوب الخيل مع السماح بركوب البغال والحمير.[2] وكان على أهل الذمة ألا يقوموا باستحداث بناء بيعة أو كنيسة، ولكن يجوز بناء ما تهدم من بيعهم وكنائسهم القديمة.

أما حقوق أهل الذمة فهي الكف عنهم، والحماية لهم ولأهل العهد، والأمان على نفوسهم وأموالهم.[3] وفي الحقيقة كانت معاملة المسلمين لأهل الذمة تنم عن تسامح وعطف وكرم، فقد كان أهل الذمة لا يدفعون سوى عشر التجارة والجزية، بينما هم معفوون من الصدقات، وكانت الجزية تساوي ما يدفعه المسلم من صدقة، كما كانت مقابل عدم إسلامهم والسماح لهم بالبقاء على دينهم، وأعفي منها الصبيان والنساء والمساكين وذوو

(١) أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١٢٣.

(٢) أبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٦.

العاهات والرهبان.[١] وكثيرا ما نقض أهل الذمة ما شرطه المسلمون عليهم، فكان المسلمون لا يقتلونهم أو يغنموا أموالهم أو يسبوا ذراريـهم، بل كانوا يكتفون بطردهم من بلاد المسلمين.[٢]

وعاش المسلمون مع أهل الذمة جنبا إلى جنب، فقد اشتركوا مع سعد بن أبي وقاص في تخطيط الكوفة وعاشوا فيها في أمان، وكان في الموصل بيع كثيرة للنصارى تنتشر حولها منازلهم، كما كان هناك محلة كبيرة لليهود، فترك المسلمون لهم دورهم ومعابدهم وانشأوا منازل لهم وجامعًا بجوارهم، وعاشوا جميعًا في سلام.[٣] أما حقوق أهل الذمة التي يشتركون فيها مع المسلمين فمنها أن دم الذمي كدم المسلم، فإن قتل مسلم أحدًا من أهل الذمة أقتص منه له، كما لو قتل مسلمًا، وأيضًا القانون الجنائي، فإن القانون الجنائي في الدولة الإسلامية سواء للمسلم والذمي، يتساوى فيه الأثنان، فالذي يعاقب به المسلم على ما يأتي من الجرائم يعاقب به الذمي أيضًا، والقانون المدني أيضًا سواء للذمي والمسلم، وهما فيه شرع واحد، وأيضًا حفظ الأعراض، فلا يجوز إيذاء الذمي باليد أو باللسان ولا شتمه أوضربه ولا غيبته، كما لا يجوز ذلك كله في حق المسلم، فقد ورد في الدر المختار: "ويجب كف الأذى وتحريم غيبته كالمسلم".[٤]

---

(١) أبو يوسف، مصدر سابق، ص١٢٣.

(٢) الماوردي، مصدر سابق، ص٢٢٧.

(٣) علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٢٦٦.

(٤) أبو علي المودودي، حقوق أهل الذمة، كتاب المختار، نشر في مجلة ترجمات القرآن، ١٩٤٨م، ص١٥-١٩.

علاقة أهل الذمة مع الخلفاء الأمويين:

وجد أهل الذمة أن من مصلحتهم تعلم اللغة العربية، وكان تسامح العرب مع أهل الذمة سببًا في إقبالهم على تعلم لغتهم والعمل بالنظم العربية، حتى أصبحت اللغة العربية بمرور الوقت لغة جميع النصارى في حوض دجلة والفرات. أما المجوس فكانوا يتحدثون ويكتبون بالفهلوية، وكان المجوس يتميزون باللثغة في الحديث، وحرص المجوس عند إسلامهم على تغيير أسمائهم إلى أسماء عربية وعلى تعلم اللغة العربية.(١)

كان لحياة أهل الذمة الاجتماعية في العصر الأموي ناحيتان: ناحية سيئة تميزت بالمضايقات، وناحية حسنة حفلت بمظاهر التكريم وحسن المعاملة. ونبدأ بذكر المضايقات التي تعرض لها أهل الذمة في العراق خلال الحكم الأموي، فيتهم جوزيف العرب ويذكر أن نظم الضرائب التي وضعوها تدل على أن غرض الفتح ليس نشر الإسلام بل الاستيلاء على ثروة أهل البلاد. كما يتهم فان فلوتن* العرب بأنهم اعتقدوا أن أملاك أهل الذمة وأرضهم كانت ثمنًا لتركهم لهم حرية البقاء على أديانهم، وأنها جزاء من الله للمؤمنين منهم. أما فون كريمر* فيذكر أن السكان غير المسلمين لم يكن لهم حقوق تقريبًا، وأنه كان عليهم أن يعطوا ويقدموا الأموال للحكومة الجديدة بقصد معونة الجيش والمحافظة عليه بصفة خاصة. أما دوزي فيذكر أنه رغم تسامح المسلمين إلا

---

(١) علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٢٦٧.

* فان فلوتن هو من أوائل المستشرقين الذين عنوا و اهتموا بآثار أعمال الجاحظ، أبحاث في السيطرة العربية، والتشيّع والعقائد المهدوية في عهد الخلافة الأموية.

* فون كريمر هو مستشرق نمسوي وله كتابات كثيرة بالألمانية عن الإسلام والثقافة الإسلامية.

أنهم لم يضعوا المسيحي والمسلم في صف واحد، بل نظروا إلى النصراني كما ينظرون إلى جنس منحط.[١]

والحقيقة أنه منذ خلافة علي وخلافة عبد الملك لم يرتفع صوت أهل الذمة بالشكوى، باستثناء فترة حكم الحجاج في خلافة عبد الملك كانت فترة سوداء بالنسبة لأهل الذمة، فقد ظن بعضهم أن إسلامهم سيخلصهم من دفع الجزية، فأقبلوا على الإسلام وخرجوا من قراهم إلى مدن العراق، ولكن الحجاج ختم أسماء قراهم على أيديهم وأعادهم إليها بالقوة. وفي خلافة عبد الملك خرج محمد بن مروان الذي كان عامله على الموصل، فغزا أرمينية وحرق الكنائس بمن فيها. ووضع عبد الملك ضرائب استثنائية على أهل الذمة، وجعل الجزية في الجزيرة بقية دخل أهل الذمة، وحاول بعض أهل الذمة الفرار من الجزية فترهبنوا، لعلمهم بإعفاء الرهبان منها، ولكن الحجاج فرض الجزية على جميع الرهبان. كما كان يشتد على أهل الذمة إذا ما تأخروا في دفع الجزية، هذا فضلًا عن إجبار أهل الذمة على تقديم الهدايا في عيدي النيروز والمهرجان. ولا شك أن في ذلك إرهاقًا ماليًا لهم. بالإضافة لهذا فقد قام الحجاج بإقصاء العمال الذميين عن وظائف الدولة بالعراق.[٢]

---

(١) علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٢٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٧١.

لكن على الرغم من الاضطهاد والمضايقات التي لحقت بأهل الذمة في العهد الأموي فإن بعض المستشرقين اعترف بحسن معاملتهم في ذلك العهد، فيقول أرنولد أن المسلمين لم يألوا جهدًا في معاملة رعاياهم من المسيحيين.(١)

وقد تعهد معاوية بن أبي سفيان الرعايا المسيحيين بقدر كبير من التسامح والحكمة والعدل، فقربهم إليه واستفاد من خبراتهم الكتابية والإدارية في إرساء دعائم دولته.

وسار خلفاؤه من بعده على نهجه، فلخبرتهم الواسعة بالكتابة اتخذهم الخلفاءُ كُتَّابًا على الدواوين، وظل نشاطهم في الكتابة حتى بعد تعريب الدواوين.

ومن هنا يتضح لنا انسجام طبقة أهل الذمة في المجتمع الشامي في ذلك العهد مع المسلمين في المدن، ومكانتهم المرموقة بالنسبة لعامة المسلمين، وأثرهم العميق في الحياة نظرًا لثقافتهم ونشاطهم في المجتمع، بل وصلوا إلى أبعد من ذلك في عهد بني أمية، إذ حدثت روابط اجتماعية متينة مع أهل الذمة عن طريق التزاوج، وللخلفاء أبلغ الأثر في ذلك، فقد تزوج معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء الدولة من مسيحية، ظلت على مسيحيتها بعد الزواج، وأنجبت ولي عهده يزيد إبن الخليفة الثاني، والذي تزوج هو أيضًا بمسيحية، وتبعهم العرب في ذلك.

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، ازداد التمازج والاختلاط بين المسلمين وأهل الذمة، حتى أصبح من العسير أن يفرق بينهما من حيث المظهر، مما دفع الخليفة عمر

---

(١) أرنولد، مرجع سابق، ص٦٢.

إلى اتخاذ إجراءات تظهر الفوارق بينهما في الملبس والمظهر، ومنعهم من حفظ الأسلحة في منازلهم، لأن الدولة تولت مهمة الدفاع عنهم، وفك أسراهم.

لم تستمر الإجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد فترة حكمه القصيرة (٩٩هـ-١٠١هـ /٧١٧-٧٢٠م) ولكن حافظ الأمويون على شروط الصلح التي وضعت منذ الفتح بكل ما فيها من حقوق وواجبات.[(١)] وعلى أثر هذه الشروط، ورعاية حقوقهم، والقيام بواجباتهم، تَمَّ الانسجام بينهم والمسلمين في الحياة العامة، وخالطوهم في التجارة، وجاوروهم في المساكن في المدن. ومن حيث الحياة الدينية ترك لهم المسلمون كنائسهم ومعابدهم، وسمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وقد ظل المسلمون حتى منتصف القرن الأول الهجري يقيمون صلاتهم في كنائسهم، وحولوا أجزاء منها إلى مساجد، واقتسموا ساحتها مع النصاري.

ويعتبر أهل الذمة الطبقة الثانية في المجتمع من حيث الثراء والمستوى الاجتماعي، فمصادر ثرواتهم الأساسية هي من الزراعة على الأرض، والتي تُركت لهم على أساس شروط الصلح عند الفتح، وكانوا يتوارثونها ويتبايعونها، ويدفعون الخراج الذي وضع لها منذ الفتح، فهذه المعاملة الحسنة كانت رعاية لمصالحهم ولزيادة موارد ثرواتهم.

كما كانت لهم مصادر ثروة أخرى غير الزراعة، كالصناعة، وخاصة الصياغة التي أولاها بنو أمية عنايةً خاصة، وفي مقدمتهم سليمان بن عبد الملك، الذي أنشأ دار

---

(١) سمية عبد الماجد بشير، مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية في العراق إبان الدولة الأموية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٢٠.

الصباغين في مدينة الرملة، وكان للصناع اليهود شهرتهم في الصياغة بصفة خاصة. وكانت طبقة الصنَّاع وأصحاب المهن تشمل البزازين والصيارفة والأطباء وجلهم من أهل الذمة، وكلهم من الموسرين.

أما التجار فكان معظمهم من أهل الذمة، ولم يكونوا من أهل العطاء، والضريبة المفروضة عليهم نصف العشر، ولم تضع الدولة قيودًا تحد من النشاط التجاري، لذا كان التجار من مختلف الأجناس، بعضهم من الموسرين، وبعضهم متوسط الحال. أما الوظائف التي شغلها أهل الذمة في الدولة فكانت الوظائف الكتابية في ديوان الخراج الذي كان تستخدم فيه اللغة اليونانية في بلاد الشام، إلى أن تم تعريبه عام (٧١هـ-٧٠٠م) وكان متوسط دخل الكاتب ٣٦٠ درهمًا سنويًا.[١]

وقد أثرى أهل الذمة من المناصب التي شغلوها في الدولة، ووصل المجتهدون منهم إلى المناصب العليا، وأصبحوا من المقربين لدي الخلفاء، ولكن التعريب حدَّ من ذلك النفوذ الذي كان مصدرًا من مصادر الدخل لهم. وعلى الرغم من اختلاف وتعدد موارد الدخل لأهل الذمة من زراعة وصناعة وتجارة ووظائف كتابية، إلا أن الضريبة المفروضة عليهم قليلة لا تؤثر على الأثرياء والجزية التي تجب على جميع أهل الذمة على مختلف أجناسهم ودياناتهم بمقدار يتناسب ومستوياتهم المادية. وهناك من لم يكن يدفع الجزية،

---

(١) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢١.

إذ أنها لا تؤخذ من النساء والأطفال والشيوخ، ولا من المحتاجين أو العاجزين عن الكسب.[1]

(١) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢٢.

الفصل الثاني
مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر الاموي

المبحث الأول

العادات والتقاليد

الطعام:

كانت معيشة العرب في بادئ الأمر غاية في اليسر والسهولة من جميع جوانبها في المسكن والملبس والمأكل، وقد انعكس هذا بطبيعة الحال على أدبهم وشعرهم وتاريخهم، فقد كانوا يكتفون بالقليل من الطعام الذي لم يكن ليتجاوز لونًا أو لونين، وخير طعامهم اللحم، هذا عند سكان البادية. أما سكان المدن فكانوا أقرب إلى العناية بالطعام والتفنن فيه من سكان البوادي[١]، ويقول الأبراشي: "رعاية صحة البدن بالمأكل والمشرب والملبس والسكن".[٢] يعني ذلك أن الاهتمام بالصحة هو الاهتمام بالمأكل والمشرب، لهذا تفنن بعض العرب في أطعمتهم، ولم يكن تقشفهم في الطعام نابعًا من فقر أو شح، لكنه زهد في هذه الدنيا الفانية، وقد ظهر هذا الزهد بصورة واضحة عند الخلفاء الراشدين.[٣] ذكر ابن طباطبا في ذلك عبارات طويلة نختصر منها ما يلي: (وأعلم أنها دولة لم تكن من طراز دول الدنيا، وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشبه والحق في أن زيها قد كان زي الأنبياء وهديها هدي الأولياء، وفتوحها فتوح الملوك الكبار، فأما

---

(١) حسن حسين الحاج، مرجع سابق، ص١٨٢.

(٢) الأبرشي محمد، تهذيب الشباب يتغليب الزمان، طبعة بالمطبعة العمومية، مصر، ١٨٩٢م، ص٤٤.

(٣) حسن حسين الحاج، مرجع سابق، ص ١٨٢.

زيها فهو الخشونة في العيش، والتقليل في المطعم والملبس).[١] كان طعام العرب في خلال حكم الخلفاء الراشدين وبداية الحكم الأموي بسيطًا محدودًا يكاد ينحصر في اللحوم والثريد، بجانب ما اعتادوا عليه في شبه الجزيرة العربية من تمور وألبان، وأظهر العرب عند الفتوحات جهلهم بألوان الطعام الفارسية والرومانية.[٢]

كانت أفضل الأطعمة الثريد، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق، ويوضع فوقه اللحم ومنها اللمزة: وهو الخبز، يكسر علي السمن. والكوتان: وهو الأرز والسمك والأطرية: هو طعام كالخيوط من دقيق، والشعيرية: وهو طعام كالخيوط صار فتلها في حجم الشعير، والعجة: وهو طعام متخذ من دقيق يعجن بسمن ثم يشوى. ومن أشهر الأطعمة في الشام في العصر الأموي: الفول من النبوت بالزيت، ويباع مع الزيتون، والترمس المملح، والزلابية وتصنع من العجين، والناطف: ويصنع من الخرنوب. ولم تكن الخضر مستعملة على نطاق واسع كما هو الحال الآن.[٣]

وعامة الخلفاء الأمويين كانوا يحبون الإكثار من الطعام إلى درجة كبيرة، فقد دار حوار بين معاوية والحسن بن علي بشأن دجاجة: (ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة ففكها، فنظر إليه معاوية فقال: هل كان بينك

---

(١) محمد بن علي "إبن طباطبا"، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية، دار صادر، بيروت، ١٨٩٢م، ص ٧٣.

(٢) علي حسن الخربوطي، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٠٧.

وبينها عداوة؟ فقال له: الحسن: هل كان بينك وبين أمها قرابة؟).[١] قالوا يتضح من هذا النص أن الخليفة معاوية يريد أن يقدر ويحترم مجلسه واتسعت دار الإسلام وفاضت الخيرات، واتسعت باتساعها القصعة التي يطعمها الخليفة بين الناس، وتنوعت عليها المآكل، فكان زياد بن أبيه أمير العراق يغدي الناس ويعشيهم، وكانت له ألف ناقة يؤتى بلبنها، وقد كثر التمر على الأنطاع، فيتمجعون اللبن بالتمر، فإذا ارتفع غندوا ثم يعشي بعد العصر، ويحضر غذاءه وعشاءه الصحابة والشرط والمقاتلة ومن حضر، وكان لا يرد عن طعامه أحدًا، وكان يطعم بالبصرة والكوفة، فإذا غاب عن إحداهما قام عماله مقامه.[٢]

الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان يأكل الثريد: وجلس اعرابي مع معاوية على مائدة، فقدموا ثريدًا كثير الدسم، ففجره الإعرابي بإصبعه إلى جهته حتى سال الدهن إليه، فقال معاوية "أخرقتها لتغرق أهلها" مقتبسًا الأية٧١ من سورة الكهف،[٣] فرد عليه الإعرابي قائلًا: لا، ولكن "سقناه لبلد ميت" مقتبسًا الأية ٧٥ من سورة الأعراف.[٤]

ومن هذه الرواية يتضح أن الثريد كان مستعملًا في الدولة الأموية في جميع طبقات المجتمع الأموي. وكان معاوية يكتب إلى أطرافه وعماله، وإلى زياد بن أبيه، بالعراق،

---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (الجاحظ)، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق احمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ص١٤.

(٢) محمد ضيف الله بطانية، تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٣٥٢.

(٣) سورة الكهف الأية ١٧.

(٤) سورة الأعراف الأية ٧٥.

بإطعام السابلة والفقراء وذوي الحاجة، وله في كل يوم أربعون مائدة يتقسمها وجوه جند الشام.[١] وكان بعض الخلفاء في العصر الأموي يأكل مع الندماء من الناس، حتى ولو كان فقيرًا أو مريضًا، (فيروى أن نصيبا وفد على عبد الملك بن مروان، وأنشده فاستحسن شعره ووصله، فجيء بالطعام فأكل معه، فقال له عبد الملك: هل لك فيما يتنادم عليه؟ فقال: يا أمير المؤمنين تأملني؟ قال: فإني أراك، قال: يا أمير المؤمنين الجلد أسود والوجه قبيح، ولست في منصب كريم، وإنما بلغ بي مجالستك ومواكلتك عقلي، وأنا أكره أن أدخل عليه ما يحول بيني وبينه، فأعجب عبد الملك كلامه وأعفاه).[٢]

كان الحجاج بن يوسف الثقفي: (يطعم في كل يوم ألف مائدة، على كل مائدة ثريد وجنب من الشواء وسمكة طرية، ويطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أهل الشام، أكسروا الخبز، لئلا يعاد عليكم، وكان له ساقيان: أحدهما يسقي الماء والعسل والآخر يسقي اللبن.[٣]

ومن أهم الأطعمة في العصر الأموي الخبز، فقد ذكر فيه: (واستشير بعض العقلاء في أمر فسكت، فقيل له: لم لا تتكلم، فقال: ما أحب الخبز إلا بائتا).[٤] ومن بين خلفاء بني

---

(١) الجاحظ، مصدر سابق، ص١٥.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن أبو بكر ابن عاصم الغرناطي، حدائق الأزاهر في مستحسين الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، مطبعة دار الكتب الوثائق القومية، ٢٠٠٩م، ص٧٢.

(٣) محمد بن يريد المبرد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٩م، ص٣٦٥.

(٤) ابن طباطبا، مصدر سابق، ص٦٧.

أمية الذين كانوا مشغوفين بالطعام الخليفة سليمان بن عبد الملك: (وكان نهما، فيقال: إن الطباخ كان يأتيه بالشواء فلا يصبر حتى يبرد، فيأخذه بكمه).[١]

كان يوسف بن عمر الثقفي يتعامل مع طبقات المجتمع الأموي بحسن خلق وكرم، وخاصة طبقة العبيد، حيث ذكر: (إن رجلًا عبدًا أسود مقيدًا في دار يوسف، والناس يأكلون، فدفعه رجل، ونظر إليه يوسف، فصاح به: دعه، فجلس يأكل مع الناس، ودعا بالأسود حين فرغوا، فأمر بحل قيده، وأمر رجلًا أن يشتريه، وقال للأسود: إن باعك مولاك فأنت لنا، وإن لم يرد بيعك فأحضر طعامنا كل يوم، وانطلق الرجل مع المقيد، فاشتراه فأعتقه يوسف).[٢] إن طعام الأمويين كان يتغير بحسب مناسبات معينة، مثلًا تجدهم يوم عاشوراء قد لبسوا ما تجدد، وتزينوا، واكتحلوا، وعيدوا، وأقاموا الولائم والضيافات، وطعموا الحلويات والطيبات. وبهذا يكون الأمويون في هذه الحالة قد دمجوا الحالة السياسية بالحياة الاجتماعية، حيث ربطوا هذه المناسبة السياسية بالأطعمة تعظيمًا لها.[٣] وهم بذلك فاقوا الفرس والروم في التأنق والتنعم، فقد تفننوا في معالجة اللحوم واصطناع التوابل المنبهة لشهوة الطعام، التماسًا للمزيد من اللذة وهذا يعني أن

---

(١) ابن طباطبا، مصدر سابق، ص١٢٨.

(٢) الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن وهبة (ابن عساكر)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت ٢٠٠١م، ص٢٥٠.

(٣) أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٣٢٩.

الأمويين قد امتزجوا بالحضارات الأخرى، وهو ما أنتج حضارة ممزوجة بطابع عربي وغير عربي.[١]

الملابس:

عرف العرب بالبساطة قبل الإسلام، فكانت ملابسهم كذلك، كما هو الحال عند معظم عرب البادية. ففي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الأولى انصرفوا عن الاهتمام بلباسهم ولزموا جانب التقشف والبساطة، بما يتلاءم مع طبيعة الدعوة، واقتداءً بالرسول الكريم وخلفائه من بعده، والذين ظلوا محافظين على سنته، ومقتدين بأسلوب حياته.

لبس المسلمون على رؤوسهم في هذه الفترة العمامة، مع تعدد ألوانها، كما عرفت أيضًا القلنسوة،[*] وكانوا يجعلونها فوق العمامة أو بدونها،[٢] بينما لبست النساء الخمار فغطت به رأسها ولفته حول رقبتها.[٣]

أما ثياب البدن، فمنها الداخلية كالقمصان والسراويل، وكانت القمصان تصنع من الكتان الناعم، ويغلب عليها اللون الأبيض، أما السراويل فكانت بيضاء في العادة ومزيلة، وفي بعض الأحيان يلبسون الغلائل الرقاق. أما الثياب الخارجية التي تلبس فوق الأقمصة

---

(١) جرجي زيدان، مرجع سابق، ص٦٣٧.

* القلنسوة هي الغطاء الذي يضعه الرجال الكبار في السن في أنحاء مُختلفة من العالم الإسلامي، وهي أيضًا غطاء رأس رجال اليهود المتدينين وفي صلاتهم.

(٢) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الثالث، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٩٧.

(٣) محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، الجزء الثامن، مكتبة الخانكي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٤٦٣.

والسراويل فمنها: الدراريع: وهي جباب مشقوقة من الصدر،[١] والجبة والخميصة،*[٢] والعباءة التي كانت تلبس فوق سائر الملابس، بينما كان لباس البدن الخارجي للمرأة المسرط المصنوع من الصوف أو الخز أو الكتان.[٣] وحين احتك العرب بسكان البلاد المفتوحة، واختلطوا بهم، تأثروا بهم وبملابسهم الأنيقة، وممن تأثر بهم عبد الله بن عامر الذي كان أول من لبس الخزو الطوراني،[٤] وأخذت الملابس الجديدة تغزو المجتمع الأموي، فعرف نوع جديد بإسم الدراريع، وكان أول من لبسه المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان لونه أسودا كما ارتاح الناس إلى لبس اليمنة (برود يمنية) في عهد ابن زياد.[٥]

ومن أعلام الأناقة الإسلامية في العصر الأموي سليمان بن عبد الملك، الذي أدخل زي الوشي، وهي الثياب الحريرية المثقلة بالذهب، فيلبسه الناس جبابًا وأردية وسراويلات وعمائم وقلانس.[٦] وقام بنفسه بلبس الوشي، واتخذه لباسًا رسميًا، فكان لا يسمح لأحد من عماله وموظفيه وحتى أهل بيته إلا بلبسه، مما جعل هذا اللباس ينتشر بين فئات المجتمع، فلبس الناس جميعًا من الوشي. ومن شدة حبه لهذا الزي أوصى أن يكفن به

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص١٧٦.

* الخميصة هي ثوب من خز أو صوف معلم.

(٢) ابن منظور، مصدر سابق، الجزء السابع، ص٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٠١.

(٤) شحادة على الناطور، التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الاسلام، النشر دار الكندي ١٩٩٧م، ص٩٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ٩١.

(٦) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، ١٩٩٦م، ص١١٨.

عند وفاته ولعل هذه الظاهرة توحي لنا بأن سليمان بن عبد الملك كان رائد توحيد الزى الرسمي لموظفي الدولة.(١)

وأخذت الملابس المستحدثة عن الفرس وغيرهم تنتشر بين طبقات المجتمع، فقد لبس محمد بن الحنفية مطرف خز أصفر في عرفات، وتميم الداري ارتدى حلة للصلاة، وابن عوف برنسا، وتعمم الحجاج بعمامة خز حمراء أثناء ولايته الكوفة.

وعلى الرغم من أن الخز كان ثمينًا، فقد كان الإقبال عليه من الخلفاء وأفراد الشعب شديدًا، فقد اشترى يزيد بن عبد الله حلة بألف دينار، كما أن بكر بن عبد الله المازني اشترى طيلسانًا* بأربعمائة درهم، وأحضر للخياط كافورًا لموضع القطع، مما يدلل على مقدار غناه. وإذا كان بعضهم قد اتجه إلى كل ما هو جديد وثمين من الملابس، فقد وجد أناس ظلوا على بساطتهم في اللباس، فكان سالم بن عبد الله يلبس الصوف بينما القاسم بن محمد يلبس الخز، وكانا يجلسان معًا في مسجد المدينة، فلا ينكر أحدهما على الآخر لباسه، فالصوف وغيره من الملابس بقي مستعملًا، فكان يلبسه قتيبة بن مسلم أثناء ولايته على خراسان، وقد عاتبه أحدهم على ذلك فأجابه: أكره أن أقول زهدًا فأزكي نفسي، أو أقول فقرًا فأشكو ربي.(٢)

وظهرت في المجتمع الأموي ظاهرة تنوع الملابس باختلاف المهن ودرجاتهم الاجتماعية، وكان لكل قوم زي: فكان من يدخل على أصحاب السلطات يلبس المبطنة أو الدراعة أو

---

(١) شحادة علي الناطور، مرجع سابق، ص٩١.

* الطيلسان هو شالٌ ، وشاح، كساء أخضر يضعه بعض العلماء والمشايخ على الكتف.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٢.

القباء أو الباز ويعلق الخنجر، وكان الشعراء يلبسون الوشي والمقطعات والأردية السود. وكان القضاة يلبسون القلانس العظام حتى ولو كانوا في قيظ الصيف وكانت هناك ملابس خاصة بمجالس الطرب واللهو والمنادمة، فكان هنالك من يمارس أنواع الرياضة وخاصة الجري، ويرتدي قميص قوهي رقيق قد حسر على فخذيه وكانت هناك ملابس للعقاب، فقد أراد عمر بن عبد العزيز عقاب يزيد بن المهلب والي العراق فأمر بأن يلبس (ثياب مشمرة وقلنسوه بيضاء). وكان الجند المشاة يلبسون القمصان المحبوكة على أجسامهم إلى ما تحت الركبة فوق السراويل، بينما يلبس الفرسان الدروع المصنوعة من السلاسل، ويضعون على رؤوسهم الخوذ.[1] وإذا كان هؤلاء قد اتخذوا الملابس التي تليق بمكانتهم ومراكزهم ومجالسهم، فقد استمر رجال الدين والاتقياء يلبسون الملابس البسيطة المؤلفة من القميص ومن فوقه الرداء، مع عدم مفارقة الصوف (الوبر) وعدم اتخاذ المصبغ.[2]

تميزت الملابس في العصر الأموي بالطراز، والطراز كلمة فارسية الأصل مشتقة من "ترازيدان" بمعنى التطريز أو الزخرفة التي تزين ثوبًا، لاسيما إذا كانت هذه الزخرفة شريطًا من الكتابة منسوجًا في لحمة الثوب وسداه، أو مطرزة عليه أو مثبتة فوقه.[3]

فقد كان من عادة الأكاسرة أن يرسموا أسماءهم أو علامات تميزهم في طراز أثوابهم بخيوط من الذهب، وجاء الخلفاء الأمويون فاكتفوا بكتابة أسمائهم، وكان للخلفاء والولاة

---

(١) علي حسني الخربوطلي، مرجع سابق، ص٣١٠.

(٢) شحادة علي الناطور، مرجع سابق، ص٩٤.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص١٧١.

دور معدة لنسج أثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز، وكان الولاة والجند يرتدون زيًا طرز عليه اسم الخليفة، فكان إذا رفع الوالي راية العصيان أزال اسم الخليفة من ردائه.[١] وكان هشام بن عبد الملك هو الذي أدخل زى الخز أو القطف، أي القماش الناعم، فسلك الناس جميعًا في أيامه مذهبه.[٢] وقد انحصر لباس القدم في الخف والنعال.[٣]

المساكن:

كان أغلبية قدامى العرب في الجزيرة العربية يعيشون في الخيام، وإن كان عرب الحضر قد عرفوا المدن والقرى، ولكن بعد الإسلام، ووصولهم إلى البلاد المفتوحة المتحضرة، فقد كان ذلك سببًا في ظهور أسلوب خاص بهم في المدنية العربية، بما يتفق أولًا مع مزاج العرب وعاداتهم، ومع روح الدين الجديد، وكانت المدنية الإسلامية الجديدة تخضع لاعتبارات عامة وهامة، وكان أهم شئ فيها المسجد، فهذا البناء هو أول ما يدل على طابعها الإسلامي، فهو مكان العبادة لأنه بيت الله، وكان أهم مكان في المدينة بعد المسجد الجامع، هو دار الإمارة، والذي أصبح "قصرًا" منذ عهد الخليفة الأموي معاوية. كانت مساكن الخلفاء الراشدين غرفات قليلة كمساكن الأهالي[٤]، ولكن كانت مساكن الأهالي في العصر الأموي غالبيتها بسيطة، فهي أكواخ تشيد من القصب وسيقان النخيل.

---

(١) علي الحسني الخربوطلي، مرجع سابق، ص٣١١.

(٢) عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص١١٩.

(٣) الجاحظ، مصدر سابق، ص١٠٦.

(٤) عبد الرحمن زكي، العربية الإسلامية، الفيصل مجلة ثقافية شهرية، العدد ٢٧، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م أغسطس، ص٩٤.

أما الأشراف والملوك فكانت مساكنهم في غاية من الروعة والجمال متأثرة بالفن المعماري الفارسي، فاتسع العمران وتفنن هؤلاء في البناء.[١] أصبحت بيوت الخلفاء في العهد الأموي قصورًا عالية ذات عدة أبواب، تشتمل على الأبهات الفسيحة وقاعات الجلوس، وساحات ومخازن تلحق بها، كما أضيفت لها الحدائق التي أبدع المصممون في رسمها والعناية بها، وكان يحيط غالبًا بقصر الخليفة أو دار الأمير معسكرات الجند وخططهم أو ثكنات اقامتهم، وقد عرفت هذه الخطط بالحارات أو القطائع. فمثلًا قُسِّمت مدينة البصرة إلى سبعة أقسام أو (دساكر) يسكنها الجند حسب قبائلهم، واشتهرت القاهرة بحاراتها.[٢]

دار الإمارة الذي أصبح قصرًا للخليفة معاوية عُرِف باسم قصر الخضراء نسبةً للقبة الخضراء، وقد كان فيه جناح خاص بأهل الخليفة، وجناح آخر يستقبل به رجال الدولة، وكان ذلك أول بيت في دمشق، والذي زالت آثاره عقب حريق الجامع الأموي. ومع الازدهار والتطور الحضاري الذي حدث في العصر الأموي، ولاسيما في دمشق عاصمة الخلافة، وفي ظل حركة الإعمار التي عرفتها الدولة الإسلامية، نجد الدار مشيدة بسور مرتفع خال من أي فتحات، وفي وسطها صحن واسع يحيط به رواق على أعمدة، توزعت خلفه على طابقين، وهي بيوت متلاصقة، يتكون كل بيت من بهو واسع تفتح

---

(١) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) عبد الرحمن زكي، مرجع سابق، ص٩٤.

على جانبه الغرف بشكل يراعي التناظر في التوزيع، بعضها مربع وبعضها مستطيل الشكل.[١]

ومن ضمن قصور الخلفاء الأمويين قصر المُشَتَّى، الذي قيل أن الوليد الثاني أقامه على أنقاض قصر غساني في شرق الأردن، ويحيط بالقصر سور خارجي مربع الشكل تدعمه أبراج نصف دائرية في بدناته وأبراج أسطوانية في الزوايا الأربع.

وأيضًا قصر خربة المنية الذي بناه وليد الثاني، ويقع إلى الشمال الغربي من بحيرة طبرية.

ومن القصور التي تنسب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك قصر خربة المفجر، يقع على بعد ثلاثة أميال شمال أريحا، قريبًا من البحر الميت، وكان قصرًا شتويًا تزدان جدرانه برسوم آدمية وحيوانية. وإلى الخليفة هشام ينسب قصر الحير الغربي الواقع على بعد أربعين ميلًا إلى الجنوب الغربي من تدمر.[٢]

ومن القصور التي تنسب إلى الخليفة الوليد عبد الملك القصر المعروف بقصر عمره الذي يقع على بعد خميسن ميلًا من عمان، وهو بناء صغير نسبيًا، به حمام وقاعة للاستقبال تنفذ على الجانب الجنوبي منها غرفتان من الجانبين أشبه بالمخدعين، وقد ازدانت أرض الغرف والقاعة بالفسيفساء التي تمثل زخارف نباتية، أما الغرف الأخرى

---

(١) محمد ثابت البلداوي، المفهوم الإسلامي للفضاء الداخلي السكني دراسة تحليلية لعينات من القصور الإسلامية، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ٢٠١٦م، ص٧٠.

(٢) صلاح طهبوب، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر الأموي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص٢١٣.

فكانت مكسوة بالرخام، وتزدان جدران الغرف بصور ملونة من النوع المعروف بالفريسكو، وازدان الحمام بصور ملونة آدمية وحيوانية.(١)

دور المرأة في المجتمع الأموي:

أُعطيت المرأة حقوقًا كثيرة في الشريعة الإسلامية، فكانت موجودة في اللقاءات التي عقدها الرسول مع المسلمين الأوائل، إذ بايع النبي الرجال والنساء على السمع والطاعة والقيام بحدود الله، بل إن السبعين الأوائل الذين دخلوا الإسلام كان منهم سبع وثلاثون امرأة، من الحرائر، وسبع من الإماء، حتى أنه في بيعة العقبة الثانية التي حضرها ثلاثة وسبعون رجلًا، حرصت النساء على حضورها.(٢)

كانت النساء حتى عهد الخلفاء الراشدين يختلطن بالجمهور، ويسمعن خطب الخلفاء، ويحضرن المحاضرات التي كان يلقيها علي بي أبي طالب وعبد الله بن العباس وغيرهما.(٣) كانت للمرأة في العصر الأموي مكانتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وكثير منهن اشتركن في الحروب، وكان منهنَّ اللواتي صحبن الرجال إلى ساحات القتال يساعدن في الدفاع والهجوم، ويبثنَّ فيهم روح الحمية بما يلقينه من خطب وأشعار حماسية(٤)، ولذلك خُصص لهنَّ مكانٌ في المدن الحصينة والمعسكرات.(٥)

(١) صلاح طهبوب، مرجع سابق، ص٢١٤.
(٢) ابن سعد، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص١١.
(٣) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، الجزء الأول، ص٤٤٤.
(٤) اسمة العظم، المجتمع في العصر الأموي، دار العلم للملاين، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٦م، ص١٤٢.
(٥) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٤٤.

وكثيرات هن اللواتي حملن السيف لمحاربة عدوهم، مهما كانت انتماءاتهن، مثال ذلك غزالة الخارجية، زوجة شبيب بن زيد الخارج على عبد الملك بن مروان، والتي تعد من أشجع القواد، وكانت تقاتل في الحروب بنفسها، وقيلأن الحجاج هرب في بعض الوقائع مع شبيب من غزالة، فعيره بعض الناس بذلك، وقد بلغ من شجاعتها وقوتها أنها نذرت ان تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين بسورة البقرة وسورة آل عمران وبالفعل نفذت نذرها.[١]

وأيضًا ظهرت شهامة المرأة العربية وقوتها المعنوية في الحزم ورفض الذل، وهذا ما قامت به أسماء بنت أبي بكر التي حرَّضت ابنها عبد الله بن الزبير (عندما تمَّ حصاره في الكعبة من قبل الحجاج الثقفي) على استقبال الموت بشرف، لما يئس من الانتصار، وأمرته أن لا يسلِّم نفسه لبني أمية فيعيش ذليلًا، فسمع نصيحتها وخرج مقاتلًا حتى قتل.[٢]

وبما أن العصر الأموي امتاز بكونه دور التأسيس، والتشكيل، من الوجهة السياسية والعلمية على السواء، ففيه نشأت علوم اللغة من نحو وصرف وبيان، وظهرت العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وكلام، وفيه تفتقت الآداب الجاهلية من إنشاء وشعر وخطابة، كما بدأ به تدوين التاريخ وترجمة بعض العلوم الأجنبية. فلقد كان للمرأة مشاركة في هذه النهضة الثقافية، وبعض المشاركة في الناحية العلمية، وكثيرًا من

(١) أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بي أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان، حققه الدكتور إحسان عباس، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، ص٤٥٤.

(٢) ابن الأثير، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص١٤٨.

المساهمة في الناحية الأدبية، بحيث تميزت النساء بأنهن جمعن المجد من أطرافة كافة، فالمرأة منهن كانت أديبة وفقيهة وعالمة وصاحبة رأي، ومن تلكم النساء عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، الفقيهة المحدثة العالمة، توفيت ٩٨هـ/٧١٦م، وكانت قد أخذت من عائشة بنت أبي بكر الصديق الحديث، فأكثرت منها، حتى أن عمر بن عبد العزيز قال: "ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة".(١)

ومن أشهر نساء العصر الأموي أم البنين، زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقد اشتهرت بالفصاحة والبلاغة وقوة الحجة وبُعد النظر، وكانت لها مكانة ملحوظة في قصر الخليفة الوليد، والذي كان يستشيرها في مهام وأمور الدولة.

وكانت السيدة سكينة بنت الحسين بن علي سيدة نساء عصرها، ومن أظرفهنَّ وأحسنهن أخلاقًا، اجتمع إليها يومًا جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب فنقدت شعر كل منهم، ثم أجازت كلًا بألف دينار.

وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله من النساء اللاتي نبغن في الأدب، وأيام العرب، والنجوم، روي أنها وفدت على هشام بن عبد الملك ذات يوم فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبست السماءُ المطرَ ومنع السلطانُ الحقَ. قال: إني سأعرفه حقك، ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال: إن عائشة عندي فأسمروا عندي الليلة، فما تذاكروا شيئًا من أخبار العرب وأشعارهم وأيامهم إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا أغار إلا سمَّته، فقال

(١) ابن سعد، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٣٨٧.

لها هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟ قالت: أخذتها عن خالتي عائشة، فأمر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة.[١]

وإذا كانت سكينة وعائشة أدبيتين محبتين للأدب، تستقبلان الأدباء في مجالسهما، فإن ليلى بنت عبد الله الأخيلية كانت شاعرة من شاعرات العرب المتقدمات في الإسلام، تفد على الخلفاء والأمراء، وهي مرحب بها بطلاقة لسانها وثبات جنانها، وحسن محاورتها وحضور بديهتها، وفدت على كل من معاوية، وعبد الملك، والحجاج الثقفي الذي قالت له:

أحجاج لا يفل سلاحك إنما * المنايا بكف الله حيث نراها**

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها[٢]**

وهكذا نالت المرأة في هذا العصر كل التقدير والاحترام اللذان استحقتهما بجدارة، وأضاف هذا الأمر قوة للدولة الأموية.

الزواج:

لما كانت الأسرة هي اللبنة الأساسية لبناء صرح المجتمع، فقد أولاها الإسلام أهمية كبرى، إذ حدد حقوق وواجبات كل فرد فيها، وقبل هذا أطَّر العلاقة بين المرأة والرجل كونهما أساس بناء الأسرة، وأكسبها الشرعية من خلال علاقة الزواج فحسب، والزواج

---

(١) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، الجزء الأول، ص٤٤٥.

(٢) ابن خلكان، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٤٧.

كعلاقة مقدسة وضع له فرائض ثلاث هي: الولي، الصداق، وشاهدا عدل. وسنن ثلاث: إظهاره (إشهاره)، والوليمة، والدخلة.[١]

وقد كانت مراسم الزواج في المجتمع الأموي متقيدة بما شرعه الله ورسوله، إذ كانت تبدأ بالخطبة، وكانت هناك نسوة تخصصن في التوفيق بين الرجال والنساء وهن ما نسميهن في وقتنا الحاضر (الخاطبات)، وكنَّ يجلسن غالبًا في المساجد،[٢] ونجد أن هذه المهمة لم تقتصر على النساء فقط، إذ كان بعض الرجال ينيبون عنهم رجالًا ليخطبوا لهم، فيتحدث الوسيط مباشرة مع الفتاة فتقبل أو ترفض. فقد ذكروا أن الشاعر عبد الله بن همام السلولي بعث شابًا إلى امرأة ليخطبها له، فما كان من المرأة إلا أن عرضت نفسها على الشاب الوسيط قائلة: وما يمنعك أنت؟ فاندهش الشاب، وسألها إن كانت ترغب فيه حقًا أم لا؟ فتعلن موافقتها على الزواج فيتزوجان.[٣]

وبعد الخطوبة تبدأ مرحلة دفع الصداق، فهناك من مال إلى عدم مغالاة المهور.[٤] وكانوا لا يطلبون من الزوج شروطًا قاسية مادم الزوج على دين وخلق.[٥]

---

(١) نجاة هاشمي، عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير، غير منشورة جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٥م، ص١٠٥.

(٢) ابن عبد ربه، مصدر سابق، ص٥٨.

(٣) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص٢٧٠.

(٤) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديتوري أبو محمد، عيون الأخبار، المجلد الرابع، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، ص٧٠.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠.

وهناك من دفع المهور الغالية، مثل مصعب لسكينة، إذ دفع لها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثلها. ودفع عمر بن عبيدالله لعائشة بنت طلحة مليون درهم نصفهم صداقها والنصف الآخر هدية لها.(١)

أما الشروط التي كان يطلب في توفرها في الزوجة، نراه في عبارة لخالد بن صفوان أحد وجوه الناس في العصر الأموي، فقد قال: "أطلب لي زوجة أدَّبها الغنى وذللها الفقر، لا ضرعة صغيرة ولا عجوزًا كبيرة، قد عاشت في نعمة، لها عقل وافر، وخُلق طاهر، وجمال ظاهر، كريمة المعتد، لم يدخلها صلف".(٢)

بعد أن تنتهي مرحلة الخطوبة يأتي عقد القران، فيكتب الصداق، وعادةً ما كانت تعقد الأنكحة بالمساجد طلبًا للبركة، فيجتمعون ومعهم المباخر المفضضة التي يحرقون فيها البخور، وبعد كتابة العقد ينصرفون في حفل كبير.(٣)

وبعد ذلك تأتي المرحلة الثالثة التي تتمثل في نقل جهاز العروس الذي كان يتناسب مع مكانة الزوج المالية والاجتماعية، ففي أفراح الخلفاء والسلاطين والأمراء تحمل الجهاز أحيانًا قوافل من الدواب والجمال ومئات الحمالين، أما إذا كان أصحاب الفرح من العامة، فإنه يحتفل بنقل الجهاز في حفل يشترك فيه الأقارب والأصدقاء.

---

(١) علي حسني الخربوطلي، مرجع سابق، ص٣٣٦.

(٢) ابن قتيبة، مصدر سابق، ص٥.

(٣) بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص٢١٧.

وفي ليلة الزفاف تقام وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء تعرف بوليمة العرس، وهما في الواقع وليمتان، إحداهما للنساء وتقام في بيت العروس، وأخرى للرجال وتقام في بيت العريس. وفي المساء يخرج العريس قاصدًا بيت العروس في حفل بهيج يتم خلاله ضرب الدفوف وسط زغاريد النساء وأضواء الشموع.(١)

ولم يكن تعدد الزوجات عيبًا كبيرًا في ذلك الحين، كما لم يكن زواج المرأة بعدة أزواج على التوالي غريبًا، فمن النساء من تزوجن أربعة وخمسة أزواج على التوالي.(٢)

وكان الزواج أحيانًا يتم لأغراض سياسية، ويرمي إلى ربط القبائل العربية بعضها ببعض، فحرص الحجاج على الزواج من اليمن ومضر، وزوَّج الحجاج ابنه محمدًا من ميمونة بنت محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، رغبة في شرفها، ومع ما كانت عليه من جمال وفضل، ليكونوا له يدًا على من ناوأه.(٣)

الاحتفالات:

كان المجتمع الأموي يحتفل بالأعياد الإسلامية الرسمية، وهما عيد الفطر والأضحى، وكذلك أول رجب، ونصف شعبان، وبداية السنة الهجرية في الأول من محرم، فكان الناس يلبسون أحسن ما عندهم ويتزينون.

كما كان أهل الذمة يحتفلون بأعيادهم في حرية وتسامح، وكانت الأديرة فرصة يتنزه فيها المسلمون لكثرة حدائقها.

---

(١) بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص٢١٨.

(٢) علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٣٣٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٣٥.

والجديد في الاحتفالات في العهد الأموي ما أدخله الموالي من الاحتفال بأعيادهم القديمة قبل الإسلام، ولاقت القبول من الخلفاء، فقد احتفلوا بعيد النيروز في أول أيام الربيع، وبالمهرجان في أول أيام الشتاء، وقد كانت تقدم في هذين العيدين الهدايا للأكاسرة، فلما تولى معاوية الخلافة جدَّد هذه العادة حتى بلغت قيمة الهدية في السنة عشرة ملايين درهم.[١]

---

(١) شحاتة علي الناطور، مرجع سابق، ص٩٦.

المبحث الثاني

المجالس العامة والخاصة

المجالس العامة:

المجالس العامة هي لادارة شؤون الدولة وقضايا الناس، وتناقش فيها أمور متعددة، دينية أو سياسية أو أدبية أو لغوية.

معني المجلس: هو مجتمع القوم، سواء أكان صغيرًا يضم بضعة أشخاص، أم كان كبيرًا يتسع لعشرات. يجلس كبير القوم أو عالمهم أو رئيسهم، ويتحلق حوله أو بين يديه بقية الحاضرين، حسب مكانتهم من السن أو المنزلة الاجتماعية أو المنزلة العلمية. وكانت المجالس، وما زالت، تعقد في البيوت أو المضافات أو الدواوين الرسمية، يتداول الحاضرون ويتدارسون فيها أمورهم الخاصة والعامة، والحديث يجر حديثًا فيما يعرض لهم من قضايا. وقد يكون المجلس مجلس سمر وفكاهة وطرب، أو مجلس علم ودين، أو مجلس أدب وشعر، وفق اهتمامات الحاضرين أو الذين يتصدرون المجالس من ذوي الشأن والسلطان. وقد تكون هذه المجالس عفوية لا إعداد لها، وقد يكون لها إعداد وتنظيم وفق برامج مهيأة وأوقات محددة.

يتخذ المجلس طابع أهله ومكانتهم من حيث البساطة والفخامة، فمجالس العلماء والفقراء بسيطة متواضعة، ومجالس الموسرين والمترفين يسودها الترف والنعمة ويكون فيها طعام وشراب، ومجالس الأمراء والخلفاء لها أصولها ومراسيمها. ويمكن تقسيم المجالس إلي أصناف حسب الآداب والعلوم التي تعرض فيها، فمن ذلك مجالس الخلفاء والأمراء،

وهي مجالس عامة تناقش فيها أمور متعددة دينية وسياسية وأدبية ولغوية وعلمية، ووفق ما يعرض الخليفة أو الأمير، أو وفق المدعوين إلى ذلك المجلس، من المهتمين بشأن معين كمجالس الأدب من شعر وخطابة، ومجالس الغناء والطرب، ومجالس العلم في اللغة والنحو، ومجالس الولاة.[١]

في العصر الأموي صار للمجالس أصول، ومراسيم وأبهة وترف، فرتبوا المجالس وأجلسوا الناس وفق منازلهم، واتخذوا الحُجَّاب، ولم يأذنوا إلا لفئة يرضاها الخليفة أو الأمير. وكان الخلفاء يقسمون أوقاتهم في الليل والنهار، ولكل وقت مجلس، فمجالس النهار لإدارة شؤون الدولة وقضايا الناس، ومجالس الليل للسمر والمنادمة والطرب.[٢]

شكل المجلس ومراسيم دخوله:

اتخذ الأمويون القصور والمجالس الفخمة مقلدين في ذلك ملوك الروم والفرس، فصار في المجلس أَسِرَّة وكراسي من الأبنوس والصندل، مرصعة بالعاج والذهب، محفوفةً بالستور الملونة المترفة، ومفروشةً بالطنافس، عليها الفرش من الديباج والخز، وعليها الوسائد المزينة، ونقشت السُتُر وصدور المجالس بالأشعار، وقد يكون للخليفة أو الأمير مجلسان، مجلس عام لإدارة شؤون الدولة يحضره الوزراء والكُتَّاب ورجال الدولة، ومجلس خاص للشعر والأدب والطرب يحضره الأدباء والشعراء والمغنون والندماء.[٣]

---

(١) يحي وهيب الجبوري، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء (مرآة للحضارة العربية الإسلامية)، دار العرب الإسلامي، الطبعة الأولي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٩.

(٣) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٥٨.

أما مراسيم الدخول على الخليفة في زمن الخلفاء الراشدين فكان أمرًا ميسورًا، فحين يدخل الرجل على الخليفة يسلم عليه، أو يقف الرجل بالباب ويقول: (السلام عليكم.. أأدخل؟؟) ويكرر ذلك ثلاثًا، فإن لم يؤذن له لم يعدها.[(١)] فلما كان زمن الأمويين أقيم الآذنون والحجَّاب يتوسطون للناس بالدخول على الخليفة بحسب طبقاتهم وفي أوقات معينة، ففي المجالس العامة يقدمون الناس حسب مراتبهم، أما في المجالس الخاصة فيؤذن لمن يطلبه الخليفة من الأدباء والشعراء والعلماء، ويجلسونهم في مواضع لأكثرهم أدبًا. ولم يكن الدخول على الخلفاء أمرًا ميسورًا في العصر الأموي، بل كان حسب مراتبهم ويقال أن أول من رتب المراتب في الدخول على الخليفة هو زياد بن أبيه في العراق، وكان حاجبه عجلان قد أشار عليه بذلك فأخذ بمشورته، وجعل الإذن للناس حسب البيوتات، وحسب الأعمار، وحسب الآداب.[(٢)]

وصار ذلك سُنَّة في الاستئذان على الخلفاء في عصر الأمويين، فإذا استأذن جماعة في الدخول على الخليفة أو الأمير يؤذن أولًا لأشرفهم نسبًا، وإذا تساووا في النسب قدموا أكبرهم سنًا، فإذا تساووا في السن قدموا أكثرهم أدبًا، وظلت هذه القاعدة مرعية في سائر العصور الإسلامية.[(٣)]

---

(١) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٦٥.

(٢) المصدر نفسه، الجزء الأول، ص٦٧.

(٣) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٥٩.

كان الوافدون يقفون على الأبواب يطلبون الإذن، فإما أن يؤذن لهم أو يمنعون، فإذا منعوا عادوا ثانية وثالثة، وربما أقاموا على الأبواب أيامًا.[1]

أما جلوس الداخلين في مجلس الخليفة فكان الحاجب أو الآذن هو من يتولى إجلاسهم حسب مراتبهم، ففي العصر الأموي كان الجالسون قرب الخليفة هم من بني أمية، يجلسون على الأسِرَّة ويجلس بنو هاشم على الكراسي.[2]

آداب المجالسة:

كانت مجالسة الخلفاء في صدر الإسلام مثل مجالسة سائر الناس، وكانوا يخاطبون الخليفة باسمه أو كنيته، وكان الحاضرون يخاطب بعضهم بعضًا دون تكلُف أو تهيُب. فلما انتقلت الخلافة لبني أمية تشبهوا بالدول المجاورة، وأرادوا أن تكون للدولة هيبة في نفوس الناس، وللسلطان سطوة، وقد كان للولاة في ذلك أثر في نشر الخوف في نفوس الرعية، وتفخيم أمر السلطان، ولذلك منع الكلام في حضرة الخليفة،[3] وأن لا يسلم على قادم بين يدي الخليفة، وأول من فعل ذلك زياد بن أبيه إذ أمر (أن لا يسلم على قادم بين يدي الخليفة).[4]

وأول من منع الكلام بحضرة الخلفاء هو عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك حرَّم على الناس أن يكلموه كما كانوا يكلمون أسلافه، وهو أول من منع الناس أن يكاتبوه بما

(١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٦٠.

(٢) ابن الأثير، مصدر سابق، الجزء السابع، ص٥١.

(٣) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٦١.

(٤) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٥.

كانوا يكاتبون به أسلافه، أو يكاتبون به بعضهم بعض. كما منع أن يدعى أحد في حضرة الخلفاء، ولا ينهض لداخل إلا إذا نهض الخليفة، ثم أمر أصحاب الدواوين أن لا يقوموا لأحد ما داموا في دواوينهم، ومنع الكلام في مجلس الخليفة إلا إذا أذن لهم الخليفة.

ومن آداب المجلس أن يكون الأمر فيه للخليفة وحده، ولا يجوز لأحد أن يتكلم لأحد دون أن يُسأل، ولا يتشاغل بشئ، وإذا نهض الخليفة نهض سائر الحضور، ومن يحضر مجلس الخليفة يكون حذرًا لبقًا في كلامه، يجيد الجواب إذا سئل، ويتجنب في مخاطبته الكلمات التي توحي بمعاني قد تغضب الخليفة.(١)

احتجاب الخلفاء عن جلسائهم:

كان الخلفاء الراشدون يجالسون الناس ويخاطبونهم ولا يحتجبون عنهم، ثم احتجب الأمويون، وجعلوا بينهم وبين الجلساء حجابًا، ووسطوا في حوائج الناس من يقضيها عنهم، وأول من احتجب معاوية بعد محاولة البرك بن عبد الله الخارجي سنة ٤٠هـ/٦٦٠م قتله، وكان قد قعد له في المسجد، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بالسيف فجرحه، فلما شفي ابتنى هناك مقصورة يصلي فيها خوفًا من مثل ذلك، واحتجب

---

(١) قصي الحسني، تجديد الدولة العربية زمن الأمويين، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولي، ١٩٩٧م، ص٢.

من الناس إلا من اختصهم بالمجالسة.[1] وسار على نهجه هذا الخلفاء الأمويون، ويستثني من ذلك بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز.[2]

علامة الصرف من المجالس:

كانت إشارة فض المجلس وصرف الحاضرين علامة للخليفة يعرفونها، إما بإشارة باليد أو بكلمة يتفوه بها، ولكل خليفة علامة معينة، وقال أصحاب معاوية له: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك، فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك، فقال: علامة ذلك أن أقول: إذا شئتم. وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت: علي بركة الله. وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال: إذا وضعت الخيزرانة في يدي.[3]

مجالس الخلفاء:

مجالس الخلفاء هي مجالس عامة تناقش فيها أمور متعددة سياسية واقتصادية ولغوية وعلمية وغيرها ونذكر بعض الأمثلة لهذه المجالس:[4]

أ-المجالس السياسية:

بما أن حكم البلاد وسياسة الرعية ومتابعة شؤونها من أهم واجبات الخليفة، لذا حرص الخلفاء الأمويين على بحث هذه الأمور، ومناقشتها في مجالسهم، من أجل الوصول إلى

---

(١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٦٣.

(٢) الاصفهاني، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص١٦.

(٣) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٥.

(٤) يحي وهيب الجبوري، مرجع سابق، ص٣٨.

أفضل الصيغ في السياسة الداخلية للبلاد، وتشخيص الأخطاء والعمل على تجاوزها والإفادة من نصائح جلسائهم في هذه الأمور، التي من أهمها سياسة البلاد وحكمها.(١)

فمعاوية بن أبي سفيان تولى الخلافة بالسياسة والدهاء وبالسيف، وتلك السياسة كانت موضع مناقشات مجالس معاوية. ففي أحدها ناقش معاوية جلساءه في مقومات تلك السياسة مبينًا الخطوط العامة لها، التي من خلالها استطاع التعامل مع مسائل الحكم والدولة، قائلًا: "إني لا أضع سيفي حين يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حين يكفيني لساني، وإن كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها وإذا أرخوها مددتها".(٢)

ولما كان الحلم يمثل أبرز سمات سياسة معاوية الداخلية، لذا شهدت مجالسه بحثًا لتلك السمة ومناقشة لأسباب اعتماده عليها، ففي أحد المجالس تجاوز رجل على معاوية وأغلظ في القول، فتجاهل معاوية الأمر، فلامه جلساؤه على حلمه تجاه هذا الرجل، فبين لهم معاوية أن سياسته تقوم وتعتمد على الحلم في مثل تلك القضايا ما دامت بعيدة عن الملك والخلافة.(٣)

وفي مجلس آخر راجع يزيد بن معاوية أباه في صفة الحلم التي اعتمد عليها في سياسته الداخلية ومبالغته في هذا الجانب، مبديًا تخوفه من أن يكون ذلك ضعف إلا أن معاوية

---

(١) محمد علي، الإسلام والحضارة العربية، الجزء الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م، ص١٤٦.

(٢) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٨.

(٣) الطبري، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٣٦.

طمأن يزيد بأن ذلك لا يمثل ضعفًا وإنما يمثل منهجًا ثابتًا، لأن الحلم هو الصفة المطلوبة في هذه المرحلة لما يجلبه من نتائج محمودة.(١)

أما الخليفة عبد الملك فقد بين في أحد مجالسه أهم مقومات سياسته الداخلية، وأبرز ملامحها عند إجابته عن سؤال ابنه الوليد عن السياسة، قائلًا: "هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع".(٢) وربما أن عبد الملك أراد أن يبين لإبنه أن السياسي الناجح عليه أن يأخذ بعين الاعتبار المكانة الاجتماعية لرعيته، فيجب أن تهابه الخاصة، فهم أشراف القوم وأهل الأحساب والمكانة في المجتمع، والذين لهم تأثير في مجريات الأحداث، وأن يعاملهم معاملة خاصة ويتفقد أحوالهم،(٣) وأن يهتم بعامة الناس ويجتهد في إرضائهم واستمالة قلوبهم بالعدل والإنصاف حتى ينقادوا إليه طوعًا لا كرهًا.(٤)

وكان الخليفة هشام بن عبد الملك سياسيًا محنكًا، حسن السيرة، ويعد من ساسة بني أمية البارزين،(٥) إذ كانت مجالسه تضم الفقهاء وأصحاب الرأي الذين كان يستثمر وجودهم

---

(١) البلاذري، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص٧٩.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٠.

(٣) الإمام ابن الجوزي، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٠م في مكة، ص٦١.

(٤) شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٣٥.

(٥) المسعودي، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص١٩٩.

في تلك المجالس ليعبروا عن آرائهم التي تسهم في رسم تلك السياسة، حرصًا منه في الوصول إلى سياسة داخلية هدفها صلاح الملك واستقامة الرعية، وحفظ مصالحها.[1]

وشهدت مجالس الخلفاء الأمويين الكثير من اللقاءات والمشاورات والأحاديث التي كان لها دور كبير في تعيين هذا الأمير أو عزل ذلك الوالي، فلما ولى الخليفة معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة وبحث هذا الموضوع في مجلسه مع المغيرة بن شعبة انتهى هذا المجلس بأن أعاد معاوية النظر في قراره، فعزل عبد الله بن عمرو عن الكوفة قبل أن يصل إليها، وعيَّن مكانه المغيرة بن شعبة بدلًا عنه.[2]

ولما بدأت العصبية القبلية تظهر في خراسان بين القيسية واليمانية في أثناء ولاية بكير بن وشاح، كتب أهل خراسان إلى عبد الملك أن يولي عليهم قرشيًا، أملا في أن لا يتعصب لأحد الطرفين،[3] ولحساسية الأمر أطلع الخليفة عبد الملك جلساءه على مضمون ذلك الكتاب وعلى طبيعة أوضاع خراسان، مبينًا أهمية هذا الإقليم كثغر جهادي للمسلمين، وضرورة تلافي أي خلاف بين أبنائه، فانتهت مناقشتهم بتعيين أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد. ومن الأشياء التي تناقش في المجالس الخصومات، ففي

---

(١) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٤٥.

(٢) الطبري، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص١٦٦.

(٣) البلازدي، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص١٥٣.

مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك عرضت قضية الأعرابي الذي شكا للخليفة الوليد صهرًا له كان في المجلس نفسه.(١)

كما شهدت مجالس الخليفة عمر بن عبد العزيز النظر في الخصومات التي تخص العامة، ومن ذلك الشكوى التي قدمها فتيان ضد عمهما، بخصوص ميراث أبيهما، إذ حضر الطرفان في مجلس الخليفة الذي أبلغ العم بأن أبناء أخيه يدَّعون أن مال أبيهم لديه، فأقر الرجل بالمال وأحضره، مبينًا أن هذين الفتيين توفي أبوهما، وأنه كان ينفق عليهما منذ ذلك الوقت، وأنه احتفظ بالمال لكي يحافظ عليه، وهو الآن يعيده لهما كاملًا.(٢) إن النظر في هذه الخصومات في مجالس الخلفاء الأمويين، يبين أنها لم تقتصر على النظر في المظالم، وكانوا يستمعون وينظرون في بعض الخصومات بين العامة متى كان مناخ المجلس يسمح بذلك.

وأيضًا كانت تناقش الأوضاع الاقتصادية في مجالس الخلفاء الأمويين، إذ أن الأموال تمثل العنصر الأساس للحياة الاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم، وأن الأموال لا تأتي إلا عن طريق ممارسة الأعمال والمهن، لذا أبدى الخلفاء الأمويون اهتمامًا كبيرًا بالأعمال والمهن التي كان الناس يمارسونها، فقد تطرقت مجالسهم إلى موضوع الأعمال والمهن، فيذكر أن قومًا حضروا إلى مجلس الخليفة

---

(١) الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق على الخاقاني، مطبعة مصري، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م، ص١٥٤.

(٢) الإمام أبي عمر يوسف بن عبد اله بن محمد بن عبد البر، بهجة المجالس، وأنس المجالس، المجلد الأول، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص١٠٧.

معاوية بن أبي سفيان، فسألهم عن أعمالهم، وبعد أن تبين له أنهم تجار رقيق ذمَّ الخليفة معاوية هذا النوع من التجارة قائلًا: "بئس التجارة، ضمان نفس ومؤنة ضرس".[١]

شهدت مجالس الخلفاء الأمويين الكثير من اللقاءات، من أجل تجاوز الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها بعض مناطق الدولة، وتبحث في وسائل وسبل مناسبة لمعالجتها، ومن ذلك ما شهده مجلس الخليفة معاوية من مناقشات بخصوص الوضع الاقتصادي والمعاشي لأهل البصرة مع الأحنف بن قيس، الذي أطلع الخليفة على تدهور الوضع الاقتصادي في البصرة.[٢]

كان لموضوع الطعام والشراب حضور واضح في أحاديث مجالس الخلفاء الأمويين ومناقشاتهم، إذ جرى فيها البحث في أنواع الأطعمة والأشربة ومنافعها ومضارها فقد تطرقت مجالس الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى أنواع الطعام والشراب وما يفيد الجسم منها وما يمكن تجنبه، فيذكر أن معاوية اشتكي يومًا للمغيرة بن شعبة قلة شهيته للطعام وضعف في قواه، وعدم قدرته على تحمل البرد، فكان من بين الأمور التي نصحه المغيرة بها لمعالجة حالته، هو وجوب تناول أنواع مختلفة من الأطعمة، لأن في تنوع الطعام فائدة في تقوية الجسم، والذي ينعكس بدوره على تحمل البرد، وكان لالتزام معاوية بهذه النصيحة نتائج إيجابية على صحته.[٣]

---

(١) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٣٥.

(٢) إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (القيرواني)، زهر الآداب وتمر الألباب، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، ص٥٠.

(٣) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء السابع، ص٢٦٦.

كما تباحث الخليفة الوليد بن يزيد مع جلسائه، بخصوص أنواع الأشربة، وخواصها ومميزات كل واحد منها، كالماء وضرورته، واللبن وأهميته، والسويق، وفائدته، ودوره في معالجة المرضى، ونبيذ التمر، ونبيذ الزبيب.(١)

ب- مجالس العلم والشعر:

كان للخلفاء مجالس غير مجالس الحُكم التي تعقد في النهار، فكانوا إذا قضوا أمور الحكم وقضايا الناس يروحون عن أنفسهم بالأحاديث وسماع الشعر وتعرف أخبار الماضين، فيدعون الأدباء والرواة وأهل الأخبار ليحضروا مجلس الخليفة، فيسأل الخليفة عما يروقة من شعر، وأحوال الناس، وصفات الملوك السابقين، يلتمسون في ذلك الخبرة في أصول الحكم، ومهام الملك واتخاذ العِبَر من أحوال السابقين، بالإضافة إلى الترفيه عن أنفسهم بسماع طرائف الأشعار والأخبار. وكان معاوية أول من اهتم بهذه المجالس، وسار على نهجه هشام بن عبد الملك. وقد تكون هذه المجالس واسعة يحضرها عدد كبير من الشعراء والأدباء وأصحاب الأخبار، وقد تكون خاصة، إذ يستدعي الخليفة راوية أو إخباريًا ممن يرتاح لسماع أخباره وأحاديثه في ساعة قلقه أو أرقه من الليل أو النهار. وكثيرًا ما تكون هذه المجالس فردية في أواسط الليل والناس نيام، فهؤلاء الخلفاء عرب نشأوا على حب الشعر وحفظه والتمثل به، فكانوا يحترمون أهل الأدب والعلم ويقربونهم ويبذلون لهم الأموال.(٢)

---

(١) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٢٠٢.

(٢) يحي وهيب الجبوري، مرجع سابق، ص١٨٩.

كان أكثر الخلفاء الأمويين مقبلين على العلم، ويحرصون على تعلمه وتعليمه لأبنائهم، لذلك تراهم يوصون المؤدبين أن يحرصوا على تعليم أبنائهم وأخذهم بالشدة، ويحرصون على تعليمهم الشعر وأيام العرب والأنساب وما إلى ذلك. وفي وصاياهم للمؤدِّبين خير دليل على اتجاهاتهم تلك، ولنأخذ بعض هذه الوصايا لبيان ما فيها من اتجاهات واهتمامات في طلب العلم، ومن ذلك وصية عبد الملك بن مروان لإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم، مؤدِّب أبنائه، يقول فيها: "إني اخترتك لتأديب ولدي، وجعلتك عيني عليهم وأميني، فاجتهد في تأديبهم، ونصيحتي فيما استنصحتك فيه من أمرهم ،علمهم كتاب الله حتى يحفظوه، وفقههم على ما بيَّن الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أصدقه، وجنبهم محادثة النساء ومجالسة الأظناء ومخالطة السفهاء وخوفهم بي، وأدبهم دوني، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضيعة للفهم وأنا أسال الله توفيقك وتسديدك".[1]

أما هشام بن عبد الملك فتعتبر وصيته أطول وصية تربوية في العصر الأموي، وكان يخاطب فيها محمد سليمان مؤدب إبنه: (إن أول ما آمرك به أن تأخذ بكتاب الله، وتقرئه في كل يوم عشرًا، ليحفظ القرآن حفظ رجل يريد الكسب به، وروه من الشعر أحسنه، وتخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم من هجاء ومدح، فإنه ليس من قوم الإ وقد هجوا ومدحوا، ورو‌ه جماهير أحياء العرب، ثم تخلل به في مغازي النبي صلى

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف، مصدر سابق، ص١١٦٥.

الله عليه وسلم وحفظ من كان معه وحسن بلائهم، وبصره طرفًا من الحلال والحرام والخطب، وما يحتاج إليه في قدره وموضعه.[١]

وأيضًا وصية عمر بن عبد العزيز لسهل مؤدب ابنه، وقد نبهه لكثير من الأمور منها ترك الصحبة أثناء التعلم لأنها من مسببات الانشغال بغيره، وحذر من كثرة الضحك لأنها تميت القلب، ولكنه حذر من مسالة مهمة جدًا وهي حضور الملاهي والاستماع إلى العزف والأغاني، وفسَّر ذلك بجملتين قصيرتين استوعبتا المعنى بالكامل (بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن) وقد عبر عن ترديد الإنسان للأغاني بلفظة (اللهج) تعبيرًا عن شدة تأثر الإنسان بالعزف والأغاني وترديدها له لا إراديًا، وبذلك انشغاله عن غيره من الأمور التي تنفعه.

ويؤكد عمر بن عبد العزيز على تعلم القرآن الكريم، والتثبت في قراءته، لأنه أصل العلم ومنبع الفصاحة والبلاغة التي يحتاجها كل عربي، فأراد أن يوجههم إليه.[٢]

كل هذه الوصايا تدل على حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم القرآن الكريم والشعر وما يتصل به من أخبار، وفي ذلك دلالة عما كان من حركة أدبية تعج بها مجالس العلم والمعلمين، وكان الخلفاء الأمويون يحترمون من له علم ومعرفة ويسألون الناس عما حفظوا وعملوا، فإذا كان لهم علم احترموهم، وإن كانوا من الجهلة العوام أهملوهم وأبعدوهم، سأل هشام بن عبد الملك أحد أخواله عما يحسن من علم، فلما لم يجد لديه ما

---

(١) جمانة محمد نايف الدليمي، الوصايا التربوية في العصرين الأموي والعباسي، موقع دنيا الوطن، عن طريق الانترنت الشبكة العنكبوتية ٢٠١٠م.

(٢) المرجع نفسه، ص٥

يحسنه لم يحتشمه، وذلك أن هشامًا كان يلعب الشطرنج مع الأبرش الأكبسي فاستأذن الحاجب لرجل من بني مخزوم من أخواله، فأمر بإدخاله، فقال هشام: (يا خال أتقرأ كتاب الله؟ قال: ما أقرأ منه إلا ما أقيم به صلاتي، قال: أفتروي من الآثار شيئًا؟ قال: لا، قال: أفتعرف من أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرف مثلهم؟ قال: لا، قال: أفتنسب قريشًا وسائر بني نزار؟ قال: لا، ما أحسن من النسب شيئًا، قال: يا غلام ارفع المنديل، فليس من خالنا حشمة، وأخذ في لعبه.(١)

وكان للخلفاء عناية فائقة بالشعراء، فهم اللسان الناطق بمآثرهم والمشيد بمفاخرهم، وكانوا يأنسون ويبتهجون بسماع الشعر ويهتزون له فيجزلون العطاء للمنشدين، ولذلك فقد عين الخلفاء أوقاتًا للشعراء يدخلون فيها عليهم، وكانوا يفرضون لهم مالًا يدفعونه إليهم كل سنة على الوفدة أو القصيدة، أو يعطونهم على البيت من الشعر مبلغًا معينًا، وكان مقامهم يعلو ويهبط تبعًا لأمزجة الخلفاء وأغراضهم وأحوالهم السياسية.(٢)

وكان أكثر الخلفاء الأمويين يحبون الشعر ويجذلون عليه العطاء، وكان بعضهم شاعرًا مثل يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد بن عبد الملك، وقد رويت لكثير من الخلفاء أبيات وقطع معدودة، فهناك أشعار حفظتها كتب الأخبار والأدب لمعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد، ومروان بن محمد،

---

(١) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، الجزء الثالث، مكتبة المثني بغداد، ١٨٧١م، ص١٠٢.

(٢) يحي رهيب الجبوري، مرجع سابق، ص١٩١.

وغيرهم. وكان الشعراء يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بالشعر، وكان أكثرهم يبالغون في إضفاء صفات القوة والمهابة، والعدل والكرم، ويجاوزون حد الاعتدال فيرتكبون أقبح الأكاذيب، ولذلك كانت لهؤلاء الشعراء منزلة رفيعة عند الخلفاء، أما الذين كانوا يلتزمون القصد والاعتدال فما كان لهم نصيب من الحظوة والمكانة، ولذلك شاع في العصر الأموي شعر المديح الكاذب والتكسب بالشعر وإراقة ماء الوجه.

وكان لدخول الشعراء على الخلفاء في المجلس وإنشادهم الشعر أصول ومراسيم منها أن ينشد الشاعر قصيدته بصوت عال وهو قائم، وإذا تعدد المنشدون قدموهم حسب أعمارهم، وكان الخلفاء يتفهمون الشعر، وقد يباحثون الشاعر في معنى البيت أو الكلمة، وإذا أرادوا سماع قصيدة لم يعرفها الحاضرون أو فهم بيت أو أبيات أرسلوا إلى العراق أو الحجاز لاستقدام شاعر أو راوية فينشدهم ويعرفهم ما طلبوا، وقد لا يكون الغرض من ذلك إلا سماع بيت أو قصيدة، كما فعل الوليد بن يزيد حين استقدم حمادًا الراوية من العراق لينشده قصيدة تغنيها مغنيته.(١)

كانت مجالس الخلفاء والأدباء والعلماء قد ازدهرت منذ وقت مبكر، وتعد هذه المجالس منتديات عامة يجتمع فيها الشعراء والرواة والخطباء والإخباريون، وكانوا ينشدون في هذه المجالس الأشعار ويتداولون ويتناظرون فيما يعرض لهم من العلوم والشعر.(٢)

---

(١) يحي رهيب الجبوري، مرجع سابق، ص١٩٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٠.

ج – مجالس الولاة الاجتماعية:

تشمل هذه المجالس جميع جلسات الشعر التي كانت تقام عند الولاة في مختلف المناسبات الاجتماعية كالوفاة والمرض مثلًا، أو جلسات الشعر التي كانت تقام بدون مناسبة معينة لدوافع اجتماعية متعددة، كالحضور إلى مجالس الولاة للإجارة وطلب الشفاعة، والمنادمة وطلب الحاجة والتكسب المادي بالشعر.

وضمن مجالس الشعر التي كانت تقام في المآتم نذكر ما حدث عند الحجاج بعد وفاة ولده محمد وأخيه محمد بن يوسف عندما آتاه خبر وفاتهما في آن واحد، وقيل أن بين وفاتهما جمعة واحدة، إذ جلس الحجاج للمعزين، وكان فيهم الشاعر همام بن غالب المعروف بالفرزدق، وطلب الحجاج منه أن يرثي ولده وأخاه، فأنشده الفرزدق شعرًا يرثيهما.[١]

زياد بن أبيه قام بإحياء مجالس السمر، وكان يجمع حوله حلقة من النبلاء كل مساء، وسار زياد سيرة معاوية في الجلوس على السرير مقلدًا الفرس، وكان زياد يشتو بالبصرة ويصيف في الكوفة، ويحضر وجوه البصريين مجالسه فيدخلون عليه على السابقة والشرف، ويسمرون عنده جالسين على الكراسي، وكان يتناول الطعام معهم.

---

(١) رحيم محمد، مجالس الشعر والغناء عند الولاة والعمال العرب خلال العصر الأموي، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد الثامن، العدد الخامس عشر، ٢٠٠٩م، ص٩.

سار عبيد الله بن زياد سيرة أبيه في عقد المجالس، وأراد حارثة بن بدر أن يكون نديمه وجليسه كما كان نديم أبيه، ولكن ابن زياد طلب منه أن ينادمه سرًا وليلًا، ثم ما لبث أن أصبح مقربًا إليه فكان ينادمه ليلًا ونهارًا.[١]

أبهى مجالس الولاة الأمويين هي مجالس بشر بن مروان والي عبد الملك في العراق، فقد كان بشر أديبًا ظريفًا يحب الشعر والسمر والسماع، وكان بشر في مجالسه يجلس على فرش صغير وعن يمينه وشماله وخلفه مرافق، وعلى رأسه إكليل ريحان، ويجلس حنين مغني العراق الأول أمامه على كرسي، وكان بشر يرتدي في مجالس السمر غلالة رقيقه صفراء وملاءة مصقولة، وكان لا يسمح بدخول أحد عليه أثناء السمر والغناء وبجانب هذه المجالس المرحة التي عقدها بشر كانت هناك مجالس الشعر، فقد كان يجتمع عنده الفرزدق وجرير والأخطل، وكان بشر يغري بينهم فيتهاجون ويتسابون.[٢]

امتازت مجالس ولاة عمر بن عبد العزيز بالجد والوقار، فكان عمر ينهى رعاياه دائمًا عن المزاح لأنه يبعث الضغن وينبت الغل، وكان خالد القسري والي هشام جادًا في مجالسه، بل حرَّم الغناء في العراق.

كانت لمجالس الولاة تقاليد وآداب، وقد ساروا فيها سيرة أكاسرة الفرس واقتبسوا منهم نظام الحجاب.[٣]

---

(١) علي حسن الخربوطلي، مرجع سابق، ص٣١٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٣١٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٣١٨.

كما كان للولاة مجالسهم فقد كان لعامة أهل البلاد مجالسهم، لكن اختلفت أماكن هذه المجالس، فقد كان بعضهم يعقدونها في المساجد أو الجبانات،[١] والبعض الآخر يعقدونها في البيوت، أو الحانات أو الأديرة، أو كناسة الكوفة أو مربد البصرة، وكان للبدو مجالسهم الخاصة، وكان يتحدث فيها رجالهم إلى النساء ولا يرون في ذلك بأسًا، وكثيرًا ما كان الأخطل الشاعر هو ضيف الشرف في هذه المجالس. وكانت حفلات الزواج مجالًا طيبًا لعقد المجالس وسماع الغناء، وكانت تعقد بعض المجالس الجادة البريئة في الدور.[٢]

كانت مجالس القصاص من أبرز مجالس العراق، فكان القاص يجلس في المساجد أو البيوت ويقص على الناس القصص والتواريخ، والأساطير، وهي تعتمد غالبًا على الخيال حتى تكتسب صفة التشويق والترغيب، وكانت من أبرز هذه القصص قصة تدور حول أحد تجار الكوفة وهو علي بن آدم، فقد كان مغرمًا بجارية، فوضع كتابًا حوى قصصًا لغرامياته، فأصبحت هذه القصص على لسان أهل الكوفة في مجالسهم.[٣]

---

(١) الطبري، مصدر سابق، الجزء السابع، ص٦٤.

(٢) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء السابع، ص١٧٥.

(٣) المصدر نفسه، الجزء الرابع عشر، ص٤٩.

المجالس الخاصة:

هي المجالس التي غالبًا ما تقام في الليل للسمر والمنادمة والطرب والشعر والشراب.[١]

أ- مجالس الغناء:

عندما اختلط العرب بالأمم المجاورة بعد الإسلام تأثروا بغناء الأمم الأخرى، وأخذوا منهم ما يوافق أذواقهم وأشعارهم، وحين استقر العرب في الأمصار بعد الفتوح، وتوطدت أركان الدولة الأموية بدأ الغناء العربي يزدهر في الدولة، بل أصبح الحجاز الذي شهد شروق نور الإسلام والرسول وصحابته، أكثر الأمصار الإسلامية اهتمامًا بالغناء.[٢]

أقبل الخلفاء الأمويين ورجال الدولة وغيرهم على الغناء والطرب، وجعلوا للمغنين نوبات يدخلون فيها مجالسهم[٣]، وفرضوا لهم الرواتب كما فرضوها للشعراء، وغدوا بهم إلى بعض أهل البلاط أو الحاشية ينظرون في أمورهم[٤]، وكانوا يصطحبونهم في خروجهم للصيد أو نحوه ويجيزونهم الجوائز الكبرى[٥]، وهم أقرب إلى ذلك من الشعراء لما يتفق في مجالسهم من طرب الخلفاء، لأنهم قلما كانوا يسمعون الغناء من غير شراب، فإذا ما طربوا بذلوا الأموال بلا حساب.

---

(١) يحيي وهيب الجبوري، مرجع سابق، ص٣٨.

(٢) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٥٧.

(٣) المصدر نفسه، الجزء التاسع، ص١٣.

(٤) ابن الأثير، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص٦١.

(٥) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص١١١.

ومن أكثر الخلفاء الأمويين رغبة في الغناء وبذلًا للمغنين يزيد بن عبد الملك الذي استخفه الطرب من غناء جاريته حبابة حتى قال: "أريد أن أطير" فقالت له حبابة: "على من تدع الأمة وتدعنا"، وكذلك كان ابنه الوليد بن يزيد.[١]

مجالس الشراب:

في وصف مجلس الشراب وما يسبقه من إعداد، فقد قيل: إن الأمراء والقواد وأصحاب الشأن في الدولة، إذا أراد أحدهم أن يجلس للمنادمة والشراب، يأمر وكيله بإعداد ما يلزم، فيختبر الوكيل أطيب الأطعمة وأعذب الشراب، ويأتي بالمغنين والموسيقيين والجواري والراقصات، وقد يدعو بعض الشعراء أيضًا، حتى إذا انتهى من إعداد ما يلزم، جاء الكبير ومعه صحبه وأصدقاؤه، فيخلع الجميع أثوابهم الرسمية، ويلبسون أثوابًا ملونة بالحمرة أو الصفرة أو الخضرة يسمونها أثواب المنادمة، وهي في الغالب أثواب رقيقة وملاءات مصقولة، وعندئذ يفتح لهم الوكيل أو القيم بابًا في صدر القاعة، يخرجون منه وينزلون فيه بضع درجات إلى دهليز في جانبه أبواب مقفلة تستطرق إلى غرف وقاعات عديدة، وفي منتهى الدهليز مصطبة فرشت على سعتها بالنمارق والطنافس، وفي صدرها فرش عالية فوق سرير من الأبنوس المنزل بالذهب لا يرتقي إليه إلا بكرسي، وحوله عدة كراسي ووسائد فوق الطنافس وحول الجدران، وفي وسط المصطبة سماط، وهو بساط من جلد جميل الصنعة فوق ملاءة من الحرير، وفوق البساط مائدة كبيرة الحجم مستديرة الشكل قصيرة علوها شبر، حتى إذا انتظم الجميع، أتوهم بالأباريق البلورية والفضية،

---

(١) المسعودي، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص١٢٦.

وفيها الأشربة والأنبذة، وبينها الأقداح على اختلاف أشكالها وألوانها، ويتخلل ذلك أطباق الفاكهة واللحوم الباردة، ومزاهر الأزهار ونحوها، وقد فاضت رائحة المكان بأطيب الروائح العطرية.(١)

وفي هذه المجالس يكثر شرب المسكر فيفقد الحاضرون عقولهم واتزانهم ووقارهم،(٢) ومما ساعد على نشر الخمر بين المسلمين أن بعض الخلفاء الأمويين كانوا يشربونها، كيزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد،(٣) والوليد هذا أول من وصف الخمر وتغزل بها، فسرق الشعراء معانيه وأدخلوها في أشعارهم، وتهتك الوليد في المسكر حتى حدثته نفسه أن يسكر فوق الكعبة، فخوفه أصحابه من الناس فأمسك وقد أفسده وعلَّمه الخلاعة مؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى.(٤)

ومن أشهر الخلفاء الأمويين الذين منعوا الخمر عمر بن عبد العزيز، فعمد بعض المتملقين من الفقهاء ورجال الدين إلى انتحال المسوغات لشربها، فأخذوا يبحثون في الفرق بين أنوعها، وميزوا بين المحلل والمحرم منها، فأجمعوا على تحريم الخمر، واختلفوا في تحريم النبيذ وفي أي أنواعه حلال وأيها حرام، ويقال بالإجمال أن أهل العراق كانوا يستحلون النبيذ وأهل الحجاز يحرمونه.(٥)

---

(١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤٧.

(٣) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص ٣١٤.

(٤) ابن الأثير، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، الجزء السادس، ص٢٦.

أما العامة فقد انغمس الكثيرون منهم في المسكر وشربوه على أنواعه، شأنهم في كل زمان، وإن لم يشربه حكامهم، فكيف إذا كانوا يشربون؟ والغالب في شاربي النبيذ أن ينبِّذوه في بيوتهم، وبعضهم يشربه عند إخوانه، وآخرون يتناولونه في الحانات، وكانت كثيرة، وأكثر أصحابها من اليهود، وقد يشربون الخمر في الأديار*، فخمرها مشهورة بجودتها.[١]

* الأديار هي اماكن يشرب فيها الخمرة .

(١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٤٩.

المبحث الثالث

الأثر الفارسي والروماني على المجتمع الأموي

دخل في الإسلام كثير من أهل البلاد المفتوحة، وامتزجوا بالعرب كأنهم منهم[1]، وكانت اللغة العربية لغة الدين الذي آمن به كثير منهم، ولغة الفاتحين الذين يتصلون بهم، فتسابق كثير منهم إلى تعلمها، وسرعان ما أجادها بعضهم.[2].

إن العادات الفارسية والرومانية قد امتزجتا بالعادات العربية، وقانون الفرس والقانون الروماني امتزجا بالأحكام التي أوضحها القرآن والسنة، وحِكم الفرس وفلسفة الروم امتزجتا بحِكم العرب، ونمط الحُكم الفارسي ونمط الحُكم الروماني امتزجا بنمط الحُكم العربي وبالإجمال كل مرافق الحياة والنظم السياسية والاجتماعية والطبائع العقلية تأثرت تأثرًا كبيرًا بهذا الامتزاج.

كانت هذه الأمم المفتوحة أرقى من العرب مدنيةً وحضارةً، وأقوى نظمًا اجتماعية، فكان من الطبيعي أن تسود مدنيتهم وحضارتهم ونظمهم، وبما أن العرب هم العنصر القوي الفاتح فقد عدلوا هذه النظم بما يتفق مع عقليتهم، فسادت في البلاد المفتوحة النظم التي كانت متبعة من قبل الفتح، كنظام الدواوين، ونحوه، وأقروهم على ما كانت عليه، حتى لغة الدواوين نفسها ظلت باللغة الأصلية إلى عهد عبد الملك بن مروان.[3]

---

(١) أحمد أمين، مرجع سابق، ص٩٦.

(٢) أحمد محمد الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٨٩.

(٣) أحمد أمين، مرجع سابق، ص٩٨

انتصر العرب في شيئين عظيمين: اللغة والدين، فأما لغتهم فقد سادت هذه الممالك جميعها، وانهزمت أمامها اللغات الأصلية للبلاد المفتوحة، وصارت هي لغة السياسة ولغة العلم، و ظل هذا الانتصار حليف العرب في أكثر هذه الممالك إلى اليوم. وكذلك الدين، فقد ساد الإسلام الأقطار واعتنقه أهلوها، وقلَّ من بقي على دينه الأصلي من سكان هذه البلاد المفتوحة.(١)

إلا أن العرب قد تأثروا كثيرًا بنظم أولئك، السياسية منها والاجتماعية، وما يهمنا هنا النظم الاجتماعية.

أثر الفرس والروم على الحياة الاجتماعية:

تأثر العرب كثيرًا بعادات الفرس والروم في الطعام والملبس والمسكن والمجالس والاحتفالات وغيرها من نواحي الحياة الاجتماعية، كان طعام العرب قبل الإسلام وحتى بداية الدولة الأموية يكاد يكون قاصرًا على الألبان وما يستخرج منها، والتمور والحبوب، أما اللحوم فكانوا يأكلونها على أبسط ما يكون كما يفعل معظم أهل البادية.(٢)

ولما فتحت بلاد فارس عرف العرب ألوانا من الأطعمة لم يعرفونها قبلًا، فحينما أقاموا في تلك البلاد، تعرفوا على أطعمة الشعوب الجديدة كالفالوذج* والحلاب، وغيرها، ثم تفننوا في معالجتهم للحوم والألبان والخضار والتوابل.(٣)

---

(١) أحمد أمين، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٢) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص٣٢٠.

* الفالوذج هو نوع من الحلوى عرفه العرب قبل الإسلام و أدخله أحد أثرياء العرب وهو عبدالله بن جدعان.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مصدر سابق، ص٢٩٣

اشتهر الفرس بحبهم للحم الطيور بأنواعها، إلى جانب الحلوى بأنواعها، كما أحب الروم المحاشي،[1] وغزت الطيور موائد العرب في عهد معاوية حبًا في التنعم، فكان لا يكتفي بذلك لنفسه، ولكنه يقدمها لضيوفه أيضًا،[2] وسار على نهجه بقية الخلفاء والولاة.

عرف المجتمع الأموي أدوات الطعام، فعرفوا الصحف والقداح ولكنها كانت مفضضة.[3] كما اقتبسوا السكاكين وطريقة استعمالها في تقشير الفاكهة،[4] وكذلك الملاعق والفوط، واستعلموا الكراسي للجلوس أمام المائدة المغطاة بمفرش من القماش، لتوضع عليها الصحاف الكبيرة من الطعام.[5]

ولم يكتف الأمويون بهذه الاقتباسات فقط، بل استعانوا بالطباخين المهرة في الولائم والحفلات كما فعل الحجاج عندما ختن أحد أولاده، فقد استشار بعض الدهاقين لذلك،[6] وقد تعلم العرب صناعة الطعام بإحتكاكهم بالموالي، فقد عرف يزيد بن المهلب، بإنفاقه لذلك، فقد كان يصنع ذلك لسليمان بن عبد الملك عندما ما استجار به في الرملة.[7]

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مصدر سابق، ص٢٠٤.

(٢) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، مصدر سابق، ص٢٣.

(٣) محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل، تجريد الأغاني، الجزء الأول، تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الابياري، كتاب التحرير، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢٩١.

(٤) مؤلف مجهول، مصدر سابق، الجزء الأول، ص١٣٨.

(٥) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، نهاية الأرب، الجزء الأول، المطبعة الرحمانية القاهرة الطبعة الثانية، ١٩٢٤م، ص٣٨٧.

(٦) ابن خلدون، مصدر سابق، ص١٧٣-١٧٤.

(٧) الطبري، مصدر سابق، الجزء السادس، ص٤٥٢.

تأثرًا العرب بملابس سكان البلاد المفتوحة تأثرًا كبيرًا، وتعلقوا بتلك الملابس الأنيقة،[١] ولما آلت الخلافة لمعاوية بن سفيان وكان من أولي الترف أهتمام، مما جعله يلبس أنفس الملابس، بل ينعم على زواره، وإذا تردد أحدهم أقسم عليه بذلك، كما فعل مع إبن عباس لأخذ برنس خز.[٢]

انتشرت ملابس جديدة في العصر الأموي ومنها الدرايع، جبابًا أردية وسراويل، وعمائم وقلانس، والأقبية، والثياب الكتانية والثياب الموشاة، والثياب الرقيقة الشفافة،[٣] وسار ولاة معاوية على نهجه، فكان أول من لبس الخفاف، والثياب الكتانية، واليه على البصرة زياد بن أبيه.[٤] كما شوهد آنذاك والي مصر عمرو بن العاص وعليه ثياب موشاة، كأن بها عقيان تأتلق.[٥]

وتأثر الأمويون تأثرًا واضحًا بطول الملابس، فبعد أن كانت في العهد الراشدي قصيرة تصل لغاية الركبة، أصبحت في عهد الأمويين طويلة تمس الأرض، وغيَّر الناس النعال إلى الخفاف، ولبسوا الملاءة ونبذوا العباءة.[٦]

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص٨٧.

(٢) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص٤٥.

(٣) شحادة علي الناطور، مرجع سابق، ص١٠٨.

(٤) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعارف، صححه وعلق عليه، محمد إسماعيل العبادي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م، ص٢٤١.

(٥) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغردي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول، المؤسسة المصرية العامة القاهرة، ١٩٦٤م، ص٧٣.

(٦) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء السابع، ص٢١٦.

كذلك ظهرت في المجتمع الأموي ظاهرة تنوع الملابس باختلاف المهن والمكانة الاجتماعية والمناسبة، فقد كان لكل فئة من فئات المجتمع زي خاص بها، فللقضاة زي ولأصحابهم زى آخر مختلف، وثالث للشرطة، وزي رابع للكتَّاب، وخامس للجند، وهكذا بحيث يختلف كلٌ عن الآخر في زيه.(١)

اقتبس الأمويون الطرز من الأكاسرة، ولكنهم حسنوه وطوروه وأدخلوا عليه تعديلًا يناسب المسلمين، فقاموا بنقش أسمائهم على أثوابهم بخيوط من القصب الذهبية والفضية،(٢) وكان إنتاج الطرز في دور خاصة قاصرًا على استعمال الخلفاء وكبار رجال الدولة،(٣) كما وجدت طرز للعامة تقوم بعمل المنسوجات لأفراد الشعب تحت رقابة الدولة.(٤)

كانت مساكن الأهالي في العصر الأموي غالبيتها بسيطة، أكواخ من القصب وسيقان النخيل، أما الخلفاء فكانت مساكنهم في غاية الروعة والجمال متأثرةً بالفن المعماري الفارسي من حيث اتساع العمران والتفنن في البناء.(٥)

وقد تشبه خلفاء بني أمية بالملوك وأبهتهم، فكان قصر الخليفة في دمشق غايةً في الأبهة، وقد ازدانت جدرانه بالفسيفساء وأعمدته بالرخام والذهب، وسقوفه زينت بالذهب المرصَّع بالجواهر، ولطَّفت جوَّه النافوراتُ والمياه الخارجية، والحدائق الغنَّاء بأشجارها

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص١٠٦.

(٢) علي الحسني الخربوطلي، مرجع سابق، ص٣١١.

(٣) مصطفي محمد حسين، دراسات في تطور فن النسيج والطباعة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٤٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٤٨.

(٥) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٤٨.

الظليلة الوارفة. وكان الخليفة يجلس في البهو الكبير، وعلى يمينه البيت المالك، وعلى يساره كبار رجال الدولة ورجالات البلاد، ويقف أمامه من يريد التشرف بمقابلته من رسل الملوك وأعيان البلاد ورؤساء النقابات والشعراء والفقهاء وغيرهم.(١)

وأيضًا ظهر تأثير الفرس في مجالس الخلفاء والولاة في العهد الأموي بما أدخلوه من نظام الحماية، بتعيين حاجب ينظِّم الدخول على الخليفة، وفق قوانين محددة، وترتيب للخاصة والعامة، وسياسة الرعية وهذا كله لم يكن معروفًا من قبل، بل اقتبس من الفرس.(٢) ويظهر تأثير آخر للفرس في المجالس، باقتباس الكراسي واستعمالها في المجالس، وكان أول من استخدمها زياد بن أبيه عندما كان عاملًا على الفرس قلَّد بها مرازبة الفرس،(٣) ثم انتقلت إلى الشام، فكان معاوية يجلس زواره على الكراسي، بينما هو على السرير،(٤) كما كان يضع معاوية الكرسي في المسجد بعد أن يسنده إلى المقصورة، ويقضي للناس حوائجهم.(٥) وقد شاع انتشار الكراسي والأسِرَّة بين الخلفاء والولاة، فقد حاكم الحجاج يزيد بن المهلب وهو جالس على السرير.(٦) وكما عرف الكرسي على مستوى عامة الناس فقد استعملوه في أغراضهم المختلفة كالزيانين وغيرهم.(٧)

---

(١) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٣٨.

(٢) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، مصدر سابق، ص٢١.

(٣) جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص١٥٨.

(٤) المسعودي، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٣٩.

(٥) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص٥٩.

(٦) الطبري، مصدر سابق، الجزء السادس، ص٣٧٩.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٢.

وعرفت المجالس الندماء، فقد يكون ناصحًا أو مسليًا يلبي رغبة الخليفة،[١] ومما نقله العرب عن مجالس الفرس، طريقة صرف الندماء والجلاَّس، وقد اتخذ كل خليفة أسلوبًا معينًا أو إشارةً، فإذا ما قام بها انصرف الحاضرون.[٢]

اقتبس العرب عن الفرس الستارة لتحجبهم عن الندماء،[٣] وقد استعملها الفرس (منذ عهد أنوشير حتى يزدجرد) ثم نقلها الأمويون.[٤]

كان معظم خلفاء بني أمية تعجبهم الستارة (كمعاوية ومروان، وأيضا عبد الملك والوليد وسليمان ومروان الثاني).[٥]

اشتهرت المرأة العربية بالعفة، فكان العرب يتفاخرون بذلك، ولكن بتأثير الفرس (الإماء والجواري) على المجتمع، أصابتهن نكسة في هذا العهد، مما دعا خالد القسرى أمير مكة في خلافة سليمان بن عبد الملك أن يقوم بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف لسماعه شعرًا عن مزاحمة النساء للرجال عند الحجر الأسود داخل الكعبة.[٦]

كما نقل العرب عن الفرس الحجاب، وهو المبالغة في غطاء الجسم بحيث لا يظهر أي جزء من جسم المرأة لغير زوجها، بما في ذلك الأب والأخ والحمو والسلف،[٧] علمًا بأن

---

(١) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، مصدر سابق، ص٣٠.

(٢) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٥.

(٣) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، مصدر سابق، ص٣٤.

(٤) أحمد أمين، مرجع سابق، ص١٥٢.

(٥) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، مصدر سابق، ص٣٨.

(٦) المسعودي، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص١٨٤.

(٧) نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الادني والقديم، الجزء السادس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م، ص٤١٠.

الإسلام دعا إلى ستر العورة عن الغرباء، وقد قام الفرس بنشره نتيجة الفتح لوقوع الكثير من بنات الأحرار في فارس وغيرها بين أيدي الفاتحين.(١)

وتأثرت المرأة أيضًا بالفرس بحب اقتناء أنواع جديدة من الحلي والزينة، فقد نما ذوقها، فاستمالها كل ما هو جميل، وقد بلغ شغفها أنها تتخذ حليًا خاصًا لكل موضع من جسمها.(٢)

وقد عرفت المرأة في العصر الأموي تنظيم شَعرها على شكل ضفائر متنوعة، فمنها على شكل نظم الودع المنضود، إلا أنها بدأت تتفنن في إيجاد تسريحات جديدة (كالعقاص والكعكبية، والعثاكيل والطرة)* والأخيرة هذه عرفت بها سكينة بنت الحسين حتى أنها نسبت إليها.(٣)

عرف هذا العصر الأقراط بأنواعها، فما يعلق بالأذن عرف منه (الشنوق والقرط) ولم يكن الشنوق مقتصرًا على النساء فقط بل تعداه إلى الرجال الأحرار، وإن كانت المصورات الساسانية تكثر من الأقراط، كما نجد في غالبية تماثيل الملوك الساسانيين الممثلة على المسكوكات.(٤)

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص٣٦٨.

(٢) علي إبراهيم حسن، نساء لهن نصيب من التاريخ، مكتبة النهضة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م، ص١٢٥.

*العقص شكل رمانة، الكعكبية: هي أربع ضفائر، العثاكيل: تسريحة على شكل قطف البلح، الطرة: هي تسريحة على شكل التوت.

(٣) علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص١٢٩.

(٤) شحادة علي الناطور، مرجع سابق، ص٨٠.

ولذلك نجد تأثيرهم واضحًا في هذا المضمار في التماثيل النسائية المكتشفة في قرية المفجر التي تشبه أقراط المصورات الساسانية، مع المبالغة في حجوم الأقراط مع وجود التشابه في حبات الأقراط المخروطية المستعملة على نمط الساسانيين.

ونجد تأثير آخر للفرس هو القلائد (وهي كل ما يجعل على العنق)، فالمعروف أن ملوك الساسانيين كانوا يتحلون بها وبأكثر من واحدة، فانتشرت القلائد المتنوعة، ومنها المخنقة التي تلتصق بالرقبة، وقد تكون من الأحجار الكريمة أو الخرز، كما هو في رسم لسيدة ضمن لوحة قصر عمرة، أو على شكل ورقة نباتية تشد بشريط على الرقبة كما هو واضح لسيدة أخرى في نفس القصر.

وإذا كان أصحاب الغنى يتحلُّون بالقلائد المكونة من الجواهر والذهب واللؤلؤ، فبساط الناس صنعوا عقودًا تتناسب مع قدراتهم، فبثينة (صاحبة جميل) اتخذت قلادة بلح واسطتها تفاحة.

وإلى جانب القلائد عرفت الأطواق، والتي كانت تتخذ من الذهب المزين بالجوهر، وقد أهدى معاوية بن أبي سفيان عائشة (أم المؤمنين) طوقًا من الذهب باعته بمائة ألف دينار وقسَّمته على أزواج النبي، وهناك في قصر عمرة وغيره من القصور الأموية مخلفات فنية لصور نسائية يتحلين بأطواق بسيطة في مظهرها.

وهكذا عرف العرب البسطاء الحلي من الذهب واللؤلؤ والياقوت والمرجان والعقيق، نتيجة تأثرهم بالفرس، فاستخدمت هذه الأحجار الكريمة في الحلي الإسلامية، وتهاداها الولاة والخلفاء، فقد أهدى يوسف بن عمر الخليفة هشام بن عبد الملك ياقوتة وحبة لؤلؤة.(١)

وفي خضم هذا الامتزاج والتفاعل في المجتمع الأموي، كان لا بد وأن تتسرب بعض العادات السيئة، فكان منها البغاء نتيجةً لكثرة الإماء والجواري وعلى الرغم من تحريم الإسلام له، ووضع القوانين الرادعة له، إلا أن الرادع الحقيقي في هذا كان الإيمان الصادق، والذي أصيب بنكسة في ضمائر عددٍ من الناس. وتوفرت بعض الأماكن لبيع الخمر والفاحشة في سجستان، وحتى البصرة عرفت الرذيلة والفسق، فالترف والبذخ وكثرة الجواري، وما أُدخل من عادات جديدة وأزياء مبتكرة ومغريات كثيرة، كل هذه أدت إلى صبغ المجتمع بمظاهر لم تكن مألوفة في الماضي القريب.(٢)

ومن أعياد الفرس النيروز والمهرجان، وكان النيروز أعظم أعيادهم وأجلَّها، ويتميز على عيد المهرجان بأنه استقبال السنة، افتتاح جباية الخراج، وزمن تولية العمال واستبدالهم. أما المهرجان فهو الأيام الستة الأوائل من أول شهرهم يوافق أول الخريف،(٣) وكانت تحمل إلى معاوية ومن بعده هدايا النيروز والمهرجان، كما كانت تقدم إلى الأكاسرة، لكن هذه العادة أبطلها عمر بن عبد العزيز.(٤)

---

(١) شحادة علي الناطور، مرجع سابق، ص٨١-٨٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٧.

(٣) أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، ص١١٢.

(٤) المرجع نفسه، ص١١٣.

حرص الخلفاء الأمويون على بناء الحمامات الجيدة التي تليق بهم، واعتبروها عنصرًا أساسيًا في مخططات بناء قصورهم، ولم تكن الحمامات مقصورة على الخلفاء فقط، فقد وجدت أخرى لعامة الشعب، وبنى عمرو بن العاص أول حمام في الفسطاط، ولما رآه الروم استحقروه لصغره وقالوا لا يصلح إلا لفأر، فسمي حمام الفأر.[١]

وهذه الحمامات أصابها التطور والتحسين بحيث أصبحت واسعة، وفرشت بالفصوص، وأُدخلت فيها الأنابيب، بينما كان سقفها من الزجاج المتعدد الألوان،[٢] وهذا كله بفضل التأثر بما شاهدوه من حمامات الفرس والروم.

تطورت الحياة الاجتماعية في العصر الأموي، باتساع العيش والتفنن في أحواله، فبلغوا الغاية في ذلك، وتطوروا بطور الحضارة وتأثير المجتمعات الفارسية والرومانية وأدى ذلك إلى حياة اللهو والترف،[٣] حيث انغمس ملوك الأمويين باللهو والترف، وتهالكوا على اللذة والمجون، وأنفقوا من خزينة الدولة على شهواتهم وملذاتهم، كما أن ذوي الثراء شايعوا الأمويين في الإفتتان بأنواع اللذة والمجون، وأنهم لم يتركوا لونًا من ألوان الترف إلا استعملوه، وقد شذوا بذلك عما كان سائدًا في حياة المسلمين أيام عصر الرسول

---

(١) ياقوت الحموي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٤٣٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص٣٨٤.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية)، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، ص٤١٩.

صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأربعة، فقد كانت الحياة العامة يسودها التقشف والزهد في مباهج الحياة.[١]

ولقد أُغرم العرب في العصر الأموي بفن الغناء والموسيقى بعد أن أثروا بسبب تدفق الأموال عليهم بعد الفتوحات، ولما كان الفراغ والجاه من مقومات حياة الترف فقد انصرفوا إلى سماع الغناء واقتناء الجواري، وكان فن الغناء والموسيقى قد ارتقى في هذا العصر عن طريق الأسرى الذين حملوا معهم في جملة ما حملوا موسيقاهم وفنونهم الغنائية، فكثر عدد الموالي المشتغلين بهذا الفن، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم، صاروا إلى نضاره العيش ورقة الحاشية واستعلاء الفراغ، وافترق المغنون من الفرس والروم، فوقعوا إلى الحجاز، وصاروا موالي العرب وغنوا جميعًا بالعيدان والطنابير والمعازف والزمامير، وسمع العرب تلحينهم للأصوات، ولحنوا عليها أشعارهم، وظهر بالمدينة تنشيط الفارسي وطويس، فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه، وطار لهم ذكر، ثم أخذ عنهم معبد وطبقة وابن سريج وأنظاره".[٢]

شجعت الحكومة الأموية الغناء ووهبت الأموال للمغنين وقيل أنه قد وفد على يزيد بن عبد الملك معبد ومالك بن أبي السمع، فأمر لكل واحد منهم بألف دينار.[٣]

---

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الجزء الثاني، دار البلاغة الطبعة الأولي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٥١.

(٢) ابن خلدون، مصدر سابق، ص٧٦٥.

(٣) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص١٠٩.

ومن مظاهر الترف في العصر الأموي المغالاة في المهور، فقد تزوجت السيدة عائشة بنت طلحة بعد وفاة زوجها عبد الله بن عبد الرحمن، بمصعب بن الزبير فأمهرها بألف ألف درهم.[١]

---

(١) الأصفهاني، مصدر سابق، الجزء العاشر، ص٦٠.

الفصل الثالث

المراكز والمؤسسات الثقافية في العصر الأموي

المبحث الأول: المراكز والمؤسسات التعليمية في العصر الأموي
المبحث الثاني: طرق التدريس في المراكز والمؤسسات التعليمية
المبحث الثالث: تمويل المراكز والمؤسسات التعليمية

المبحث الأول

المراكز والمؤسسات التعليمية في العصر الأموي

التعليم:

كان التعليم في العصر الأموي امتدادًا لما كانت عليه الحالة في صدر الإسلام. واستجابةً للمستجدات التي ظهرت في ذلك العصر، على الصعيد السياسي والإداري، والاجتماعي، ظهرت الحاجة إلى وجود مراكز جديدة لطلب العلم، ونظم حديثة للتعليم، فبدأ ما يمكن أن نسميه الإشراف الرسمي من قِبَل الدولة على التعليم، ومن أهم أنواع مراكز العلم والتعلم في العصر الأموي، ما يلي:

أولًا الكتاب (الكتاتيب):

تعد الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودًا في العالم الإسلامي، وهو مكان مخصص لتعليم صغار الصبية القرآن والكتابة والحساب، وكان مكان الكتاب يقع خارج المسجد لا في داخله، وذلك خوفًا من عبث الصبية بحرمة المسجد، لأن رواده كانوا من الصبية الصغار الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والسادسة عند الالتحاق به.(١)

نظرا لبساطة الكتاب، وسهولة تأسيسه، فقد انتشر في جميع أنحاء الدولة الإسلامية. فقد وجد الكتاب في مكة والمدينة والطائف ودمشق، وغيرها.(٢) وهنالك رواية تفيد بأن الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١–١٠٥هـ/٧١٩– ٧٢٣م) قد غضب على أحد الأشخاص، (فأمر

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، تاريخ الدولة الأموية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٨.

به أن يختلف به إلى الكتاب مع الصبيان في المدينة ليتعلم القرآن، لأنه من الجاهلين).[١]

وقد وجد الكتاب في الطائف، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي في أول أمره "مكتبا" (أي معلمًا للصبيان في الكتاب) هنالك.[٢]

أما طريقة التدريس في الكتاب فتتم عن طريق التلقين، أي يقول المعلم ثم يردد الطلاب وراءه ما يقوله بصوت عال، ثم تطور الأمر إلى الكتابة على ألواح صغيرة يحضرها الطلبة معهم.

ومما يزيد في التأكيد على أهمية الكتابة واستخدامها كوسيلة من وسائل التعلم تلك الرواية التي تفيد أن الخليفة الوليد بن عبد الملك تفقد أحد الكتاب فوجد المعلم يعلم الصبيان الكتابة والقرآن.[٣]

ولعل هذه الرواية تفيد أيضا في معرفة مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بأمور التعليم في عصرهم، وتفقدهم لشؤونه.

ثانيًا المساجد:

تأتي أهمية المساجد في أنها كانت معهدًا علميًا ومكانًا حربيًا، وقاعة اجتماعية ومنطلقًا فكريًا، وسياسيًا وجهاديًا، فلم يكن المسجد مكانًا للعبادة فحسب، بل كمحكمة للتقاضي ومكانًا للدراسة.

---

(١) ابن حزم، مصدر سابق، ص٧٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبين، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٥٢.

(٣) المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص٢٠٣.

وتعتبر المساجد بمثابة المعاهد التي يتلقى فيها الناس العلم في مختلف فنون المعرفة، وهو خاص بمرحلة ما فوق الكتاب، أي بالطلبة المدركين لأهمية المسجد من سن عشر سنوات فما فوق، وهو أمر متعارف عليه في جميع البيئات التعليمية الإسلامية سواء في المشرق أم في المغرب.

ويرتاد مجالس المساجد العلمية الراغبون في العلم، والعلماء المسلمون من جميع أنحاء الدولة الإسلامية، وكان للمتعلم الحرية في أن يذهب إلى أي حلقة في المسجد، أو إلى أي شيخ يأنس له ولعلمه.[١]

كان التعليم في المساجد يتم على نظام الحلقات، فقد كان كل شيخ يستند إلى عمود من أعمدة المسجد، ويتحلق حوله طلبة العلم على شكل دائرة (حلقة).

وكانت مواضيع الدراسة في المسجد تنصَب أساسًا على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولقد اتَّبَع قراء القرآن الكريم أسلوب العرض في حلقاتهم، أي يقوم المتعلم بقراءة القرآن على المقريء، وبعد أن يتقن القراءة يبدأ في عرض ما يحفظه من القرآن على المقريء، ويمكن أن يصل عدد المرات التي يعرض فيها المتعلم قراءته على مقرئه من ٣-٣٠ مرة في بعض الحالات[٢].

أما حلقات التعليم المتعلقة بالحديث والفقه، فكان الأسلوب المتبع فيها هو السماع، أي أن يسمع المتعلم الأحاديث النبوية من المحدث فيحفظها، كما يبدو من سؤال أبي

---

(١) تغريد السويل، بدرية القحطاني، نورة التميمي، التعليم في العصر الأموي، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٤م، ص٦.

(٢) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٦٢.

حصين لسعيد بن جبير: أكل ما أسمعك تحدث به سألت عنه ابن عباس؟ فقال: لا، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم، فيتحدثون فأحفظ.[١]

وبمرور الوقت ازدادت المساجد انتشارا في الأمصار، وبدأ الفقهاء والعلماء يتنقلون من بلد إلى آخر، ولذلك أصبحت الرحلة في طلب العلم وسماع الشيوخ ضرورة ملحة وقد أولى بعض خلفاء بنى أمية هذا الجانب اهتماما خاصا، إذ أن الوليد بن عبد الملك كان يعطي إعانات للقراء المتفرغين لطلب العلم في بيت المقدس.[٢]

وأن عمر بن عبد العزيز كتب إلى والي حمص: (أنظر إلى القوم الذين نصَّبوا أنفسهم للفقة، وحبسوها في المسجد، عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار من بيت مال المسلمين يستعينون بها على ماهم عليه، وأن خير الخير أعجله.[٣]

أما مدة الدراسة في المسجد فكانت حسب طبيعة المواد التي تدرس في المسجد (علوم القرآن والحديث والفقة) وقد تستوجب من الطالب قضاء وقت طويل يلازم فيها أستاذه ويأخذ العلم عنه، فيروى أن محمد بن شهاب الزهري قد جالس سعيد بن المسيب ثماني سنين يتعلم منه الفقة في المدينة.[٤] وقد أدت هذه الملازمة الطويلة إلى أن يتأثر الطالب بشيخه وأن يهتم أحدهما بالآخر ويحترمه.

---

(١) ابن سعد، مصدر سابق، الجزء السادس، ص٢٥٧.

(٢) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الثلاثة وستين، ص١٧٦.

(٣) ابن كثير، مصدر سابق، الجزء التاسع، ص٢٠٧.

(٤) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٦٧.

أنواع الحلقات في المساجد:

تنوعت الحلقات التي تعقد في المساجد على حسب العلم الذي تتناوله ومنها:

أ- مجالس أو حلقات الإقراء: اهتم المسلمون بالقرآن منذ نزوله لأنه مصدر التشريع، وقد كان المسجد هو المكان الملائم لتعليمه وقراءته، فقد كان عامة الناس الذين يرغبون في تعليم أولادهم القرآن يبعثون بهم إلى المسجد وقد روي أن أبا الدرداء هو الذي سن هذه الحلقة، فقد كان يسمَّى معلم الشام أو قارئ الشام،(١) وسار على طريقه كثير من علماء الشام.

ب- مجالس الإفتاء: كان بعض علماء المسلمين في ذلك العصر لا يحبذون أن يبادروا إذا لم يسألهم أحد، وكانوا يكتفون بالإجابة على أسئلة من يسألهم من الناس، فأصبحت هنالك مجالس للإفتاء، وأشهر هذه الحلقات حلقة مكحول في مسجد دمشق، وقد أوصى بحلقته للعلاء بن الحارث.(٢)

ج- مجالس الحديث: اهتم علماء ذلك العصر بالحديث النبوي الشريف اهتماما كبيرا، وتمثل ذلك بجمعه ومعرفة رواته، وصحة أسانيده، وشرحه وإمعانا منهم بأهمية كونه المصدر الثاني من مصادر التشريع فلقد جُمع الحديث النبوي الشريف في عهد الخليفة

---

(١) ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٠م، ص ٢٦٨.

(٢) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الخمسون، ص١٤٤.

العادل عمر بن عبد العزيز بمعرفة عدد من علماء ذلك العصر، وعلى رأسهم الزهرى الذي كانت له حلقة للحديث في مسجد دمشق، فلم يكن أحدٌ أعلم بالسنَّة منه.[١]

وكانت هنالك أنواع لهذه المجالس، منها ما يكون للتحدث فقط، بأن يروي المحدث على الملأ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويشرحها،[٢] وأمثله هذه المجالس مجلس الأوزاعي في مسجد بيروت.[٣]

ومنها مجالس للإملاء، وفيها يملي الشيخ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويكتب الطلبة ما يمليه، وبعد الانتهاء يعقِّب بالشرح والتفسير والتوضيح لما غمض في الحديث، والطلاب يدونون هذه الشروح على هامش أوراقهم التي كتبوا فيها الأصول.[٤]

د- مجالس اللغة: وهي تشتمل على مجالس للنحو والشعر وكذلك الأدب.[٥]

هـ - مجالس القصص والوعظ: وفيها يقوم القاص بوعظ الناس وتذكيرهم بالآخرة عن طريق القصص، وقد شهدت مساجد الشام في العصر الأموي إقبالًا كبيرًا على هذه المجالس.[٦]

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق حسان عبد المنان، الجزء الخامس، بيت الأفكار الدولة، ص٣٣٦.

(٢) مكي أقلانية، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الأولى، مطبعة طوب بريس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص٢١.

(٣) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء السبع والثلاثين، ص١٠٤.

(٤) سعيد اسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٢٥.

(٥) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الاثنين والثلاثين، ص٢٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٣١١.

لقد اتُّخِذ المسجد مكانًا للدراسة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر الدولة الأموية فقد كان الفقهاء يحدثون ويفسرون آيات الكتاب المبين، ويروون الأحاديث ويشرحون النصوص للمسلمين، وبجانب حلقات الدين كانت هنالك حلقات اللغة لمن يريد أن يجيد إتقان اللغة العربية.[١]

أشهر المساجد:

أ- **الجامع الأموي:** يعد الجامع الأموي بدمشق من عجائب الدنيا، فقد بناه الوليد بن عبد الملك، ويقال أن الوليد بن عبد الملك أنفق على بنائه خراج المملكة سبع سنوات، وكانت فيه حلقات لتدريس الطلبة.[٢]

أصبح المسجد الأموي في دمشق في العصر الأموي أهم مكان لتعليم المسلمين حيث يلتف الناس حول مختلف العلماء في حلقات منظمة ليستمعوا لقراءة القرآن الكريم وشرح وتفسير آياته، أو ليرددوا آيات القرآن، كما كانوا يحفظون منهم الأحاديث النبوية الشريفة، ويدرسون الفقه ويسألون العلماء عن كل غامض في أمور دينهم،[٣] فلقد شهدت أروقتهم الكثير من مجالس العلم في جميع الفنون والعلوم وسطعت شمس كثير من علماء ذلك العصر من خلال حلقات العلم التي كانت تعقد فيه.

---

(١) محمد الحسيني عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م، ص٣٢.

(٢) محمد موسى أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥، ص٢١٨.

(٣) محمد الحسيني عبد العزيز، مرجع سابق، ص١٢٩.

ولا ريب أن المسجد الأموي بدمشق وحلقات الدراسة فيه من كبار العلماء الذين وفدوا إلى دمشق لتعليم أهل الشام أمور دينهم كانت عاملا هاما ودافعا للنهضة العلمية وللتقدم والإزدهار.[١]

ب- **المسجد الأقصى (بيت المقدس):** اهتم خلفاء بنى أمية ببيت المقدس اهتمامًا بالغًا، ويظهر ذلك من خلال ما فعله عبد الملك بن مروان من بنائه لمسجد وقبة الصخرة، فلما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه الأموال والعمال، ووكَّل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام، وكانا من مواليه، وجمع الصنَّاع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس، وأرسل إليه بالأموال الكثيرة الجزيلة.[٢]

للمسجد الأقصى مكانة في نفوس المسلمين فهو أولى القبلتين وثالث المساجد في الإسلام، فقد كان موئلا للعلم وطلبته، فتسارع إليه العلماء من جميع أرجاء العالم ينشرون العلم من خلاله، وأشهر من تولى التعليم في بيت المقدس عبد الرحمن بن غنم وأم الدرداء، فقد كانت أم الدرداء تجلس مع نساء المساكين تعلمهم في بيت المقدس، فقد كان المسجد الأقصى منارًا للعلم والعلماء.[٣]

ج- **المسجد الحرام في مكة:** مكانته عظيمة في نفوس المسلمين، ومن أهم الحلقات فيه مجلس عبد الله بن عباس(٦٨هـ/٦٨٧م)، إذ كان يخصص لكل فرع من فروع العلم يومًا

---

(١) محمد الحسيني عبد العزيز، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢) ابن كثير، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص٢٢٤.

(٣) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء السبعة والثلاثين، ص١١٩.

دراسيًا كاملًا، فقد كان يجلس يومًا لا يذاكر فيه إلا الفقه، ويومًا للتأويل، ويومًا للمغازي، ويوما للشعر، ويومًا لأيام العرب...الخ .

د- **المسجد النبوي في المدينة:** المدنية المنورة كانت قبلة لطلاب العلم من مختلف الجهات فقد كان بها طائفة كبيرة من العلماء والفقهاء، شهدت أروقته حلقات فقهية لمشاهير العلماء من أمثال جابر بن عبد الله الخزرجي الأنصاري (٧٨هـ/٦٩٧م) وسعيد بن المسيب المخزومي (٩٤هـ/٧١٣م).[١]

خ- **مسجد قرطبة في قرطبة:** تأسس المسجد في سنة (٩٢هـ/٧١١م)، عندما اتخذ بنو أمية قرطبة حاضرةً لملكهم، وكان مسجد قرطبة أشبه ما يكون بجامعة عصرية تقدم العلوم الدينية، مثل الفقه والتفسير والحديث وعلوم القرآن، وأيضا العلوم الطبيعية مثل الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والجغرافيا، واللغة والمنطق والأدب، ووصل عدد طلاب العلم في جامع قرطبة إلى ٤٠٠٠ طالب، ويتم توفير الخدمات المختلفة مثل الإقامة والطعام، وتصرف لهم ولشيوخهم الرواتب.[٢]

بالإضافة إلى هذا فهنالك بعض المساجد الأخرى بأنحاء متفرقة مثل بيروت والذي كانت فيه حلقة للحديث والفقة للإمام الاوزاعي، ومسجد حمص والذي كان فيه مجلس لنوف بن فضالة يقص فيه على الناس.[٣]

---

(١) تغريد السويل، بدريه القحطاني، نورة التميمي، مرجع سابق، ص٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٩.

(٣) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الأثنان والستين، ص٣١١.

ثالثًا قصور الخلفاء والولاة:

كان التعليم في قصور الخلفاء والولاة يتم في صورتين، أولاهما التعليم الخاص بأبناء الخلفاء والولاة، وثانيهما مجالس الخلفاء. وسنتحدث عن كل نوع منهما بشيء من التفصيل.

أ. التعليم الخاص بأبناء الخلفاء والولاة: اهتم بنو أمية اهتمًاما كبيرًا بتعليم أبنائهم وتأديبهم، وكانوا يحرصون على أن يشاركهم في هذه المهمة مشاهير الفقهاء والعلماء والأدباء المسلمين، وذلك من أجل أن يعِدُّوا هؤلاء الأبناء إعدادًا جيدًا يتناسب مع ما ينتظرهم من مهمات مستقبلية. وكان يطلق على من يقوم بهذه المهمة لقب المؤدِّب، وكان المؤدب يقيم في ركن خاص به من قصر الخليفة (أو الوالي)، ويجرى عليه من الأرزاق والأعطيات ما يكفل له حياة طيبة. وبناء على ذلك ظهرت طبقة جديدة تسمى بطبقة المؤدِّبين.(١)

بلغ من شدة حرص بعض خلفاء بنى أمية على تعليم أبنائهم أنهم كانوا يشاركون بأنفسهم في وضع مخطط إرشادي يسير المؤدبون بموجبه أثناء تثقيفهم لهؤلاء الأبناء.(٢)

ب. مجالس الخلفاء: كان الخلفاء يعدون أنفسهم حماةً للعلم، ويرون أن قصورهم مراكز تشع منها الثقافة والفنون، فاتخذوا من قصورهم مجالس للأدب والعلم وعقدوا بها الندوات والمناقشات والمناظرات.

---

(١) عمر بن سليمان العقبلي، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٢) المرجع نفسه السابق، ص١٧١.

كانت قصور الخلفاء تحوي العديد من مجالس العلم في شتى العلوم والفنون وتحدد أغراضها وأهدافها من خليفة لآخر، ولقد حظيت الشام بالحظ الأوفر من هذه المجالس وذلك لأنها عاصمة الخلافة ومقر الرئاسة، فشهدت قصورها الكثير من العلماء والشعراء والأطباء الحكماء من الشام نفسها، ومن خارجها، وهذه نماذج لبعض هذه المجالس.

- **مجالس تختص بالحديث والفقه:** اهتم خلفاء بنى أمية بالحديث وأولوه اهتمامًا عظيمًا، فعنوا بدراسة الحديث وقرَّبوا المحدثين واستمعوا إليهم، وكانوا يذاكرونهم، وهذا ما دفع الصحابي أنس بن مالك إلى الوليد بن عبد الملك في حاشية تضم أربعين شخصا، فاستقبله الوليد في الجابية حيث كان الخلفاء الأمويون يعقدون اجتماعات ومؤتمرات، واستمع الحضور إلى الصحابي الجليل يحدث الخليفة بأحاديث سمعها من رسول صلى الله عليه وسلم[(١)].

  وأيضا ما فعله الخليفة عمر بن عبد العزيز، وخصوصا أنه تم في عهده جمع الأحاديث وتدوينها، فقام باستدعاء العلماء والمحدثين إلى قصره وليسمع منهم مشافهة[(٢)]. وكان بعد أن يستمع للأحاديث ويتثبَّت منها يأمر بتدوينها. وكانت هنالك مجالس تحوي مناقشات حول مواضيع فقهية يشارك فيها الخليفة نفسه أو يستشير بشأنها فقهاء آخرين من أرجاء العالم الإسلامي، وقد شهدت هذه

---

(١) ملكة أبيض، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٢) ابن عساكر، مصدرسابق، الجزء الستين، ص٢٦٥.

القصور كثيرًا من المناظرات والحوارات مع الفرق والمذاهب الأخرى، وربما يشارك أحيانا الخليفة بنفسه في هذه المناظرات.

- **مجالس أدبية:** احتل الأدب والشعر مكانه عند الخلفاء من بني أمية، ولا سيما أن معظمهم كانوا شعراء وفصحاء أمثال عبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك، وكانوا يحرصون أن يتعلم أبناؤهم الشعر ويروونه.

وقد حظيت قصورهم بالنصيب الوافر من هذه المجالس، فتوافد عليهم الشعراء من داخل الشام وخارجها. ومن الشعراء الذين ذاع صيتهم وحظُوا بمكانة خاصة عند الخلفاء جرير والفرزدق والأخطل.[١]

- **مجالس يستمع فيها الخلفاء إلى أخبار العرب وغيرهم من الملوك:** كان للخلفاء ميلٌ شديد إلى سماع الأخبار، فيعقدون المجالس يحضرها الأدباء من أهل النوادر، يحادثون الخليفة بما يلذ له سماعه من أخبار العرب، وكان الدهاة والأمراء مثل معاوية وهشام يقيمون أناسا يتلون عليهما أعمال القوم والملوك من الروم والفرس وأخبار الدول وحوادث الشجاعة والرأي.[٢]

أيضا قد كان معاوية يقيم مجالس سمر في قصره ويدعو إليها أعلام الفكر والأدب من جميع أرجاء العالم الإسلامي، ويستمع خلالها إلى أخبار العرب وأيامها، وأخبار العجم وملوكها وسياستها لرعيتها، وسير ملوك الأمم وحروبها

(١) تغريد السويل، بدرية القحطاني، نورة التميمي، مرجع سابق، ص١١.

(٢) سعيد إسماعيل علي، التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ، الطبعة الثانية، ص ٢٠٥.

ومكايدها، وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ثم ينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر وفيها سير الملوك وأخبارها، والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمانٌ له مرتبون، وقد وُكِّلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة طائفة من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات.(١)

وكان الهدف من إقامة هذه المجالس هو الاستفادة من تجارب الغير، ومعرفة سياستهم، فكانوا يلتمسون بذلك التوسع في أسباب الدهاء وأفانين السياسة، كما يفعل رجال اليوم بالإطلاع على تراجم العظماء.(٢) وأخذ العظة والعبرة من تلك القصص.

رابعًا منازل العلماء:

اتخذ رسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانا يعلم فيه المسلمين تعاليم ومبادئ الدين الجديد، ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الكريم، كما كان المنزل ملتقى للذين يختارون الإسلام دينًا، فيأتون إليه ناشدين تعلم الإسلام. ثم أقيمت المساجد وأصبحت مكان اللقاء والاجتماع، على أن بيوتًا كثيرة في التاريخ الإسلامي لعبت دور المدارس.(٣)

كانت طريقة العلماء في التعليم هي الجلوس في المساجد في الغالب، أو في منازلهم أحيانًا، إذا لم تكن هنالك مباني مخصصه للمدارسة، وكان طلاب العلم يأتونهم

---

(١) المسعودى، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٤٠-٤١.

(٢) سعيد اسماعيل علي، مرجع سابق، ص٢٠٥.

(٣) سعد مرسى أحمد، سعيد إسماعيل علي، تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١١٤-١١٥.

فيسألونهم كل ما يحتاجونه ويهتمون به في الدين. فرغم أن المسلمين لم يعدوا المنازل مكانا صالحا للتعليم العام لافتقادها للسكون والراحة، غير أن وطأة الحاجة دعت إلى قيام حلقات تعليمية بالمنازل الخاصة.

ومن هذه المنازل منزل العالمة الجليلة أم الدرداء، فعن عون بن عبد الله قال: (كنا نجلس عند أم الدرداء فنذكر الله عندها، فقلنا: لعلنا قد أمللناك؟ قالت: تزعمون أنكم قد مللتموني؟ فقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئا أشفى لصدري ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر.[١]

وكذلك منزل العالم والفقيه الإمام الأوزاعي، فعن الوليد بن مسلم قال: (شيعنا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده، فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة، فقلنا له: أيها الشيخ يصعب عليك المشي على كبر السن، قال: أمشوا وأسكتوا، لو علمتُ أن لله طبقةً أو قوما يباهي الله بهم أفضل منكم لمشيتُ معهم وشيعتُهم، ولكنكم أفضل الناس.[٢]

خامسًا التعليم في البادية:

أهتم بنو أمية بنشر العلم خارج المراكز الحضرية فيروى أن الخليفة عمر بن عبد العزيز بعث يزيد بن أبي مالك والحارث بن يمجد الأشعري يفقِّهان الناس في البادية (بدو بنى

(١) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء السبعة والثلاثين، ص١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٢.

تميم) وأجرى عليهما رزقًا. فأما يزيد فقبل(الرزق)، وأما الحارث فأبى أن يقبل، فكتب عمر بن عبد العزيز إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأسًا أوأكثر الله فينا الحارث بن يمجد.[1]

سادسًا التعليم في أوساط الجند المرابطين في الثغور وأهالي البلاد المفتوحة:

شهد العصر الأموي بناء قوة بحرية وبرية إسلامية مهيبة، وامتدت فتوحاتهم من الصين شرقا إلى بلاد الأندلس غربا،ومن شواطيء البحر المتوسط شمالًا إلى بلاد السودان جنوبا، وحرص خلفاء بنى أمية على أن يصاحب الفقهاء والعلماء جندهم ليشدوا من أزرهم وليبينوا لهم فضيلة الجهاد ومميزات الشهادة والشهيد.[2]

ويقوم هؤلاء العلماء والفقهاء كذلك بتعليم أهالي البلاد المفتوحة القرآن الكريم والحديث والسنن واللغة العربية، ويبينون لهم الحلال والحرام وما ينفعهم في دينهم ودنياهم.[3]

سابعًا المكتبات:

اعتنى الخلفاء المسلمين منذ فجر العهد الأموي بالكتاب العربي ونشره بين الناس، وإنشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسجلات، كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعا لهم ولأولادهم، وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل اقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم. وكان علماء كثيرون منذ زمن قديم يوقفون كتبهم وأوراقهم ومخطوطاتهم على خزائن المساجد ودور العلم، يتقربون بذلك إلى الله، ويرجون نشر العلم ومعونة أصحابه.

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٢) المرجع نفسه ، ص١٧٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧٥.

أقام معاوية بن أبي سفيان مكتبة خاصة أو شبه خاصة في القصر، سميَّت (بيت الحكمة) يجمع فيها الكتب التي يأتيه بها أعوانه، والكتابات التي يسجلها له كُتَّابُه ويعتني بها غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها.

ولعل من أقدم الخزائن العربية التي عرفت بعض أخبارها هي خزانة خالد بن زيد بن معاوية، وقد ظلت خزانة خالد هذه محفوظة في البلاط الأموي، ولما ولي الخليفة عمر بن عبد العزيز فتحها للناس للإفادة والتعلم من نفائسها.[١]

واحتفظ خالد بن يزيد بمكتبة جده معاوية (بيت الحكمة) وأغناها بمجموعات الحديث وكتب والكيمياء والفلك والطب والفلسفة، وأنشأ حركةً لترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، وجمع حوله العلماء في كل مجال، وهذه الأعمال تجعل منه الرجل الذي أعطى لمؤسسة بيت الحكمة طابعها الخاص حتى غدت مركز الإشعاع الثقافي.

وكذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان محبا للعلم منقبا عن كتبه ودواوين الشعر[٢]، وأنه جمع خزانة كتب كبيرة في قصره على الرغم من قِصَر مدته، إذ لم يبق في الخلافة إلا سنةً وثلاثة أشهر. وقد ذكر أبو زرعة الدمشقي الوليد بن يزيد في من كان يحدث من بنى أمية وعندما قتل الوليد أُخرجت الكتب التي كانت تحوي أحاديث الزهري من خزائنه، وحُملت على الدواب لكثرتها.

---

(١) عبد الرحيم عبد الله محمد النقبي، التعليم في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١- ٧٤٩م)، رسالة علمية، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٠٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٤.

وممن يذكر عنه الإعتناء بجمع الكتب من خلفاء بنى أمية، الوليد بن عبد الملك، فقد روي أنه جمع خزانةً وجعل عليها خازنًا اسمه سعد، ومن مآثر الوليد بن عبد الملك أنه اعتنى بتكوين مكتبة ضمَّت مصاحفًا وأشعارًا وقصصًا كان صاحبها يجمعها ويعتني بها، ويعطيها للنُسَّاخ فيكتبونها بخط جيد.

كما ضمَّت كتبًا أجنبية كان قواد جيشه يعودون بها من الفتوح، كتلك التي عاد بها طارق بن زياد من الأندلس، والتي ضمت كتبا مثل الكيمياء والعلوم الطبيعية.(١)

ثامنًا البيمارستانات:

جاءت الرعاية الطبية للمرضى في العصر الإسلامي مصحوبة بإقامة مؤسسات للعلاج والمداواة، أُطلق عليها أسم (بيمارَ ستانات) بفتح الراء، وهي كلمة فارسية مكونه من كلمتين هما (بيمار) بمعنى مريض أو مصاب، (وستان) بمعنى دار، أي أنها (دار المرضى) وهي تناظر المستشفى في العصر الحاضر.

ولم تكن وظيفة البيمارستانات تقتصر على مداواة المرضى وعلاجهم، بل كانت في الوقت نفسه معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب، يتخرج فيها المطببون والجراحون والكحالون (أطباء العيون) والصيادلة وغيرهم.(٢)

أول من عمل البيمارستانات في الإسلام الوليد بن عبد الملك سنة(٨٨هـ /٧٠٦م) وكان من أجل مرضي الجزام حيث عزلهم عن الناس حتي لا تنتقل العدوي وجعل فيها الأطباء

(١) عبد الرحيم عبد الله محمد النقبي، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٢) أحمد فؤاد باشا، المؤسسات العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٧م، ص٥.

وأجرى فيها الجرايات، وكانت البيمارستانات تحوي خزائن الكتب ومعاهدًا لتدريس الطب والصيدلة.

وكان لكل بيمارستان حمام عام ومكتبة، وكانت البيمارستانات بمثابة مستشفيات تعليمية يتلقى فيها طلاب الطب علومهم، فبعد أن يتفقد الطبيب مرضاه ومعه طلابه، يأتي إلى إيوان خاص مزوَّد بكل الآلات والكتب، ثم يلقى عليهم دروسه أو يناقش معهم بعض الحالات التي وقفوا عليها. وكان بعض كبار الأطباء يجعل له مجلسا عاما لتدريس الأطباء الجدد.[١]

وهذا ما يقوم به أطباء اليوم في المستشفيات مع طلابهم مما يدل علي أهمية ما كان يقوم به العلماء المسلمين في ذلك العصر، أنهم رواد هذة العلوم.

---

(١) عبد الرحيم عبد الله محمد النقبي، مرجع سابق، ص١٠٦.

المبحث الثاني

طرق التدريس في المراكز والمؤسسات التعليمية

تعددت وتنوعت العلوم التي كان يتم تعليمها في مختلف المؤسسات التعليمية، وبناء على ذلك تعددت الطرق والأساليب المستخدمة لإيصال، المعلومات إلى الطلاب ومنها:

أولًا طريقة التلقين:

يعتبر التلقين من أقدم الطرق وأشهرها، فقد ساد أسلوب التلقين والحفظ في الممارسات التعليمية القديمة ومازال يمارس حتى الآن.(١)

التلقين هي الطريقة التي يكون فيها للمعلم الدور الأكبر في العملية التعليمية فهو الذي يقوم بإعداد الدرس وتحضيره، ثم يقوم بعرضه وشرحه وتوضيحه.

إذًا فالتلقين هو عبارة عن إلقاء المعلم للمعلومات، ومن ثم شرحها وتبسيطها وإعادتها حتى يستطيع الطالب استيعابها وفهمها، ومن ثم حفظها، مع المتابعة المستمرة بين المعلم والطالب، فالمهمة الكبرى تقع على عاتق المعلم.

وقد أطلق عليها المدربون مسميات متعددة، فسماها البعض طريقة الشرح، وسماها غيرهم طريقة التقرير، وسماها البعض الآخر طريقة التلقين، والبعض سماها التحفيظ والتسميع.(٢)

---

(١) محمد منير موسى، أصول التربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٧هـ، ص١٥٦.

(٢) محمد صالح بن علي جان، المرشد النفيس إلى أسلم طرق التدريس، دار الطرفين الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص٤٤.

لقد استخدم المعلمون وسائل عديدة لإنجاح هذه العملية التربوية التعلمية ومنها:

- **الإعادة والتكرار:** التلقين يعين بالدرجة الأولى على الحفظ والفهم، وكان من الضروري على المعلم إعادة ما يلقيه على طلابه حتى يستوعبوه جيدا ويفهموا معناه، ومن ثم يستطيعون حفظه، فلذلك كان علماء الحديث يوصون بتكرار الحديث، حتى أن الخطيب جعل من الآداب التي يجب أن يتحلَّى بها المحدِّث هي إعادة الحديث حال الرواية ليحفظ.(١)

- **التقليل من المادة المراد إعطاؤها للطالب:** كان المحدثون يقِلُّون من رواية الحديث، خصوصا في العهود الأولى حين كانت الرواية الشفوية غالبة، وقد كان الطلبة يأتون أبا قلابة الجرمي، فإذا حدَّثهم ثلاثة أحاديث قال: (قد أكثرت) فيتوقف. ويرجع السبب في إنتهاج العلماء لهذا المنهج في التلقين إلى عدة أسباب، منها أن كثرة المادة العلمية تجعل من الصعب على الطالب حفظها واستيعابها، وقال الزهري في ذلك: "من طلب العلم جملة، فاته جملة، وإنما يدرك حديث وحديثان".(٢)

- **عدم الإملال والإطالة والإثقال على الطلبة:** إن الشيخ لا يتابع حديثه إلا بعد أن يتأكد من بقاء الطلبة على نشاطهم للاستماع، أما عندما يحس منهم فتورا، فإنه يفهم أن لديهم أشغالا، أو أنهم بدأوا يفقدون القدرة على الاستيعاب والتركيز،

---

(١) أبوبكر أحمد بن علي البغدادي، الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، الجزء الأول، ص٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٢.

فيختصر الكلام لينهي المجلس،[1] فإن إطالة المجلس تشعر الطالب بالضجر والملل وتفقده النشاط والتركيز، فيفقد المقصد من العملية التربوية فقد روي عن الزهري قوله: "إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب".[2]

- **أن يكون المعلم حسن الصوت جهوريًا:** أي أن يرفع المعلم صوته بالقراءة ويجهر، حتى يستطيع الطالب سماع ما يريد المعلم إيصاله سماعًا صحيحًا، حتى يتقن حفظه، خصوصا إذا كان مجلس العلم يحتوي على عدد كبير من الطلبة. وقد اتَّبَع معلمو الكتاب هذه الطريقة في إلقاء دروسهم على الصبية، فالجهر يوقظ قلب القاريء ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط.[3]

ثانيًا طريقة الإملاء:

هي أن يملي الشيخ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إما من محفوظاته، أو من مذكرات قد كتبها ليقرأ منها، وأن يملى فقرةً فقرة وحديثًا حديثا، مع اتصال السند.[4] كان للإملاء طريقتان هما:

---

(١) الملكي أقلانية، مرجع سابق، ص٣١.

(٢) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الخمسة والخمسين، ص٣٦٥.

(٣) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابلسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٨٤.

(٤) سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص٢٢٤.

- أن يعقد العالم مجلسا خاصا للإملاء، وذلك لأن الطلاب لا يستطيعون استيعاب المعلومات بمجرد سماعها، لذلك يلجأون لتخصيص ساعات إضافية يتم فيها تملية ما سبق لهم أن سمعوه، وبذلك يتأكدون من سلامة الأخذ أو النقل.[١]
- أن يملي الشيخ مباشرةً مع الإلقاء الشفوي، فلم يكن العالم يخصص وقتا معينا للإملاء ولكن يلقي عليهم الأحاديث، وهم يكتبونها في حينها، ثم يعرضونها فيما بعد فيصححها لهم، فقد كان تلاميذ الأوزاعي يسجلون ما يسمعون منه من حديث وفقه، وكانوا يعرضون عليه ما كتبوه.[٢]

صورة التلقي بالإملاء: اتَّبَع المحدثون صورتين للإملاء هما: الأولى أن يملي درسه على الطلبة من ذاكرته وحفظه، ليس في يديه مذكرات أو كتب. أما الثانية أن يملي الشيخ من كتاب بين يديه.[٣]

ثالثًا طريقة القراءة والعرض:

القراءة هي أن يقرأ المعلم من كتاب، ويقوم الطلاب بالكتابة على نسخهم، أو أن يقرأ طالب من المجموعة بوجود المعلم، ويقوم الطلاب الآخرون بالكتابة، ويكون دور المعلم تصحيح الأخطاء، وإرشاد الطلاب إلى النطق السليم للكلمات.[٤]

---

(١) ملكة أبيض، مرجع سابق، ص٢٨٥.

(٢) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الثلاثة والستين، ص ٢٧١.

(٣) تغريد السويل، مرجع سابق، ص ١٤.

(٤) محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، دار المسرة للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص١٤٠.

العرض: هي مراجعة ما كتبه الطالب مقابلا بالنسخة التي كتب منها، وذلك بأن يمسك هو نسخته ويمسك ثقةٌ غيره الأصل، فيقرأ أحدهما، ويتابع الآخر، وذلك للتأكد من مطابقة النسخة الجديدة التي تسمى (الفرع) بالنسخة القديمة التي تسمى الأصل وإصلاح ما يوجد من مفارقات من خطأ أو زيادة.[١]

رابعًا القصة:

هي طريقة تعليمية تقوم على العرض الحسي المعبِّر، والذي يتَّبعه المعلم مع متعلميه لتعليمهم حقائق ومعلومات عن شخصية أو موقف أو ظاهرة أو حادثة معينة، بقالب لفظي أو تمثيلي، أو قد تستخدَم لتجسيد قيم أو مبادئ أو اتجاهات أو أخلاق مرغوبة.[٢]

ومن أهمية القصة ما يلي:

- يستطيع المعلم من خلالها توصيل المعلومة إلى الطالب بطريقة مشوِّقة، فالقصة نوع من الأدب له جمال وفيه متعة، ويشغف به الصغار والكبار إذا أُجيد إنشاؤه وأجيدت واسطته وأجيد تلقيه.[٣]
- من خلال القصة يستطيع المعلم توجيه الطالب التوجيه السليم، فتستخدم القصة لغرس بعض القيم الدينية والخلقية والسياسية والاجتماعية والعلمية لدورها وقدرتها على الإقناع عن طريق المشاركة الوجدانية.

(١) البغدادي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٧٥٤.

(٢) نهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريب الفاعل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ص٣٨٧.

(٣) سعيد إسماعيل، مرجع سابق، ص١٧٣.

- تعد القصة من الأساليب التعليمية غير المباشرة التي تعتمد على الإيحاء، فكل قصة تنتهي حتما بعِبرة، وهي بمثابة موعظة تستنتج استنتاجا.[١]

ولقد احتلت القصة مكانة عظيمة في الشام في العصر الأموي، أبدى خلفاء بنى أمية اهتمامًا كبيرًا بها وذلك لعدة أغراض منها: السياسية، الدينية، وأخذ العظة والعبرة.[٢]

خامسًا الترغيب والترهيب:

الترغيب هو تأميل المرء أو إغراؤه بمنفعةٍ عاجلة أو آجلة، لقاء طاعةٍ معينة.[٣]

الترهيب هو وعد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثمٍ أو ذنبٍ مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به.[٤]

تأتي أهمية هذه الطريقة فيما يلي:

- إنها تدعم العملية التربوية وتساعد على إنجاحها وإتمامها على أكمل وجه، فالإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بالنتائج الضارة أو النافعة التي تترتب على عمله وسلوكه.[٥] فهي طريقة ملازمة لطرق وأساليب التعليم الأخرى، وقد يلجأ إليها المعلم أحيانا عندما لا تنفع مع الطالب القدوة الحسنة أو الموعظة، فلا بد إذًا من علاج حاسم يضع الأمور في موضعها الصحيح.[٦]

---

(١) أمين أبو لاوي، أصول التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي الأمام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص١٣٥.

(٢) ملكة أبيض، مرجع سابق، ص٣٠٨.

(٣) أمين أبو لاوي، مرجع سابق، ص١٨٩.

(٤) عبد الرحمن النعلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية،١٩٧٣م، ص٢٨٧.

(٥) محمد منير مرسى، أصول التربية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٥٠.

(٦) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول، دار الشرق بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٣هـ، ص١٨٩.

- إنها من الأساليب التي لا يستغنى عنها المربي في أي مكان وزمان، لأنها تستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة، والرهبة والفرار من الألم والشقاء.[1]

- تختلف استجابة الأفراد وردود أفعالهم تبعا لاختلاف شخصياتهم، فمنهم من يستجيب بالموعظة الحسنة ومنهم من يتأثر بالقدوة الصالحة، ومنهم من لا تجدي معهم هذه الطرق جميعها، فلابد إذًا من علاج حاسم يضع الأمور في موضعها الصحيح.[2]

لقد ظهر أسلوب الترغيب والترهيب في الشام مصاحبا للموعظة، فقد كان الوعاظ في الشام يدعمون مواعظهم بالترغيب بالجنة وكل ما يقرب إليها من قول وعمل، والترهيب من النار وعذابها وكل ما يقرب إليها من قول وعمل، مستشهدين في ذلك بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومعتمدين على ما تحمله من قدرة عظيمة في إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية.[3]

سادسًا طريقة السؤال والجواب:

وهي من الطرق التي تستخدم لوحدها، وكذلك تستخدم مع الطرق الأخرى، فلا توجد طريقة من طرق التدريس إلا ويستخدم من خلالها طريقة الاستجواب، ويطلق عليها عدة

---

(١) محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخديجي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ص٨٤.

(٢) محمد قطب، مرجع سابق، ص١٨٩.

(٣) عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق، ص٣٣٨.

مسميات، فقد يسميها البعض الطريقة الاستجوابية أو يسميها البعض طريقة المناقشة أو يسميها البعض طريقة المحادثة.(١)

تعريف طريقة السؤال والجواب:

يعرفها الباحثين بأنها عبارة عن وسيلة فعالة لتوجيه الناشئ وإرشاده بالتدرج وفق مستواه العقلي والتحصيلي، تهدف إلى التوصل إلى حقائق الأشياء بنفسه وتوضيحها له في حالة عجزه.(٢) نذكر أهميتها فيما يلي:

- إنها وسيلة فعالة لجذب انتباه الطلاب وإثارتهم نحو الموضوع المراد تعليمه، مما يشحذ هممهم ويحضهم إلى اكتشاف الإجابات الصحيحة، والمشاركة في شرح الدرس وتحديده وفهمه.(٣)
- وسيلة مهمة للحصول على المعلومات، فهي تساعد التلاميذ في التعرف على الحقائق والمعارف الهامة، والأكثر أهمية في كل علم، والتمييز بينهما.(٤)
- تعمل على تثبيت المعلومات في ذهن الطلاب ومراجعتها، فالمدرس الناجح هو الذي يستطيع بأسئلته أن يراجع الطلاب في المادة التي سبق وأن درسها لهم، وحملهم على تكرار ما هو مهم لهم من الدرس.(٥)

---

(١) محمد صالح بن علي، مرجع سابق، ص٤٨٤.

(٢) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٤م، ص٢٠٦.

(٣) محمد صالح بن علي جان، مرجع سابق، ص٤٨٩.

(٤) عبد الله بن أحمد، التقويم التربوي للمتعلمين لدى العلماء المسلمين، مكتبة الرشد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص٨٣.

(٥) محمد حسين أل ياسين، المباديء الأساسية في طرق التدريس العامة، دار القلم، بيروت، ص٩١.

فقد استخدم العلماء في العصر الأموي طريقة السؤال والجواب في العملية التعليمية وذلك لشعورهم بأهميتها، ومالها من تأثير قوي في الحصول على المعلومات، فهذا دغفل بن حنظلة عندما سأله معاوية بن أبي سفيان عن كيفية حصوله على هذا العلم فأجاب بقوله: "بلسانٍ سؤول وقلبٍ عقول".[١]

(١) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء السابع عشر، ص٢٩١.

المبحث الثالث

تمويل المراكز والمؤسسات التعليمية

يهتم تمويل التعليم في المراكز والمؤسسات عن طريق استثمارات نذكر أمثلة منها:

أولًا الإنفاق الحكومي:

لا توجد آليه خاصة تحكم الإنفاق الحكومي على التعليم في العصر الأموي، فعلى الرغم من مساهمات الحكام في نفقات التعليم إلا أنها كانت ضئيلة بالقياس إلى مساهمات الأفراد، مما يجعل التعليم يتصف بالصفة الشعبية في الغالب[١]. فالدولة لم تثبت نظامًا واضحًا لتمويل التعليم وإدارته.

مجالات الإنفاق على التعليم في الدولة الأموية:

أتخذ إنفاق الدولة على التعليم عدة أشكال منها:

أ. النفقة على تأديب أولاد الخلفاء:

عمل الخلفاء على إكرام هؤلاء المؤدِّبين وتوفير كل وسائل الراحة لهم حتى يتفرغوا لأبناء الخليفة، فأغدقوا عليهم العطايا والأجور وقاموا بتسديد الديون عنهم، وخصصوا لهم أماكن يسكنون فيها في قصورهم، وكل ذلك حتى يتفرغوا للتعليم والتأديب حيث لا يشغلهم شيء عن ذلك وقد كانت تتفاوت أجورهم من خليفة لآخر، بل كان البعض يرفض أن يأخذ أجرًا على تعليم القرآن، كما حدث مع إسماعيل بن المهاجر مؤدب أولاد

---

(١) حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، الشركة المتحدة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٧٧.

عبد الملك بن مروان، حيث قال عنه عبد الملك عندما رفض أخذ الأجر على التعليم (إني لست أعطيك أو أثيبك على القرآن، إنما أعطيك وأثيبك على النحو).[١]

ب. أجور ومكافآت العلماء والفقهاء:

كان الخلفاء يجزلون لهم العطايا والصلات ويكافئونهم بالجوائز والهبات، واتخذت هذه العطايا والهبات عدة أشكال، منها ما كان مباشرًا، مكافأة وأجرًا على التعليم، ومنها ما كان غير مباشر كنوع من المساعدات، وبما أن بعض العلماء كان يرفض الأجر إلا أنه كان يقبل المساعدات غير المباشرة.[٢]

ج. هبات الخلفاء للشعراء والأدباء:

اهتمت الدولة بالشعراء واحتضنتهم، وذلك لما للشعر من تأثير في نفوس الناس، وأغدقوا عليهم الهبات والجوائز، وساعد اهتمام الأمويين بالشعر على انصراف الكثيرين إلى قول الشعر وحفظه وروايته.[٣]

د. النفقة على المؤسسات التربوية:

- **الإنفاق على المساجد:** كان يتم الإنفاق علي المساجد من خزينة الدولة يعد المسجد من أهم وأكبر المؤسسات التعليمية في العصر الأموي كما ذكرنا سابقًا،

(١) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص٣٣٧.

(٢) المصدر نفسه، الجزء الخامس والخمسين، ص٣٠٢.

(٣) ملكة أبيض، مرجع سابق، ص٤٥٤.

وقلنا أنه قد حظي باهتمام بالغ، وأنه قد بنيت عدة جوامع ومساجد منها: مسجد قبة الصخره والجامع الأموي بدمشق.(١)

- **الإنفاق على الكتاتيب:** كانت تشرف عليها الدولة وتصرف عليها من بيت مال المسلمين لأنها لأولاد المسلمين عامة، والتعليم من مسؤولية الدولة.(٢)

ثانيًا إنفاق العلماء:

أسهم العلماء بتمويل التعليم مساهمة كبير في العصر الأموي واتخذ تمويلهم عدة أشكال منها:

أ. **العمل الطوعي:** إذ كان العلماء يؤدون أعمالهم في صدر الإسلام طلبا للثواب من الله فلم تدفع لهم الدولة مرتبات.(٣)

ب. **إنفاق العلماء على طلبة العلم:** حيث قال أحد طلبة الزهري "إن حديثك ليعجبني ولكن ليست معي نفقة فأتبعك، قال: اتبعني أحدثك وأنفق عليك".(٤)

ثالثًا إنفاق الطلاب:

أدى حرص الطلبة على طلب العلم إلى بروزهم كمصدر من مصادر تمويل التعليم، وقد برز اسهام الطلاب في تمويل التعليم من خلال أشكال متعددة مثل: الجمع بين الدراسة والعمل في إحدى المهن للإنفاق على أنفسهم، أو من خلال إنفاق الطلاب على أنفسهم

---

(١) ابن كثير، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص٢٢٤.

(٢) حسين هادى محمد العواجي، النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، ص١٣٦.

(٣) سعد مرسى أحمد وسعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٤) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الخمسة والخمسين، ص٣٧٩.

من الأموال التي ورثوها.[1] نصح أبو قلابة أحد طلابه بالعمل بقوله: "وألزم سوقك فإن أعظم العافية الغنى عن الناس".[2]

رابعًا الإنفاق من الهبات والإعانات:

تعرف الهبة بأنها تمليك عين على غير عِوَضٍ معلومٍ في الحياة، وتطلق على الشيء الموهوب، ويراد بها التبرع والتفضل على الغير، سواء كان بمال أو بغيره.[3]

لقد لعبت الهبات والصدقات دورًا في مجال تمويل التعليم، وذلك لأن التمويل الحكومي لم يكن منظمًا وكافيًا بالنسبة للتعليم، وكان متواضعا نوعا ما عما كان في العصور التي تليه، فقد كانت أجور المعلمين غير ثابتة وغير كافية أحيانا، وقد كان كثير من العلماء لا يقبلها تورعا، ولكن الهبات كانت تلقى قبولا منهم، لأنها نوع من الهدية وقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم الهدية، فقبولها لم يكن موضع خلاف بينهم، فهم يتفقون على قبولها.

وقد كانت بعض الهبات تعطى من قبل الدولة، وكانت تعطى من بيت مال المسلمين، وأحيانًا من مال الخليفة الخاص، ولم تقتصر على الخلفاء بل تعدتها إلى أهل الخير من

---

(١) سعد سعيد جابر الرفاعي، مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأول ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص١٦٣.

(٢) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء والثامن والعشرين، ص٣٠٤.

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، الجزء الثالث، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ص١٨٩.

عامة الناس والموسرين منهم، فقد سئل عطاء عن مصدر معاشه فقال: "من صلة الأخوان وجوائز السلطان"[1].

فلم تكن الهبات خاصة بالمعلمين بل تعدتها إلى طلاب العلم، فقد كان أهل الخير يتعهدون برعاية ونفقة من يرون أن له رغبة ونجابة في التعليم[2].

خامسًا: الحبس (الوقف):

الوقف في اللغة يعني الحبس[3]، أما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفات الوقف ومنها: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة، أو هو حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقصد التصرف في رقبته علي مصرف مباح.

أما المعنى العام للوقف فهو وضع أموال وأصول منتجة في معزل عن التصرف الشخصي بأعيانها، وتخصيص خيراتها أو منافعها لأهداف خيرية محددة، شخصية أو اجتماعية أو دينية أو عامة [4].

تم تقسيم الوقف الي ثلاثة أقسام هي: الوقف الخيري، الوقف الأهلي، والوقف المشترك.

الوقف الخيري هو ما يخصص الواقفُ ريعَه للإنفاق على جهات البر والمنافع العامة.

والوقف الأهلي فهو ما يخصص ريعه للإنفاق علي النفس والذرية في حياته ومن بعد

---

(١) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الأربعون، ص٤٣٤.

(٢) الذهبي، مصدر سابق، الجزء السابع، ص١١٠.

(٣) ابن منظور، مصدر سابق، الجزء السادس، ص٤٤.

(٤) مي علي محمود حسين، الوقف كمصدر التمويل مع التطبيق علي قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في مصر، رسالة ماجستير، القاهرة، ص١٨.

موته. أما الوقف المشترك هو ما يجمع بين صفات الوقف الخيري والوقف الأهلي، بحيث تخصص منافعه للذرية ولجهة من جهات البر معًا.[١]

بالوقف أنشئت المساجد ومعاهد التعليم، بدءًا بالكتاتيب والمكتبات العامة، كإنشائها وإيقاف الكتب الشرعية بها، والصرف على الطلبة والمعلمين. فقد كانت المساجد أول وقفٍ في الإسلام، حيث بنى الرسول صلى الله عليه وسلم مسجد قباء، ثم بنى مسجده صلى الله عليه وسلم، وكان الناس يتسابقون إلى إقامة المساجد والصرف عليها.

أما في العصر الأموي فقد قام الخليفة وليد بن عبد الملك ببناء الجامع الأموي بدمشق الذي أنفق عليه أموال كثيرة.[٢]

احتضنت مؤسسة الأوقاف المساجد التي تحتاج الي رعاية، الي جانب القيام ببناء مساجد جديدة، والتي ساهمت بدور فعال في انتشار العلوم المختلفة، حيث كان المسجد عبارة عن مدرسة تقام فيها حلقات التعليم. فقد تكفل الوقف بالتمويل اللازم سواء فيما يخص النفقات الرأسمالية، أو النفقات الجارية من رواتب وصيانة ومكافآت وبجانب إنشاء المساجد ساهم الوقف في إنشاء الكتاتيب، وكانت ملحقة بالمساجد، وهي تشبه الي حد كبير المدارس الابتدائية في الوقت الحاضر، ويتم تمويلها بأموال الوقف. [٣] كثرت

---

(١) مي علي محمود حسين، مرجع سابق، ص٢١.

(٢) عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي، الوقف والحضارة الاسلامية، مجلة البيان، العدد ٣١٢، ٢٠١٣/٦/٨م، ص١٢٥.

(٣) عبد العزيزعلوان سعيد عبده، اثر الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستي، جامعة أم القري، المملكة العربية السعودية،١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٥.

الأوقاف في العصر الأموي لاتساع الفتوحات الإسلامية، لذا أنشئت إدارة خاصة للإشراف على الأوقاف، وقد خضعت إدارة الأوقاف لإشراف السلطة القضائية مباشرة.[1]

---

(١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، وقف (اسلام)، عن طريق الشبكة العنكبوتية الانترنت.

الفصل الرابع
مظاهر الحياة الثقافية في العصر الأموي

المبحث الأول: العلوم النقلية

المبحث الثاني: العلوم العقلية

المبحث الثالث: النشاط الأدبي في العصر الأموي

المبحث الأول

العلوم النقلية

أدى انتشار التعليم ونشوء مراكز ومؤسسات العلم في المدن الرئيسية مثل: مكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان إلى إزدهار الحركة الفكرية، وقد ساهم الخلفاء والولاة بدور فعال في دفع هذه الحركة إلى الأمام بطريق مباشر أو غير مباشر، وإزدهار الحركة الفكرية في العصر الأموي شملت اتجاهات منها حركة نقلية وحركة عقلية وحركة النشاط الأدبي والشعر [١].

العلوم النقلية هي العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم وتفسيره، وبالحديث وروايته واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوي الشرعية فيما يجد من مشاكل، وما يعرض من أحداث، ونجد أنها انتشرت في عهد بني أمية، وكانت تشمل علم القراءات وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه والنحو واللغة والأدب بالاضافة للعلوم اللغوية والتاريخية[٢].

أ. علم القراءات:

لقد أورد العلماء تعاريف كثيرة لعلم القراءات سوف نذكر تعريفًا واحدًا وهو لابن الجزري، إذ عرَّف علم القراءات بأنه علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة[٣].

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٧٦.

(٢) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٠٥.

(٣) محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، اعتني به عبد الحليم قابة، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٧.

كان علم القراءات من العلوم التي اشتغل بها المسلمون، ويعتبر المرحلة الأولى لتفسير القرآن. تتركز النواة التي بدأ بها هذا العلم في القرآن، وفي نصوصه نفسها، وبعبارة أوضح في قراءته.[١]

ويرجع السبب في ظهور القسم الأكبر من هذه القراءات إلى طبيعة الحروف الهجائية العربية، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يُقرَأ بأشكال مختلفة تبعًا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أُهمِل شكله أو نقطُه من القرآن.

وقد ظهرت للقراءات سبع طرق، كل طريقة منها تمثلها مدرسة معترف بها ترجع قراءتها إلى أمام، وتستند في أحاديث موثوق بها، وعليها يجب أن يقتصر في قراءة المصحف.

ويرجع أغلب الاختلافات في القراءات إلى رجال موثوق بهم عاشوا في القرن الأول كابن العباس وعائشة وعثمان بن عفان صاحب القراءات وابنه أبان، وإلى قراء معترف بهم كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، وهؤلاء قد أثنى عليهم التابعون وغيرهم.

نزل القرآن في بضعٍ وعشرين سنة، فكانت تنزل الآية أو الآيات كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وكان الصحابة يكتبون ما ينزل من الآيات على سعف النخل والرقاع وقطع الأديم وعظام ألواح الشياه والإبل وأضلاعها ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار

---

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٠٥.

ربه وقامت حروب الردة والتي قُتِل فيها أكثر القراء من الصحابة وخاصة في يوم اليمامة، حيث أدى هذا الأمر إلى أن يتخذ أبوبكر أمرًا بجمع القرآن الكريم، فكلف زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع والسعف وصدور الرجال.(١)

وكان هذا الجمع عبارة عن جمع الآيات المكتوبة في الأكتاف والعسب واللخاف ونسخها في الأدم وهو الجلد المدبوغ، وقد حفظت هذه الصحف عند أبي بكر ثم عمر حتى مات، فحفظت عند ابنته حفصة بنت عمر.(٢)

وفي فترة خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) توسع المسلمون في فتوحاتهم، وتفرق القراء في الأمصار، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد إليهم قراءته، فأكبر الصحابة هذا الأمر مخافة أن ينجم عنه التحريف والتبديل، وأجمعوا أمرهم أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، ويجمعوا الناس عليها بالقراءات الثابتة على حرف واحد.

فأرسل عثمان إلى حفصة، فأرسلت إليه بتلك الصحف، وتمَّ نسخها في مصحف واحد، وردَّ عثمان الصحف إلى حفصة.(٣) وأرسل إلى كل مصر بمصحف مما نسخوا، وأمر الناس أن يقرأوا على نسخة واحدة. وصار كل مصحف أرسله الخليفة من المدينة إماما يقتدي به أهل البلدة التي أرسل إليها ومن حولها، وصارت تلك المصاحف تعرف باسم

---

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٠٧.

(٣) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٧٨.

المصاحف العثمانية نسبةً إلى عثمان بن عفان لأنه هو الذي أمر بنسخها وإرسالها إلى البلدان.[١]

وكان الغرض من هذا الأمر جمع الناس على وجهٍ واحد في قراءة القرآن خشية ما قد يقع بينهم من خلاف مصدره التحريف.[٢]

لقد تمت كتابة مصحف عثمان جميعه دون نقط ولا شكل، وكانت بعض الكلمات تسمح بقراءات متعددة، وربما لم يجد العرب صعوبة في القراءة، ولكن المشكلة ظهرت عندما بدأ التباين في قراءات أبناء الشعوب المفتوحة كالفرس والهنود والبربر وغيرهم،

فتنبه خلفاء بني أمية وولاتهم إلى هذا الأمر، وقام أبو الأسود الدؤلي (٦٩هـ/٦٨٨م) بتكليفٍ من زياد بني أبي سفيان، يوضع أول علامات تدل على الحركات (الفتحة والضمة والكسرة) والتنوين.[٣] فكان هذا بداية للمدرسة النحوية في اللغة.

وأتمَّ نصر بن عاصم الليثي (٨٩٦ هـ/٧٠٧م) عمل أستاذه من بعده وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق حينذاك، فوضع النقط أفرادًا أو أزواجًا والمخالفة بين أماكنها، مما سهل التفريق بين الحروف (الباء والتاء والياء، وما يماثلها).[٤]

هذا وقد أفرزت هذه الاختلافات في القراءات إلى البدء في تصنيف القُرَّاء، فكان أن اتُفق على مشاهير القراء السبعة وهم عبد الله بن عامر اليحصبي وعبد الله بن كثير الداري

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٧٩.

(٢) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٠٩.

(٣) ابن خلكان، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٥٣٦.

(٤) أبوبكر بن أبي داؤد البحسشاني، كتاب المصاحف، الجزء الأول، محقق: محب الدين عبد السجان وأعظ ، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٤٧٧-٤٨٤.

وعاصم بن بهدلة (أبي النجود). وأبو عمرو زيان بن العلاء التميمي المازني البصري، وحمزة بن حبيب بن عمار التميمي الكوفي، ونافع بن عبدالرحمن الليثي، وعلي بن حمزة الأسدي الكساني، والذين عاشوا كلهم ومات بعضهم في العصر الأموي.

وهكذا كانت أهم انجازات الأمويين في علم القراءات هي وضع العلامات على المصحف العثماني، ثم تنقيط الحروف وظهور القراءات السبع.

ب. علم التفسير:

هو علم يقوم أساسا على تفسير القرآن الكريم وشرح معانيه واستخراج أحكامه وحكمه وتقريبه إلى الناس.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول مفسر له، فيروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

قال: "فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا"، ثم تولى صحابته ذلك الأمر من بعده[١].

اتخذ المفسرون اتجاهين في التفسير، أولهما التفسير المأثور أو المنقول، وثانيهما التفسير بالرأي أو بالاجتهاد.

التفسير المأثور المقصود به الاعتماد على ما أُثِر عن الرسول عليه السلام، ومع مرور الوقت دخل فيه ما لم يكن للرسول، ثم تعرض لوضع القصَّاص والوضَّاع حتى اختلق بعضهم الأحاديث في تفسير بعض الآيات، وظهر أن بعض الآيات تفسر بتناقض وهي

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٨١.

منسوبة في كليهما للرسول عليه السلام، وهذا غير معقول، مما أدى إلى ظهور الاتجاه الثاني في التفسير.

التفسير بالرأي أو الاجتهاد: يعتمد المفسر على العقل أكثر من اعتماده على النقل، ذلك أن الإسلام نادى بتعقل الإيمان وبالتدبر، كذلك يستعين المفسر بأدوات أخرى منها تعمقه باللغة العربية وأساليبها ومفرداتها، وعلمه بتاريخ العرب والأمم الأخرى والديانات وأسباب نزول الآية وظروفها.

ومن الطبيعي أن يؤدي الاجتهاد إلى تباين وجهات النظر في تفسير بعض الألفاظ والعبارات والآيات، وإن كان هذا التباين لم يصل إلى حد التناقض وبالتالي لم يؤثر في الأهداف والأساسيات.[١]

ومن أشهر المفسرين عبد الله بن عباس، وكان يشرح الكلمات الصعبة في القرآن بشواهد من الشعر.[٢] وابن جريج، وكان يجمع كل ما وصل إليه حتى يتحرى الدقة في التفسير. والسدي المتوفي سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م)، وقد اعتمد في تفسيره على ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة.[٣]

ومع نشاط الحركة العلمية أصبح التفسير مرآة ينعكس فيها ما حفل به العصر من تيارات فكرية، ونظريات علمية ومذاهب دينية وكان أول من دوَّن التفسير في الصحف

---

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس، ١٩٩٥م، ص٥٧٠.

(٢) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٨٢.

(٣) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤١١.

مجاهد (١٠٧هـ/٧٢٦م) (هو مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، وهو إمام وفقيه وعالم ثقة وكثير الحديث)[١].

إن من أخذ العلم عن ابن عباس كثيرون، لعل من أشهرهم سعيد بن جبير الأسدي (٩٥هـ/٧١٣م) وله كتاب في التفسير، ويقال أنه كتبه بناء على طلب من الخليفة عبد الملك بن مروان والذي بدوره حفظ نسخة من هذا التفسير عنده بديوان الخلافة.[٢]

التفسير في العصر الأموي كان جزءًا من علم الحديث وفرعا من فروعه، فقد كان التفسير في ذلك العصر تفسيرا لآيات مبعثرة غير مرتبة حسب ترتيب السور والآيات، فالطريقة المنظمة في تفسير القرآن لم تحدث إلا في العصر العباسي.[٣]

ج. علم الحديث:

علم الحديث هو ما أُثِر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير لشيء رآه، ولا شك أن مكانته تأتي بعد القرآن الكريم، خاصة أن كثيرا من الأحكام وبعض أركان الدين جاءت مجملةً في القرآن ففصَّلها الرسول بالقول والعمل للمسلمين.

وإذا كان القرآن كلام الله فالحديث كلام رسول الله، لكن الإشكالية بالنسبة للحديث في أنه لم يسجَّل ولم يدوَّن في حياة الرسول مثلما دوِّن القرآن، وبعد وفاة الرسول كان القرآن مدونًا والحديث لم يدوَّن ولكنه يروى مما حُفظ في صدور الرجال.[٤].

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٧١.

(٢) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ١٨٢.

(٣) حسن ابراهيم حسن العقيلي، مرجع سابق، ص٤١١.

(٤) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٧١-٥٧٢.

ولكن بالرغم من عدم التدوين كانت هنالك كتابات من بعض الصحابة، ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهم.[١] وكان هذا الأمر نابعًا من رغبة شخصية ولا علاقة للجهات الرسمية بذلك.

أما أول عملية جمع للحديث النبوي الشريف وتدوينه، شمولًا واستقصاءً، فقد تمت في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) وبأمر وبإشراف مباشر منه (كجهة حكومية رسمية)، حيث أنه كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري واليه على المدينة أن {أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية فاكتبه، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله}، فقام الوالي بهذا العمل وشاركه فيه كل من القاسم بن محمد بن أبي بكر ومحمد بن شهاب الزهري وذلك لسعة علمهما وإطلاعهما.

وبعث عمر بن عبد العزيز إلى علماء الأمصار الإسلامية يقول: أنظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوه.

وبعد أن تم جمع الحديث وتدوينه بعث عمر بن عبد العزيز إلى جميع الأمصار الإسلامية نسخةً منه، فأقبل طلاب العلم يتدارسون هذه الكتب مما كان له أثر واضح في إثراء الحركة الفكرية.[٢]

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٨٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٤-١٨٥.

ومن ناحية أخرى كانت دراسات الحديث تفرعت منها علوم أخرى مثل علم التاريخ والتفسير والفقه واللغة والآدب وغيرها.[١]

د. علم الفقه (التشريع):

الفقة هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، فلا شك أن الحديث هو المصدر الثاني، بمعنى أنه عرضت للرسول حوادث ومسائل قضى فيها بالحديث لعدم وجود نص صريح في القرآن فكان هذا تشريعا، على المسلمين الأخذ به.

إذًا فالقرآن الكريم والحديث الشريف هما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي، لكن اتساع الدولة وامتدادها السريع أدى إلى ظهور مشاكل جديدة ومن نوع جديد بسبب تنوع الأجناس، وطبيعة البلاد المفتوحة، وتباين العادات والتقاليد والأصول ولما لم يكن لهذه المشاكل والقضايا أحكام صريحة في الكتاب والسنة فقد تطلب الأمر الاجتهاد بالرأي لحلها.[٢]

لهذا اضطر الصحابة إلى إدخال مبدأ الاجتهاد لتكون بمثابة سوابق تشريعية وأحكام يعمل بها في الحالات المتشابهة، ولم تلبث أن انتشرت مدرسة الرأي والاجتهاد والقياس في التشريع في القرنين الأول والثاني للهجرة، وكان لها شأن كبير في العراق، وكان أبو

---

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٧٥.

حنيفة على رأسها وكان من خصوصيات هذه المدرسة التقليل من شأن الحديث وكثرة الفروض والتفريعات.

وفي الحجاز ظهرت مدرسة الحديث وكانوا يعتمدون في إجابتهم عن المسائل على القرآن والحديث، وكان على رأسها مالك بن أنس. ومدرسة ثالثة في الفقة سلكت مسلكا وسطا فأبطلوا القياس والعمل به وهم الظاهرية، وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والإجماع، وكان إمام هذا المذهب داودبن علي.[١] ومن أبرز فقهائه أبو إدريس الخولاني الذي قال عنه الزهري كان من فقهاء أهل الشام، وشهر بن حوشب الأشعري، ورجاء بن حيوة الذي قال عنه مطر: ما رأيت شاميا أفقه من رجاء بن حيوة، وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز.[٢]

وكذلك الإمام الأوزاعي وهو يعد من فقهاء تابعي التابعين وأبرزهم، وكان له حلقة في مسجد دمشق ثم بمسجد بيروت أجاب فيها عن سبعين ألف مسألة.[٣]

قد شهد العصر الأموي كثيرا من الفقهاء الذين كان لهم أثر واضح في تطور الفقة الإسلامي في ذلك العصر وانتعاشه وعلى رأسهم الخليفة عمر بن عبد العزيز، فعندما تولى الخلافة أمر بنشر الفقه، فقد أرسل إلى ولاته أن يأمروا الفقهاء بتعليم الناس،

---

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٧٦.

(٢) جمال الدين أبوسحاق ابراهيم علي الفيروز أبادي، طبقات الفقهاء، المكتبة العربية، ص٥٢.

(٣) الذهبي، مصدر سابق، الجزء السابع أ، ص١١١.

فكتب إلى بعض ولاته: "أما بعد فمر أهل الفقه والعلم من عندك فلينشروا ما علَّمهم الله في مجالسهم ومساجدهم".[١]

وتعتبر فترة حكمه على قصرها من سنة (٩٩-١٠١هـ). فترة إزدهار للفقه الإسلامي في الأقطار الإسلامية.[٢]

ارتبط تعليم الفقه بالقضاء والفتوى، لذلك كان تعليم الفقه يتم عن طريق حضور المتعلم لمجالس القضاء والفتوى التي تعقد في المساجد، والتي لم تكن منفصلة عن مجالس التعليم بل كانت جزءًا منها.[٣]

فقد كان مكحول يقول: اختلفت إلى شريح ستة أشهر أسمع ما يقضي به.[٤] فقد كان يكتفي بالسماع إلى أحكامه.

ولقد شهدت مساجد الشام الكثير من القضاة أمثال أبي إدريس الخولاني الذي كان على القضاء زمن عبد الملك بن مروان.[٥]

---

(١) أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، الطبعة الأولى، ص١٢٤.

(٢) خليل داوود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الأفاق الجديدة، لبنان، ص٩٥.

(٣) صالحة بنت جاي بن يحي السفياني، التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص٢٧٨.

(٤) الذهبي، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص١٦١.

(٥) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الستة والعشرين، ص١٦٥.

هـ. العلوم اللغوية:

هي علوم يحترز بها عن الخلل في كلام العرب لفظا وكتابة، وينقسم على ما صرح به علماء اللغة العربية إلى أثنى عشر قسما منها أصول، وهي العمدة في ذلك الاحتراز، ومنها فروع.[١] وكانت تشمل علم النحو وعلم الشعر والأدب وعلم الكتابة.

١. **علم النحو:** هو علم عقلي من علوم اللغة العربية تعرف به أحوال الكلمات من حيث الإعراب والبناء، وما يعرض لها من الأحوال في حالة تركيبها وعلاقتها بغيرها من الكلمات.[٢]

زادت الحاجة إلى تعلم العربية في المناطق المفتوحة والتي أخذ يظهر فيها اللحن نتيجة لاختلاط العرب فيها بالشعوب الأخرى.

فحتَّم على المسلمين ضرورة تعلم الإعراب لإصلاح ما أختلَّ وفسد من كلام العرب نتيجة الاختلاط المتواصل في الحياة المعيشية بين العرب وغيرهم، ودخول الكثير منهم بين الحين والآخر في الدين الإسلامي، وما يترتب على ذلك من تعليمهم الإسلام بلغته التي نزل بها وهي اللغة العربية.[٣] ففهمُ القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف لا

---

(١) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوه، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، ص١٤.

(٢) عبد العزيز قاسم محمد الطائي، مباديء اللغة العربية (قواعد أحكام علمي النحو والصرف)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص١١.

(٣) عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف، الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ ١٤٢١هـ، ص١٧٨.

يقومان إلا بمعرفة ألفاظها التي جاءت بها، وهي اللغة العربية الفصيحة، كان المعلمون يلحُّون على سلامة اللغة أثناء تدريسها.

قال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي يقول: أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عربا. وقد قيل للأوزاعي: يا أبا عمرو، الرجل يسمع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه لحن يقيمه على عربيته؟ قال: نعم، إن رسول صلى الله عليه وسلم لا يتكلم إلا بعربي وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي يقول: لا بأس بإصلاح اللحن والخطأ في الحديث.(١)

وكانت سلامة اللغة وفهمها تعلي من منزلة صاحبها في العلم، وهذا ما دفع الخليفة عبد الملك بن مروان على تشجيع الإمام الزهري ومكافأته. فقال الزهري: دخلت على عبد الملك فقال لي: قرأت القرآن؟ قلت: نعم، قال: بإعرابه وما ينبغي فيه من وجوهه وعلله؟ قلت: نعم، فأمر لي بجائزه.(٢)

اهتم خلفاء بني أمية بالنحو، وكانوا يكرهون اللحن في القول ويعدونه عيبا يقدح في منزلة صاحبه، كيف لا وهي دولة عربية خالصة متعصبة للعرب، وكانوا لأبنائهم المؤدِّبين لتعليمهم النحو، فقد أمر معاوية بن أبي سفيان دغفل بن حنظله بذلك فقال له: "أذهب إلى يزيد فعلمه العربية".(٣)

---

(١) الذهبي، مصدر سابق، الجزء السابع، ص١١٥.

(٢) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الخمس والخمسين، ص٣٠٢.

(٣) المصدر نفسه، الجزء السابع عشر، ص٢٩٢.

كذلك أهتم عبد الملك بن مروان بتعليم أبنائه اللغة العربية، فقد قال لمؤدب أبنائه وهو إسماعيل بن أبي المهاجر، بعد أن رفض أخذ الأجر: (إني لا أعطيك أو اثيبك على تعليمهم القرآن، إنما أُعطيك وأثيبك على تعليمهم النحو).[١]

٢. **الشعر**: يشغل الشعر بالنسبة لعلوم العربية وآدابها المكانة التي يشغلها الحديث في مجال العلوم الدينية، فقد ساعد اهتمام الأمويين بالشعر على انصراف الكثيرين إلى قول الشعر وحفظه وروايته.[٢]

إن الشعر في العصر الأموي قد ظهرت فيه أفكار جديدة كفكرة توارث الخلافة التي بدأها معاوية واستمر عليها خلفاء بني أمية من بعده، فأحدثت هذه الفكرة ردود فعل سياسية متباينة، فكان لها مؤيدون ومعارضون، وأقبل الشعراء يكيلون المديح ويشيدون بإنجازات هذه الزعامة أو تلك. فمن تعاطف مع بني أمية ومدحهم ودافع عن أحقيتهم في الخلافة من الشعراء: الأخطل التغلبي، جرير بن عطية، والفرزدق (همام بن غالب التميمي) والنابغة الشيباني، ونصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، وأبو العباس السائب بن فروخ المكي وغيرهم.

وقد اعتز بنو أمية أشدَّ الاعتزاز ببعض هؤلاء الشعراء لإخلاصهم في الموالاة لهم، وأكرموهم اكراما منقطع النظير.[٣] فمنذ النزاع الحربي بين العلويين والأمويين والخوارج

---

(١) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص٤٣٧.

(٢) ملكة أبيض، مرجع سابق، ص٤٥٤.

(٣) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٩١-١٩٢.

والزبيريين عمد كل فريق إلى الشعر، يؤيد دعواه ويجلب له الأنصار ويهاجم خصومه ويفنِّد مزاعمهم، فبذا نشأ الشعر السياسي.

وقد ساعد الترف الذي كان سببه امتلاء خزائن الدولة بالخيرات نتيجة الفتوحات الإسلامية، إذ كان يتم إعطاء الشعراء الكثير من الأموال حتى أصبح لهم مجالس شعر[(١)]. كل هذه الأمور وغيرها زادت من تطور الشعر وازدهاره في العصر الأموي.

٣. **الكتابة:** نمت الكتابة في العصر الأموي نموا واسعا، فقد عرف العرب قديما الكتابة بصورة بدائية، ثم تطورت ببطء شديد خلال العصور إلى أن اصبحت صحفا يجمع بعضها إلى بعض في موضوع من الموضوعات، ثم ألفوا بها كتبا كثيرة. كانت هنالك عدة أنواع للكتابة في العصر الأموي منها:

- **الكتابة التاريخية:** كتب المؤرخون في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم أبان بن عثمان، وأيضًا عروة بن الزبير وهو أول من صنف في تلك المغازي، ثم الزهري.
- **الكتابة السياسة:** ظهر هذا النوع في حجر العرب في صدر الإسلام، إذ ظهرت الكثير من المشكلات التي ألحت على ضرورة كتابتها.

---

(١) يحي رهيب الجبوري، مرجع سابق، ص١٩١.

- **الكتابة الدينية:** ازدهرت وارتقت كثيرا بعد تمرن الأمويين على الخطابة والجدال وإقامة الحوارات العميقة في المسائل الدينية.[١]

جاء العصر الأموي وتعقَّدت الحياة وتطور المجتمع الإسلامي، واتسعت رقعة الدولة، فدعت الحاجة إلى إنشاء الدواوين وكان إنشاؤها قد بدأ في عهد عمر بن الخطاب الذي أنشأ ديوان العطاء، فلما جاء الأمويون أوجدوا دواوين أخرى كديوان الرسائل وديوان الجيش وديوان الخاتم.[٢]

ظهر في عصر بني أمية كتَّابٌ احترفوا صنعة الكتابة، وكان لكل خليفة ووالي كتَّابُه، وكان ديوان الخَراج يكتب أول الأمر بلغة الدولة التي كانت قائمة قبل الفتح، فكان يكتب بالعراق بالفارسية، وبالشام بالرومية، وكان يتولاه الموالي من الفرس والروم وغيرهم، وفي عهد عبد الملك عُرِّب هذا الديوان.[٣]

أما ديوان الرسائل فكانت لغته العربية منذ إنشائه، وكان يقوم عليه كتَّاب من العرب أو من الموالي الذين أجادوا العربية، ومن الكتاب المبرزين في ذلك العصر عمرو بن نافع كاتب عبيد الله بن زياد، وجناح كاتب الوليد بن عبد الملك، وعبد الحميد الأصغر كاتب سليمان بن عبد الملك، والليث بن رقية كاتب عمر بن عبد العزيز، وسالم مولى هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الكاتب وهو أشهرهم، وكان كاتب مروان بن محمد آخر

---

(١) أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٦٠، ص١٠٠-١٠٥.

(٢) ابن خلدون، مصدر سابق، ص١٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٤.

خلفاء بني أمية. وكان عبد الحميد الكاتب فارسي الأصل، كان في أول أمره يتنقل في البلدان ويعلم الصبيان، وفي عصر الخليفة مروان بن محمد أصبح عبد الحميد كاتبًا له. على يد عبد الحميد تطور فن التراسل وبلغ غايةً بعيدة من النضج، وظهرت الكتابة الفنية التي وجدت على يده، وأبرز ما تتسم به كتابة عبد الحميد إطالة التحميدات في صدور الرسائل والإكثار من الترادف، والعناية بالتصوير الفني وبالجانب الموسيقي وذلك عن طريق اختيار الألفاظ والتوازن بين الجمل والإتيان بالسجع أحيانا.[١]

من الأدوات التي كانت تستخدم للكتابة في ذلك الزمن القلم، وكذلك المحبرة وهي أدوات ضرورية لعملية الكتابة، فقد روي عن الإمام الزهري قوله: من خرج من بيته بلا محبرة فقد نوى الصدقة من نيته.[٢] والمداد سمي بذلك لأنه يمد القلم أي يعينه على الكتابة.[٣] وكانوا يكتبون على الألواح والرقاع والعسب، وقد أشار عبد ربه بن سليمان باستخدام الألواح بالكتابة بقوله (كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما كانت تعلمني الكتابة).[٤] فيدل ذلك على أن الكتابة على الألواح كانت مشهورة في العصر الأموي.

---

(١) علي مولا، الموسوعة العربية، المجلد الأول، هيئة الموسوعة العربية (مكتبة الأسكندرية) الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٦٤٣.

(٢) أبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، أدب الإملاء والأستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ص١٥٥.

(٣) القلقشندي، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٤٥٨.

(٤) ابن عساكر، مصدر سابق، ص٤٢٨.

و. **العلوم التاريخية:** هي التي تبحث في سيرة الماضي والإطلاع على حقائقه.[١] ان علم التاريخ تطور ذاتيا على الأغلب دون أن تكون هنالك أي تأثيرات أجنبية يمكن ملاحظتها كما في العلوم الأخرى، وكانت هناك عدة أسباب أدت إلى إزدهار الحركة التاريخية والتدوين التاريخي ومنها:

رغبة بعض الخلفاء وحكام الولايات الإسلامية بالوقوف على أخبار السابقين للإفادة من خبراتهم وتجاربهم. أمتداد الدولة العربية الإسلامية أدخل في نطاقها العديد من الشعوب والأمم ذات التاريخ الحافل بالأمجاد فأثار هذا الجانب المؤرخين العرب للتعرف على أحوال الشعوب الأخرى وتاريخها السابق. وجه القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى الأهتمام لما فيه من قصص وأخبار الأمم السالفة، وكان للحديث الشريف دوره في تنمية الحس التاريخي عند العرب من خلال مراحل جمعه وتنقيته لأن ذلك يستدعي المعرفة التاريخية لسيرة الرسول والدعوة الإسلامية.[٢] من أشهر مناهج الكتابة التاريخية ما يلي:

- **كتابة السيرة والمغازي:** السيرة التي تبحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أي كل ما يتعلق بدراسة شخصيته وأقواله وأفعاله وحياته الخاصة والعامة، اما المغازي فهي الغزوات والحروب التي شارك فيها الرسول وقد نشأ هذا الإهتمام منذ القرن الأول الهجري.[٣]

---

(١) اسماعيل سامعي، علم التاريخ دراسة في المناهج والمصادر، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠٠٦م، ص١٦.

(٢) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٨٤-٥٨٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٨٦.

الذين كتبوا عن السيرة والمغازي وفق الترتيب الزمني للأحداث مع الإلتزام بإيراد الأسانيد فقد اشتهر منهم:

- محمد بن شهاب الزهري: من مؤرخي السيرة والمغازي وعرف بقوة أسانيده، وهو مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة، وله كتاب المغازي، وتظهر مقولات منه عند البخاري في الصحيح وفي التاريخ الكبير[١].
- عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: عني بالحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجمع قائمة بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبة على حسب السنين.
- موسى بن عقبة الأسدي: وهو الذي ألف كتابا في المغازي على غرار كتاب أستاذه الزهري.
- محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي: يعد كتابه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أقدم مؤلف شامل ومنظم يصلنا في هذا الموضوع، وهو يتكون من ثلاثة أقسام: المبتدأ (يتناول فيه تاريخ الرسالات السابقة على الإسلام وتاريخ العرب في الجاهلية)، المبحث (يتحدث فيه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة حتى الهجرة)، والمغازي (يتناول فيه حياة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ومغازيه وسراياه وبعوثه حتى وفاته). وكتابه يعد مصدرًا هامًا لا يمكن الإستغناء عنه[٢].

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٧.

- **التاريخ والأنساب:** أولى الخلفاء الأمويون هذا الجانب اهتماما ملحوظا، فيروى أن معاوية كان يستقبل في مجلسه بدمشق كبار علماء الأمة ومثقفيها، وكان كل واحد منهم مبدع في تخصص معين، وبخاصة في السير والمغازي والأنساب وأخبار العرب وأشعارهم وسير الأمم الأخرى وملوكهم، فيستمع معاوية إليهم ويأمر الكتبة أن يدونوا أقوالهم فبهذا يكون قد حصل أول تدوين للتاريخ في الدولة الإسلامية.

ومن أشهر من كتبوا في التاريخ القديم، من علماء تلك الفترة: عبيد بن شرية الجرهمي* وله كتاب أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ويعرف كذلك بكتاب الملوك وأخبار الماضين[1]، وأيضًا أشتهر بمعرفة أيام العرب وأخبارهم، وقد وفد على معاوية بن سفيان، فسأله عن أخبار المتقدمين من الملوك والعرب والعجم وسبب تبليل الألسنة وأمرِ افتراق الناس في البلاد؟، فأجابه بما أمر من الكتب كتاب الملوك وأخبار الماضين.[2]

وعلاقة ابن كريم الكلابي في أيام يزيد بن معاوية كانت علاقة عالم بأيام العرب وأحاديثها. وأيضًا ممن أُخذت عنه المآثر، فألَّف كتابا في الأمثال العلَّامة وهب بن منبه، وكان وهب من أكثر مؤلفي العصر الأموي تصنيفا، وينسب إليه كتاب

* عبد الله بن شرية هو الذي استدعاه معاوية بن سفيان من اليمن وكان يلقي عليه كل ليلة بأخبار الملوك والأمم السابقة ويطلب تسجيل كل ما يقوله.

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٢) أبي الفرج محمد بن أبي يعقوبا (ابن النديم) الفهرست، تحقيق، رضا تجدد، حقوق الطبع للمحقق، ص١٠٢.

(الملوك المتوجة من حِميَر وأخبارهم وقصصهم) وهو أقدم محاولة لتدوين تاريخ دولة عربية معتمدا فيه على كتب أسلافه.[١]

أما كتابة الأنساب وهي لون من ألوان التدوين التاريخي، فقد احتلت مكانةً خاصة عند العرب نظرا لطبيعة الفكر القبلي عندهم، حيث الاعتزاز بالنسب والفخر بأمجاد القبائل.[٢] وأيضا اهتموا به لمعرفة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أقرب الناس إليه للعطاء، وممن اشتهروا بهذا العلم الإمام الزهري، فقد قال عنه الليث بن سعد: (إن حدَّث عن الأنساب قلت: لا يُحسِن إلا هذا).[٣]

اهتم خلفاء بني أمية بأنساب العرب وأخبارها، ويظهر ذلك في استقدامهم للكثير من العلماء ليسمعوا منهم وليعلِّموا لهم أبناءهم، أمثال دغفل بن حنظلة، حيث أنه وفد على معاوية بن أبي سفيان فسأله عن أنساب الناس، ثم أمره أن يعلِّم أبناءه.[٤]

فلقد جعل خلفاء بني أمية تعليم هذا الفن منهجا متبعا في تأديب وتعليم أبنائهم، فقد أوصى هشام بن عبد الملك مؤِّدب ابنه بذلك حيث قال له: ليعلم نسبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليل ولا كثير.[٥]

---

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٨٩.

(٢) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٨٧.

(٣) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص ٤٣٧.

(٤) المصدر نفسه، الجزء السابع عشر، ص٢٩٢.

(٥) أبي حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م، ص١٣٨.

- **كتابة تاريخ الأمكنة:**

كان من نتيجة خروج أعداد كبيرة من رجالات القبائل العربية مصاحبين جيوش الفتح الإسلامي، أن استقر أكثرهم في الأمصار المفتوحة، وسكنوا في المدن التي اختطها المسلمون، كالبصرة والكوفة والفسطاط وواسط والقيروان وتونس، فكان لا بد من الانتباه إلى تدوين أخبار هذه الجماعات وأنسابها، وكان من أوائل من قاموا بهذا العمل عامر بن شراحبيل الشعبي.[١]

(١) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٩٠.

المبحث الثاني

العلوم العقلية

العلوم العقلية هي العلوم التي تعتمد على التجربة، وإقامة البراهين والأدلة العقلية لإثبات صحتها ويطلق عليها العلوم العقلية أو الحكمية، وأحيانا علوم العجم أو العلوم القديمة وعلوم الأوائل. وتشمل العلوم العقلية: علم الطب وعلم الكيمياء، وعلم الهندسة، علم الكلام وعلم الجغرافيا، علم الفلك، علم الحساب، علم الترجمة[(١)].

أولًا علم الطب:

الطب لغةً: من طبَّ المريض يطبه طبًا، إذا داواه من المرض،[(٢)] واصطلاحًا هو علم يبحث في بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض.[(٣)] والطب من الحكمة التي أشار بها القرآن الكريم من قوله: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا". [(٤)] ومن هنا جاء لفظ كلمة الحكيم التي تطلق على الطبيب وما زالت متداولة بين الناس حتى اليوم. احتلت المعرفة الطبية مكانةً مرموقة في الإسلام، ووجدت تشجيعا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ورد عنه قوله: بأن"العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان".[(٥)]

---

(١) حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٠٥.

(٢) ابن منظور، مصدر سابق، ص٥٥٣.

(٣) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، الجزء الثالث، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٥٠ – ٦٦١.

(٤) سورة البقرة، آية (٢٦٩).

(٥) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، الجزء الأثنين وخمسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ص٢٢٠.

وانطلاقا من مبدأ التسامح الإسلامي لا مانع أن يتداوى المسلم أو أن يدرس على يد طبيب غير مسلم من النصارى أو اليهود، ولذلك فإن الخدمة الطبية الإسلامية كانت عامة لكل رعايا الدولة ومن مختلف العقائد وفي كل الأماكن.[١]

وبعد التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على الدولة بعد اتساعها انتشرت الأمراض، فأصبحت صناعة الطب محتاج إليها في الحواضر والأمصار دون البادية.[٢] وتحسنت أساليب الطب رويدا رويدا نحو الطب الحديث في العصر الأموي، إذ أخذ يتأثر بالطب اليوناني، وأخذ الأطباء المسلمون من الطب اليوناني كل ما لا يتعارض مع الإسلام من الأدوية والأساليب، ولم يكن أطلاعهم على المعرفة الطبية اليونانية سلبيًا، وإنما كان تطورًا ايجابيًا، فصححوا ما ورد فيها من أخطاء وأضافوا عليها، وكان منهجهم يقوم على أساس التجربة والمشاهدة، ولذلك الحقوا دراسة الطب بالبيمارستانات (المستشفيات) كما نعمل اليوم، وكان على الطبيب المعالج أن يكتب تقريرا عن حالة المريض، وأن يرتب له نظامًا في الغذاء والدواء والراحة والحركة.[٣]

شجع الخلفاء الأمويين الأطباء على الحضور لدمشق، وكان منهم ابن أثال، وأصبح طبيب معاوية بن أبي سفيان، وقد كان طبيبا متقدما، ومن الأطباء المتميزين في دمشق، وهو نصراني المذهب، وقد اصطفاه معاوية بن أبي سفيان لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير المحادثة معه ليلًا ونهارًا، وكان ابن أثال خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها،

---

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٩٩.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٦٢١.

(٣) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٦٠٠.

ومنها سموم قواتل، وربما كان معاوية يقربه لهذا السبب فقد مات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم.(١)

وأيضا هنالك أبو الحكم، وكان طبيبًا نصرانيًا عالمًا بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة ووصفات مشهورة، وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراضٍ قصدها منه، وعمَّر أبو الحكم هذا عمر طويلا حتى تجاوز المائة سنة وكان عند عبد الملك بن مروان حيث أنه حمى عبد الملك بن مروان من شرب الماء في علته التي توفي بها، وأعلمه أنه متى شرب الماء قبل نضج علته توفي، فاحتمى عن الماء يومين وبعض الثالث، ثم دعا بالماء فشربه فقضى من ساعته.(٢)

لم يقف المسلمون عند هذا الحد من الاستعانة بالأطباء غير المسلمين من غير العرب في علاجهم، بل عملوا على تعلم هذا الفن حتى يستطيعوا أن يبدعوا فيه، فقاموا بترجمة كتب الطب إلى العربية، وكان أول من بدأ بترجمة المؤلفات اليونانية إلى العربية خالد بن يزيد.(٣)

ومن الأطباء الذين كانوا في العهد الأموي عبد الملك بن أبجر الكناني، كان طبيبًا عالمًا ماهرًا، وكان في أول أمره مقيما في الإسكندرية لأنه كان المتولي في التدريس، وأسلم على يد عمر بن عبد العزيز، والذي كان حينذاك أميرًا قبل أن تصل إليه الخلافة،

---

(١) موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الأول، المطبعة الوهيبية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ص١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٣.

(٣) أمير أسعد خير الله ، الطب العربي، المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٩٤٦م، ص٣١.

وصحبه، وعندما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز طلب من عبد الملك بن أبجر أن ينتقل من الإسكندرية إلى أنطاكية لتدريس علم الطب، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر ويعتمد عليه في صناعة الطب[١].

أما أول بيمارستان (مستشفى) ثابت في الإسلام، كان في العصر الأموي، وهو الذي بناه الوليد بن عبد الملك سنة (٨٨هـ/٧٠٦م) وعيَّن فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بعزل المجذومين لئلا يخرجوا ويختلطوا بالناس، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، فكان هذا أيضا أول محجر صحي في الإسلام[٢].

ثانيًا علم الكيمياء:

علم الكيمياء هو علمُ يبحث فيه عن طبائع جميع الماديات من خصائص جميع الأشياء الكونية، بالتحليل والتركيب والتغيرات التي تحدث في بيئة المادة، وتكوينها والتغيرات المصاحبة في الطاقة[٣].

كان علم الكيمياء ملاصقًا لعلم الطب آنذاك، فالكيميائي يمثل صاحب أدوية لأنه كان يحضر أنواع العقاقير التي يحتاجها الطبيب[٤].

وأطلق عليه العرب كثيرا من الأسماء منها علم الصنعة وعلم التدبير وعلم الحجر وعلم الميدان. وأول من اشتهر بهذا العلم خالد بن يزيد بن معاوية ردَّ قائلا: "ما اطلب بذلك

---

(١) ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص١٣٠.

(٢) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٣٤.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٦٩٥–٦٩٦.

(٤) عبد الرحمن أحمد حفظ الدين، مرجع سابق، ص٢٣٩.

إلا أن أغنى أصحابي وأخواني، إني طمعت في الخلافة فاختزلت دوني فلم أجد منها عوضًا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة، فلا أحوج أحدا عرفني يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبةً أو رهبة".(١)

بدأ اهتمام العرب بالعلوم اليونانية منذ العصر الأموي، وبامتداد الدولة ازداد اختلاط العرب بالشعوب الأخرى وازدادت الرغبة في التعرف على ثقافات تلك الشعوب، فاعتنى الخلفاء بنقل العلوم والمعارف المأثورة، إن أول نقل حدث في الإسلام كان بفضل خالد بن يزيد الذي عني بنقل علوم الكيمياء التي تناولت البحث في صناعة الكيمياء العملية، وحاول الحصول على الذهب بواسطتها، إذ كان مغرمًا بالمعرفة محبًا لها، فكلَّف اسطفانوس ويانوس (فلاسفة يونان) وغيرهم بترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية.(٢)

وفعلا تم نقل علم الكيمياء من اليونانية إلى العربية، وكان خالد يهدف إلى تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، وبذلك يكون أول من قام بنشاطات علمية في حقل الكيمياء معتمدا على المصادر اليونانية، غير أنه لم يؤمن بالعمل النظري ما لم يقترن بالتجارب والعمل المختبري، فعرف الطريقة التجريبية في أبحاثه، وله عدد من الكتب في هذا العلم منها كتاب الحرارات، وكتاب الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصغير، وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة.(٣)

---

(١) ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٧٩.

(٢) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٦١٧.

(٣) ابن النذيم، مصدر سابق، ص٤٣٠–٤٣٤.

ومن الإنجازات التي قام بها خالد بن يزيد تحلية مياة البحر، وكان ذلك في عصر عبد الملك بن مروان، فقد تذاكروا الماء بحضرة عبد الملك بن مروان، فقال خالد منه ما يكون من السماء، ومنها يستقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق، فأما ما يكون من البحر فلا يكون منه نبات، وأما النبات فإنه ما يكون من ماء السماء، ثم قال: إن شئتم أعذبت لكم ماء البحر، فأتى بقلال من ماء ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب.(١)

ثالثًا علم الهندسة:

علم الهندسة هو العلم الذي ينظر المقادير المتصلة، كالخط والسطح والجسم، وأما المنفصلة كالأعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية، مثل أن كل مثلث مجموع زواياه مثل قائمتين (أي مجموعها مائة وثمانين درجة)، ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا إلى غير نهاية، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان، ومثل أن الأربعة مقادير المتناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع.(٢)

ان المسلمين أخذوا الهندسة من اليونان بعد أن نقلوا تراثهم فيها، ودور المسلمين لم يقف عند النقل بل كان يتناول التصحيح والتجديد والابتكار.

---

(١) ابن عساكر، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، الجزء الخامس، هذبه: عبد القادر بدران، دار السيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩م، ص١٢٢.

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص ٥٣٧.

وقد تجلت الهندسة الإسلامية في جوانب العمارة المختلفة (كالقصور والمساجد والبيوت والحصون والقلاع) والنظريات الخاصة بالري وتوزيع المياه وكذلك في الزخرفة ذات الأشكال الهندسية.[١]

استعان الأمويون بمهرة الصناع والمهندسين من غير العرب، واستفادوا من خبراتهم وذلك لتقدمهم في ذلك المجال، فقد بعث الوليد إلى ملك الروم يطلب منه صُنَّاعا في الرخام وغير ذلك، ليستعين بهم على عمارة المسجد الأموي.[٢]

واستفادت من فنون الهندسة المعمارية ومن التقاليد القيمة القديمة التي كانت سائده حين ذلك من ساسانية وبيزنطية.[٣] إلا أن ذلك الأمر لم يمنعها من الاحتفاظ بالهوية العربية الإسلامية، فأخذوا منهم ما يتفق مع العقيدة الإسلامية، وابتكرت لنفسها عناصر معمارية وفنية خاصة بها. فلقد كانت زخارفهم مستمدة من المناظر الطبيعية والأشكال الهندسية والنباتية وتحاشوا التماثيل والصور المجسمة، لأنها محرمة عليهم حتى لا يتشبهوا بعبدة الأوثان.[٤]

تمثلت الهندسة المعمارية في العصر الأموي في بناء المساجد والقصور ونذكر منها:

---

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٦٠٩.

(٢) ابن كثير، مصدر سابق، الجزء التاسع، ص٩٦.

(٣) علي مولا، مرجع سابق، ص٥٧١.

(٤) أبوزيد شلي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤١٧هـ، ص٢٥٠.

- **مسجد قبه الصخرة:** بنى عبد الملك مسجد قبه الصخرة ببيت المقدس ويعتبر أقدم عمل في الهندسة المعمارية الإسلامية.[١]

يقول ابن كثير في وصفه "لم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس،[٢] فقد أولاه عبد الملك بن مروان عناية خاصة فجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس، وأنفق عليه الأموال الكثيرة، فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء، وفرشت بالرخام الملون، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل شيئا كثيرا، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء وغير ذلك شيء كثير".[٣]

- **الجامع الأموي:** بناه الوليد بن عبد الملك، ويعد الوليد من أكثر خلفاء بني أمية عناية بالبناء والعمران، فعصره من أزهى عصور بني أمية وأبركها، فقد روي (أن الناس إذا التقوا في زمانه يسأل بعضهم بعضا عن الأبنية والعمارات).[٤] ويعد الجامع من أعظم مفاخره، وقيل في الجامع من أنه أبدع ما أخرجته العمارة الإسلامية.[٥]

استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقا كثيرين من الصناع والمهندسين والعمال وكان المستحث على عمارته أخوه سليمان بن عبد الملك.

---

(١) خليل داؤود الزرو، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٢) ابن كثير، مصدر سابق، الجزء الثامن، ص٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٢.

(٤) محمد كرد علي، خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٣هـ، ص١٥٣.

(٥) توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، دار الكتب، ١٩٧٠م، ص٨١.

فقد روي عن الوليد بن عبد الملك أنه قال عندما انتهى من بنائه (يا أهل دمشق إنكم تفخرون على الناس بأربع، بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع)[١].

ومن القصور التي تنسب إلى الوليد بن عبد الملك القصر المعروف بقصر عمرة، كانت أرضية الغرف والقاعة تزدان بالفسيفساء التي تمثل زخارف نباتية، وغرف أخرى كانت مكسوة بالرخام وتزدان جدران الغرف بصور ملونة من النوع المعروف بالفريسكو.

أما القصور التي تمَّ بناؤها في البادية منها قصر المُشَتَّى الذي بناه الوليد الثاني، وكان القصر مزودا ببوابة واحدة يكتنفها على كل من الجانبين برج نصف دائري مطوَّل، ويزين الجدران الجانبية واجهة من النقوش الدقيقة حفرت زخارفها في الكسوة الحجرية حفرًا غائرًا. ومن القصور التي تنسب إلى هشام بن عبد الملك قصر خربة المفجر، وكان قصرًا شتويا تزدان جدرانه برسوم آدمية وحيوانية، وكان بلاطه من الفسيفساء تتجلى فيه رسوم نباتية تمثل شجرة الجباة الفارسية يحيط بها من اليمين صورة أسد ينقض على غزال، ومن اليسار غزالان بين أزهار، وكلها ملونة بألوان زاهية.[٢]

ومن المهندسين العرب الذين ظهروا زمن بني أمية عمر الوادي وكان زمن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك .[٣]

---

(١) ابن كثير، مصدر سابق، الجزء التاسع، ص٩٦.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص٤٣٤-٤٣٦.

(٣) خليل داؤود الزرو، مرجع سابق، ص١٩٥.

ولقد ساعدت الهندسة المعمارية في ظهور علم اَخر هو علم الخط وذلك للكتابة على المساجد وتزيينها بآيات من القرآن الكريم[١].

رابعًا علم الحساب:

علم الحساب هو صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد وهو الجمع، وبالتضعيف تضاعف عددا بآحاد عدد أخر، وهذا هو الضرب، والتفريق أيضا يكون في الأعداد إما بالأفراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح، أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة، وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد أو الكسر.[٢]

وفضلا عن العمليات الأربع التي أشار إليها ابن خلدون فقد عرف المسلمون حساب الجمل، فوضعوا لكل حرف من حروف الأبجدية رقما خاصا يقابله ويدل عليه كالآتي:

من أ– ط يقابلها من ١–٩ ومن ي– ص يقابلها من ١٠–٩٠ ومن ق–غ يقابلها من ١٠٠–١٠٠٠ وكانوا يرمزون إلى الأعداد التي تزيد على الألف بضرب الحروف مع بعضها مثل (بغ) = (٢٠٠٠) أي (٢×١٠٠٠).[٣]

ولقد ساعد على تطور هذا العلم وازدهاره في عصر بني أمية تعدد الدواوين في الدولة، واحتياج بعضها إلى الحساب في إدارة شؤونها، مثل ديوان الخراج وديوان الجند، وذلك بإحصاء كل ما يدخل إليها، ومن ثم تقسيمها على مستحقيها.

---

(١) ابن كثير، مصدر سابق، الجزء التاسع، ص٩٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة ، مصدر سابق، ص٥٣٤.

(٣) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٦٠٥.

ويظهر ذلك من خلال رسالة عبد الحميد الكاتب الذي كان على ديوان الرسائل مخاطبا معشر الكتاب في زمانه بقوله: "تنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج".[١]

وآخيرا يمكن القول أن علم الحساب من العلوم التي برع فيها المسلمون وأضافوا إليها إضافات كانت من جملة أسباب تطور هذا العلم في العصر الحديث.

خامسًا علم الفلك:

عرَّفه ابن خلدون بقوله: "علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية، كما يبرهن على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدبار، وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها، متحركة داخل فلكها الأعظم".[٢]

أطلق المسلمون على علم الفلك أسماء شتَّى، فقد أشتهر عندهم بإسم علم الهيئة، علم النجوم، وعلم صناعة النجوم.[٣]

---

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، ص٥٣٥.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص٥٣٩.

(٣)علي مولا، مرجع سابق، ص٥٠٤.

وقد اهتم القدماء بحركات النجوم والكواكب، وربطوا بين ذلك وبين معرفة الغيب فسموه علم التنجيم. والعرب من الأمم التي عنيت بالكواكب والنجوم ليهتدوا بها في الليل وسط الصحاري، فضلا عن اعتمادهم على القمر في تقويمهم.

ذكر الإسلام أن علم الغيب هي من أمر الله، ولكن كثيرا من حكام المسلمين وغيرهم اعتقدوا في التنجيم حتى أنهم اعتمدوا ذلك في أسفارهم وأعمالهم، وجعلوا المنجمين من ندمائهم.

لكن علماء المسلمين نفوا أن تكون هنالك صلة بين حركة الكواكب والإنسان وتأثيرها في الخير والشر عليه، وبذلك فرَّقوا بين علم الفلك والتنجيم، وأكد هؤلاء العلماء أن للكواكب فوائدها في تحديد المواقع على الأرض، ومعرفة القِبلة وحساب الأشهر والسنين، ومواقيت الصلاة والحج وغير ذلك.[١]

والتنجيم ليس بعلم معترف به، وإنما هو خرافة وهمية وضلالة عقلية عندما يفقد الإنسان الهداية الإلهية بانقطاعه عن الوحي الإلهي، فيأخذ الانسان بشعوره الفطري عن ربه الذي خلقه. أما الفلك فقد امتدحه علماء الدين لأهميته في الشريعة الإسلامية.[٢]

أفاد العلماء المسلمين من خبرات الشعوب في هذا المضمار بعد أن نقلوا كتبهم فيه، وتعاملوا مع هذا التراث المنقول بفاعلية، فصححوا الأخطاء وأضافوا معارف جديدة.[٣]

---

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٦١١.

(٢) سميه عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢١٩.

(٣) عبدالحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٦١١.

كان أول كتاب قام العلماء بترجمته في الفلك في أواخر العهد الأموي، وهو كتاب (مفتاح النجوم) المنسوب إلى هرمس الحكيم، وقد نقل إلى العربية عام (١٢٥هـ/٧٤٣م) وهذا يشير إلى أن المسلمين تطلعوا إلى علم الفلك في العهد الأموي، ولكن لم يدرس الدراسة العلمية المنظمة الجادة إلا في العصر العباسبي.(١)

شجع خلفاء بني أمية على تعلم هذا الفن، فقد أدخله معاوية بن أبي سفيان في منهجه في تأديب أبنائه، قال: لدغفل بن حنظلة عندما اختبر علمه "اذهب إلى يزيد فعلمه العربية وأنساب قريش والنجوم"،(٢) وتشير هذه الرواية على أن دراسة علم الفلك كانت موجودة منذ عصر معاوية بن أبي سفيان، وان كان تعلمه في نطاق ضيق، ويختص بفئة معينة. هذا ولقد توارث خلفاء بني أمية هذا المنهج في تعليمهم لأبنائهم ويظهر ذلك من خلال وصية هشام بن عبدالملك لمؤدب ابنه سليمان الكلبي بقوله: "خذه بعلم نسبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليل ولا كثير، وعلِّمه منازل القمر...".(٣)

سادسًا علم الجغرافيا:

هو علم يتعرف منه على أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من الكرة الأرضية، وعروض البلدان الواقعة فيه، وأحوالها، وكذلك عدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها، إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمور.(٤)

---

(١) سمية عبد الماجد بشر، مرجع سابق، ص٢١٨.

(٢) ابن عساكر، مصدر سابق، الجزء الحادي عشر، ص٢٩٢.

(٣) السجستاني، مصدر سابق، ص١٣٧.

(٤) عمر فروج، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم، بيروت، ١٣٩٠هـ، ص١٩٢.

ويمكن اجمال الأسباب التي أدت إلى اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا بالآتي:

- اتساع رقعة الدولة الإسلامية، مما دفع الخلفاء للعناية بعلم الجغرافيا لمعرفة أرجاء دولتهم والطرق المؤدية لها، ليكونوا على صلة بها.
- حاجة الدولة إلى معرفة الطرق التي تربط بين أرجاء الدولة، وذلك لتحديد طرق الحج ومحطات البريد والتجارة ومسار عمَّال الخراج والزكاة وغيرهم.
- ارتباط علم الجغرافيا بالفلك من أجل معرفة مواعيد الصلاة والصيام والحج.
- إطلاع العرب على كتب الجغرافيا المترجمة إلى العربية وأشهرها (كتاب السندهند).
- انتشار ظاهرة الترحال في طلب العلم والتجارة والدين والتعرف على البلدان والشعوب.[١]

والجدير بالذكر أن علم الجغرافيا لم يكن تخصصا مستقلا في ذاته في تلك الفترة بل كان يذكر غالبا مع العلوم التاريخية، فقد كان معاوية بن أبي سفيان يستمع إلى أخبار العرب والعجم وحروبهم، ومن جملة هذه الأخبار وصف البحار والأنهار والمساكن والأماكن.[٢]

سابعًا علم الكلام:

عرَّفه ابن خلدون: بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين عن اعتقادات مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد

---

(١) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٨٩.

(٢) المسعودي، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٤٠.

الإيمانية وهي التوحيد.[1] وكان المشتغلون بعلم الكلام يسمونهم المتكلمين، كما يعرف علم الكلام بعدة أسماء منها علم الفقه الأكبر، وعلم أصول الدين، وعلم التوحيد والصفات، وعلم النظر والاستدلال.

فعلم الكلام قد خاض فيه كثير من المتكلمين وأظهروا ابداعاتهم، ومن أخطر المسائل التي خاض فيها المتكلمون هي مسائل "كلام الله" التي تجاوز الأمر فيها حد المناظرة وتبادل الرأي، إلى الفتنة والقتل والسجن.[2]

هنالك عدة أسباب مهدت لظهور علم الكلام، منها خطأ المتكلمين في فهم بعض آيات القرآن الكريم والتي تتناول قضايا العقيدة، فقد وردت آيات تصف الله سبحانه وتعالى بصفات معينة كالسمع والبصر والكلام والاستواء والنزول إلى سماء الدنيا، وآيات أخرى تنزهه سبحانه وتعالى من مشابهة المخلوقات، وذلك بسبب إختلاط المسلمين بأصحاب الديانات الأخرى نتيجة الفتح ووقوفهم على ديانات وحضارات الأمم المفتوحة، ودخول كثير من أصحاب تلك الديانات والحضارات في الإسلام فأدخلت طوائف من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم في أذهانهم كثيرا مما في هذه الديانات من مشكلات، فكان من الطبيعي أن يفكروا في الحقائق الإسلامية في ضوء اعتقاداتهم القديمة، وأثاروا بين

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص٣٧٣.

(٢) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢١١.

المسلمين ما كان يثار في دياناتهم من مشكلات عن الكلام في الجبر والاختيار، والصفات التي يتصف بها الخالق، وغير ذلك من المشكلات.[١]

والخلاف السياسي كان من أسباب ظهور علم الكلام حيث ارتبط بالنزاع السياسي القائم في ذلك العصر، وكانت أخطر مسألة سياسية هي مسألة الإمامة أو الخلافة، إذ أن الخلافات السياسية الحادثة في صدر الإسلام قد ارتبطت بالدين وعقائده ارتباطًا وثيقًا، وترتب عليها انقسام المسلمين إلى فرق متباينة خائضة في البحث في العقائد على نحو جدلي خلافي، فكان هذا من أهم العوامل التي عجلت بظهور علم العقائد أو علم الكلام عند المسلمين[٢].

شهد العصر الأموي عددا من الحركات الفلسفية الدينية كالمرجئة، القدرية، المعتزلة الجبرية وغيرهم، فالمرجئة تقول بتأجيل الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة، فالله هو الذي يحكم على أعمال العباد، وليس للعباد أن يحكم بعضهم على أعمال بعض. أما القدرية وهم القائلون بالقدر بمعنى القدرة، أي قدرة الإنسان على اكتساب أعماله، وهم منكرون للقضاء والقدر، وأول من وسع القول في القدر غيلان الدمشقي.

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة (٩٩هـ/٧١٧م)، استدعى غيلان واستتابه من القول بالقدر وبخلق القرآن وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه، فأظهر غيلان التوبة بعد أن أمر عمر بن العزيز بقتله إن لم يكف عن القول بذلك كله.

---

(١) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢١٢.

(٢) أبو الوفا الغنيمي الثفتازاني، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ص١٩.

فلما توفي عمر سنة (١٠١هـ/٧٢٠م) وجاء يزيد بن عبد الملك وكان صاحب لهو ولذَّات، عاد غيلان إلى ما كان يقول به، فلما مات يزيد وخلفه أخوه هشام سنة (١٠٥هـ/٧٢٤م) أمر هشام بقتل غيلان.[١]

اما الجبرية وهي التي تذهب إلى القول بأن إرادة الله تعالى مطلقة، وقدرته تضع حدا لإرادة الإنسان، والإنسان مجبر لا اختيار له ولا قدرة، وان الله يخلق في الانسان الأعمال والأفعال ولا قدرة للإنسان على تغييرها.

أما المعتزلة تقول بعدم تكفير مرتكب الكبائر واعتباره في منزلة بين المنزلتين،أي بين المؤمن والكافر.[٢] والمعتزلة تعد من أعظم مدارس الفكر والكلام في الإسلام، وكانت أسرع الفرق للاستفادة من الفلسفة اليونانية وصبغها بصبغة إسلامية، والاستعانة بها في نظرياتهم وجدلهم، وهم أشهر من استخدم الفلسفة وعلم الكلام، وتسلحوا بسلاح خصومهم في الدين، لأن هؤلاء الذين أسلموا من الديانات الأخرى كانت رؤوسهم مملوءة بعلوم أديانهم القديمة. إذن المعتزلة هم أول من وضع أساس هذا العلم، بزعامة إمامهم ورئيسهم واصل بن عطاء (١٣١هـ/٧٤٧م) ثم ظهر من بعده نوابغ المتكلمين، فالمعتزلة لهم آراؤهم التي تخالف الفرق الأخرى، فقد حاولوا إخضاع جميع قضايا الدين للعقل، حتى تلك التي لم تجر العادة بإخضاعها له، وسموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد.[٣]

---

(١) صلاح طهبوب، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٩٦.

(٣) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢١٣.

وقد اضطهد بنو أمية بعض هذه الفرق كالمعتزلة، بينما ذهب بعض الخلفاء مذهبهم مثل يزيد بن الوليد ومروان بن محمد الجعدي الذي أخذ هذا الإسم من مؤدبه الجعد ابن درهم المعتزلي، والحقيقة أن هذا التعليم وهذه الأبحاث الفلسفية لم تصل إلى درجة القواعد المنظمة والعلوم المميزة خلال العصر الأموي.(١)

حركة الترجمة والتعريب:

الترجمة هي نقل من لغة إلى ما يقابل النص أو المصطلح العلمي باللغة العربية، وأما التعريب فإنها محاولة نقل الكلمات أو المصطلحات من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية مع تحويرها نطقا لتلائم النطق العربي.(٢)

تعود الجذور الأولى لحركة الترجمة عند المسلمين إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كلف بعض الأصحاب بتعلم اللغات الأخرى، فقد ورد أنه طلب من زيد بن ثابت ان يتعلم لغة اليهود.(٣)

اما في العصر الأموي فبدأت حركة الترجمة والنقل مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان وكان محبا للإطلاع على سياسات الملوك وسيرهم، وكان لديه من ينسخون له الكتب التي يبدو أنها كانت مترجمة عن اللغات اليونانية واللاتينية، كذلك الصينية على أثر تسلمة لهدية من ملك الصين، كانت كتابا ترجم في عهده أو بعيد عهده.

---

(١) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢١٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣٨.

(٣) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٩٣.

ثم تتواتر الروايات حول خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان،[١] الذي ورث عن جده معاوية مكتبة غنية، كما تلقى علوم الأوائل على يد معلمه ماريو حنا الدمشقي ويسمى أحيانا مريانوس.

وقد ترجم مريانوس لخالد بن يزيد، وترجم له أيضا راهب آخر عن اليونانية يقال له اصطفن الحصرى أو القديم كتبا أخرى، وترجمت له بعض الكتب عن الفارسية على يد جبلة بن سالم.[٢]

ويذكر أن أول ما تُرجم لخالد بن يزيد هو كتاب: مفتاح النجوم أو مفتاح أسرار النجوم لهرمس الحكيم الفيلسوف.

وهنالك تفاوت في اطلاق الأحكام القاطعة في هذا المجال، فربما ذهب البعض إلى أن خالد بن يزيد يعد أول عربي مسلم فكر بالنقل والترجمة، بل ربما عده بعض الباحثين المؤسس الأول الذي وضع حجر الأساس لظاهرة النقل والترجمة في العالم الإسلامي، وبهذا تغفل الجهود التي سبقته على عهد جده معاوية أو عهد الخلفاء الراشدين.

وربما كان هذا هو الحال إذا قيل: أن ظاهرة النقل والترجمة قد انتظمت في عهده وزاد الناقلون على ما كان عليه الأمر من قبل، فخالد بن يزيد لم يصدر عنه هذا التوجه من فراغ، بل لعله خضع في تربيته ومجالس أبيه وجده لما جعله ينصرف إلى العلم والحكمة والأدب، فاستطاع أن ينقل الكثير من الكتب في الطب والفلك والفلسفة والصنعة، وجعلها

(١)علي بن ابراهيم، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٩٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٦.

متاحة في أماكن خاصة (خزائن الكتب المكتبات) يرتادها المهتمون والدارسون، واستقدم مجموعة من النقلة لترجمة بعض الكتب عن اللغات السريانية والقبطة والفارسية واليونانية من مصر وغيرها.[١]

ومن هنا يمكن القول أن مكتبة معاوية بن أبي سفيان بدمشق يمكن أن تعد المركز الأول من مراكز التعريب أو النقل أو الترجمة إلى اللغة العربية، وأن خالد بن يزيد قد طور هذه المكتبة، وأنشأ فيها حركة النقل للكتب الأجنبية، وترجمتها إلى اللغة العربية، وجمع لها العلماء في مجالات شتى، فأعطى بيت الحكمة في دمشق طابعه الخاص.[٢]

وهنالك إشارات عن جهود ترجمية في أيام مروان بن الحكم في الطب، وأخرى نسبت إلى عمر بن العزيز الذي اعتمد على عبد الملك بن أبجر في الطب، وهو من علماء مدرسة الاسكندرية، كما قام هذا الخليفة بنقل تدريس الطب من الإسكندرية إلى كل من حران وانطاكيا سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) بسبب نشاط هذه المراكز الثقافية،[٣] كما أمر عمر بن عبدالعزيز ماسرجرية بنقل كتاب في الطب (الكناش) إلى اللغة العربية، وقد امتدح شعراء الكوفة طبه في شعرهم.[٤] وتستمر ظاهرة النقل والترجمة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك فيترجم له أكثر من كتاب، وينقل له كتاب في السياسة عن الفارسية في تاريخ الدولة الساسانية وكتب في البيزره منها ما نسب إلى خاقان، ملك الترك. وكان لديه من

---

(١) علي بن ابراهيم، مرجع سابق، ص٩٧-٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٠-١٠١.

(٣) عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص٥٩٣.

(٤) سميه عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢٤١.

يترجم أو يراجع الترجمات، مثل أبي العلاء سالم بن عبد الملك، ونقل له من رسائل أرسطوطاليس إلى الإسكندر، وله مجموع رسائل وقد ترجمها عن اليونانية.[١]

وظهر في أواخر الخلافة الأموية مترجمون منهم عبد الله بن المقفع، وقد نقل كثيرا من كتب الفرس، وحسان بن أبي سنان وكان يكتب باللغة العربية والفارسية وترجم كتابا اسمه عرض مفتاح النجوم، منسوب إلى هرمس الحكيم، وهو يتعلق بسنى العالم وما فيها من أحكام النجوم.[٢]

لم تتقدم حركة النقل في العصر الأموي وبرجع ذلك لعدة أسباب منها: انهم عكفوا على شؤون الرئاسة والحكم، واهتم نفر قليل منهم بالحركة العلمية[٣] وأيضا يرجع ذلك لقلة الذين يتقنون اللغات آنذاك.[٤]

نُظِر إلى ظاهرة النقل والترجمة في هذا العهد على أنها محاولات فردية ولم تتخذ شكل حركة علمية منظمة كتلك التي حدثت في العصر العباسي.[٥]

أما في التعريب فقد جاءت عملية تعريب الدواوين ضمن الخطة المرسومة لسياسة الدولة الإصلاحية التي بدأها الخليفة عبد الملك بن مروان، وأكملها الخلفاء الذين جاءوا من بعده والتي تضمنت نقل الدواوين من اللغات الأجنبية، الفارسية، واليونانية، والقبطية

---

(١) علي بن ابراهيم، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) حربي عباس، حسان حلاق، العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ص٢٤٦.

(٤) سمية عبد الماجد بشير، مرجع سابق، ص٢٤١.

(٥) علي بن ابراهيم، مرجع سابق، ص١٠٩.

إلى اللغة العربية لإزالة النفوذ الأجنبي من مؤسسات الدولة الإدارية والمالية، وعملية التعريب التي ابتدأها عبد الملك بن مروان تعتبر من الأحداث العظيمة والجليلة التي قام بها وفق خطة شاملة، فتعريب الدواوين وخاصة ديوان الخراج بعد تهيئة موظفين عرب أكْفاء لاستلامه، فتم نقل ديواني الشام والعراق في أيامه، بينما بقي ديوان مصر حتى أيام الوليد.[١]

عمد عبد الملك بن مروان إلى تعيين سليمان بن سعد الخشني على ديوان الشام وكلفة بنقل الديوان إلى اللغة العربية، وكذا فعل الحجاج بن يوسف الثقفي حينما طلب من صالح بن عبد الرحمن تعريب ديوان العراق، وكل من سليمان وصالح يجيد اللغة العربية بجانب إجادته لغة الديوان، فقام بتعريبه عن اللغة اليونانية في الشام، وعن اللغة الفارسية في العراق.

طغى هذا الاهتمام بالتعريب على حياة الخليفة، هذا بالإضافة إلى تعريب العملة وسكها، ونقشها، وقد عمد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى ذلك، بسبب (تهديد قيصر له بأن ينقش على الدنانير التي يتداولها أهالي دار الإسلام ما يكره عن النبي "ص").[٢]

استمر الوليد بن عبد الملك على خطى أبيه عبد الملك بن مروان في تعريب الدواوين وتعريب الدولة.[٣]

---

(١) جليلة عبد الله حسين، نظم الحكم والإدارة في عهد عبد الملك بن مروان، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، ٢٠١٥م، ص٤٦-٤٧.

(٢) علي بن ابراهيم، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٠٣.

وكانت من نتائج تعريب الدواوين الثقافية حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، حيث كانت حركة تعريب الدواوين أول عملية ترجمة منظمة أدت إلى نقل كثير من المصطلحات الأجنبية، وظهر من اهتم بالترجمة مثل خالد بن يزيد كما ذكرنا سابقًا.[١]

(١) جليلة عبد الله حسين، مرجع سابق، ص٤٩.

المبحث الثالث

النشاط الأدبي في العصر الأموي

بلغت الفنون الأدبية مستوى رفيعا من النضج والنماء في العصر الأموي وهي: الشعر والنثر، وذلك لتضافر الكثير من العوامل.

أولًا الشعر:

الشعر هو الكلام الموزون المقفَّى المعبِّر عن الأخيلة البديعة، والصور المؤثرة البليغة.[١]

اختلفت الحياة في العصر الأموي وتشابكت الأمور وتشعبت وتعقدت كثيرا، فقد نشأت تيارات مختلفة منها السياسية والدينية والقبلية وتبعًا لهذا نشأت التيارات الشعرية المختلفة والتي تعبر عن واقع هذه الاختلافات، بما فيها الأحزاب ومجريات أمورها وأهدافها ومبادئها، وما تدعو إليه وتشحذ الناس إلى هذا الطرف أو ذاك ويعزى ذلك لإختلاف وجهات النظر لدى الشعراء، وطرق معيشتهم، والصراع بينهم، والصراع بين الأحزاب والقبائل والمذاهب فيما بينها وبين الأخرى المتنافسة معها. ويمكن إجمال اتجاهات الشعر الأموي أو التيارات التي أثرت فيه بما يلي:

١. **التحزب السياسي:** نتيجة لظروف الدولة الأموية، وتكوين نظام الحكم فيها، واتساع رقعتها الجغرافية كثيرًا، فقد ظهرت الأحزاب السياسية وكانت منها أربعة أحزاب رئيسية هي:

---

(١) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص ٢٨.

- **الحزب الأموي:** وهو الحزب المناصر للدولة ومجريات سياستها، والحزب هم الخلفاء والمناصرون لهم، وحاشيتهم وشعراؤهم وأدباؤهم، وغيرهم الذين يعيشون في كنفهم.
- **الحزب العلوي:** وهو الحزب الذي كان يرى أن الخلافة يجب أن تكون في البيت العلوي.
- **الحزب الزبيري:** وهذا الحزب نظرته أن الخلافة في قريش وليست حكرًا على العلويين.
- **حزب الخوارج:** الذين يرون أن الخلافة حق لجميع المسلمين لا فرق بين مسلم وآخر.

ولكل حزب من هذه الأحزاب أو لكل جماعة من هذه الجماعات شعراؤهم والناطقون بإسمهم.[١]

٢. **التعصب القبلي:** حضَّ الإسلام على نزع العصبية القبلية من الصدور، وجعل الولاء لله وللرسول ولكن بعد وفاة الرسول صلي الله عليه و سلم ظهرت من جديد، وبلغت ذروتها أثناء الحكم الأموي، وكان للخلفاء يد في ذلك لغرض إبعاد الناس عن سياسة الدولة وانشغالهم في مثل هذه الأمور، وأصبح لكل قبيلة شعراؤها حيث يذودون عنها ويردون على شعراء القبيلة المناهضة لها، ويفخرون عليهم.

٣. **انتشار الثقافة:** لقد نشأت في العصر الأموي حركة ثقافية كبيرة وواسعة وانتشرت المعرفة بين طبقات المجتمع، وكان لإزدهار الحركة الثقافية أثره العظيم في سير اتجاه

(١) فالح نصيف الحجية الكيلاني، الموجز في الشعر العربي، الجزء الأول، مركز النور، عمان، الأردن، ص١٨٣.

الشعر وتطوره، كانت الثقافة الأموية مكونة من ثقافات جاهلية قبلية وإسلامية، وثقافة مختلطة نشأت من تأثير الأجانب أو الأعاجم من الشرق والغرب والذين فُتحت بلادهم وأصبحوا تحت سيطرة الحكم الأموي، حيث طوروا الأساليب الثقافية وفق احتياجات الدولة والمجتمع، الذي سما إلى الرقي والتوسع في المعرفة، ومن ذلك تعريب الدواوين الحكومية، والمكاتبات الرسمية، وصك العملة الأموية، والتمازج الثقافي بين اللغات الفارسية والهندية والرومانية من جهة، واللغة العربية من جهة أخرى، وتفتح أذهان المثقفين من الشعراء، وكل ذلك انعكس ايجابا على معاني وأساليب الشعر في هذا العصر.

٤- **الحالة المعيشية:** إن انتعاش الحياة المعيشية في الدولة الأموية وازدهارها، وظهور كثرة الموارد والأشغال أدت إلى الترف وانحسار شظف العيش، وخاصة في دواوين الدولة عند الخلفاء والأمراء، فبنيت القصور على غرار ما هو موجود في الأمم المجاورة، وانتشر اللهو وظهر الترف.[١] وكان لهذا الأمر تأثيره العظيم في الشعر الأموي، حيث نشط شعر الغزل الحضري في الحجاز وخاصة في المدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف، وظهر الغزل البدوي (العذري) وكذلك اتسعت معالم الشعر الخمري ومجالسه، والشعر الوصفي، نتيجة اختلاط العرب بالأمم الأخرى كالفارسية والرومانية.[٢]

(١) فالح نصيف الحجية، مرجع سابق، ص١٨٤-١٨٦.

(٢) فالح نصيف، أمير البيان العربي، موسوعة شعراء، المجلد الثالث، الجزء الأول والجزء الثاني، مؤسسة النور الثقافية، ص١٤.

الأغراض الشعرية في العصر الأموي:

الأغراض الشعرية في العصر الأموي انقسمت إلى أغراض قديمة وأغراض وجديدة نذكرها فيما يلي

١. **الأغراض القديمة:** هي التي بقيت على حالها منذ العصور السابقة، أو بزيادة وتوسع وهي:

- **المدح:** هو من الفنون التي توسعت في هذا العصر، فقد بالغ الشعراء في المديح متأثرين بالتيارات السياسية والتحزب والتعصب القبلي، أو الطمع في التكسب من الشعر لدى بعض الشعراء. والمديح إما أن يكون حزبيا فيعبر عن رأي وعاطفة الشاعر بصدق

تجاه ما يحمل من أفكار ومفاهيم، أو قبليا بأن يدافع الشاعر عن عصبيته وقبيلته، ومن ذلك قول الشاعر الكميت الأسدي في مدح بني هاشم حيث يقول:

بنى هاشم رهط النبي فإنني * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب**

فمـــا لي إلا أحـــمد شيـــعة * ومالي إلا مذهب الحق مذهب**[1]

أو كان مدحا عن طمع في تكسب، ومثال ذلك قول الفرزدق للخليفة عبد الملك بن مروان:

أرى الثقلين الجن والأنس أصبحا * يمدان أعناقا إليك تقرب**

ومـــــا منهمـــــا إلا يرجو كرامة * بكفيك أو يخشى فيهرب**

(١) فالح نصيف الحجية، مرجع سابق، ص١٨٨.

وما دون كفيك انتهاء لراغب * ولا لمناه من ورائك مذهب**[١]

- **الفخر:** وهو شعر الحماسة حيث يفخر المرء بنسبه وحسبه وقبيلته، والفخر في الحقيقة هو المديح نفسه ولكن الشاعر يخص نفسه وقومه، ومثال ذلك قول الأخطل:

إذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا**[٢]

- **الهجاء:** هو فن الشتم والسباب، وهو نقيض المدح،[٣] يكتب عندما يريد الشاعر أن يعبر عن سخطه واشمئزازه من شخص آخر، وله أنواع منها الهجاء الفردي، والهجاء الجماعي الذي يوجه إلى جماعة من الناس، فقد تكون هذه الجماعة قبيلة، والهجاء الخلقي يتناول العيوب الجسدية والعاهات. والهجاء السياسي، وفي العصر الأموي ازدهر هذا الفن بسبب كثرة الجماعات المناوئة لحكم الأمويين من الخوارج والأنصار وغيرهم[٤] ومثال ذلك قول الأخطل في هجاء الأنصار:

ذهبت قريش بالسماحة والندى * واللؤم تحت عمائم الأنصار**

فذروا المعـــالي لستم من أهلها * وخذوا مساحيتكم بنى النجار**[٥]

ومنه الصراع الذي أدى إلى انقسام العرب إلى يمانية ومضرية، وفيه يقول الشاعر الطرماح بن الحكيم في هجاء بنى تميم:

---

(١) فالح نصيف، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١٧١.

(٣) خالد يوسف، الهجاء عند جرير والفرزدق، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ص١١.

(٤) ويكبيديا الموسوعة الحرة، الهجاء (شعر)، عن طريق الإنترنيت الشبكة العنكبوتية.

(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص٤٨٤.

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم فلت**

ولو أن برغوثـــا على ظهر نملة * يكر على صفي تميم لولت**[1]

- **الرثاء:** هو تجسيد البكاء والحزن على الميت في أبيات مرصعة ببليغ الكلمات المعظمة للميت، ومن أشهر شعراء الرثاء الأخطل وجرير وليلى الأخيلية التي تقول في رثاء صاحبها المتوفى:

لعمرك ما الموت عار على الفتى * إذا لم تصبه في الحياة المعابر**

ما أحد حي وإن عاش سالمـــــًا * بأخلـــــد ممن غيبته المقابـــــر**[2]

- **الوصف:** وبالرغم من الترف والنعيم الذي كان يحيط بالشاعر الأموي، ويوفر له بيئة خصبة للوصف، إلا أنه ظل يسير على منوال الجاهليين من حيث النماذج والأساليب، حيث أن الخلافات السياسية واندلاع الثورات ورواج سوق الشعر السياسي أضعف من اهتمام الشاعر الأموي بالوصف، وقد أغمض الشاعر الأموي عينيه عن حضارة عصره الجديدة، وراح يلتفت إلى ما في باطنه من البيئة الجاهلية الصحراوية، إذ عاش بجسده في البيئة الجديدة التي احتضنته، وعاش في خياله في البيئة الجاهلية التي ظل يحن إليها.[3]

---

(١) فالح نصيف، مرجع سابق، ص١٩٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٩١.

(٣) هبه ابراهيم منصور اللبدي، الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ص٣٠.

لقد وصف الشعراء الأمويون كل ما وقع تحت بصرهم، وكل ما جال في خاطرهم، فوصفوا البيئة الصحراوية الجاهلية وتحدثوا عن الأطلال، وتوقفوا عندالإبل ووحوش القفار، واستعادوا بتلك الأوصاف معاني الجاهليين وصورهم. ومن أشهر شعراء الوصف ذي الرمة (شاعر الحب والصحراء) فهو يصف إحدى المغارات في الليل فيقول:

وتيهاء تودي بين أرجائها الصبا * عليها من الظلماء جل وخندق**

ومقابل وصف الصحراء نجد وصفا للرياض الجميلة فيقول الأخطل:

ماروضة خضراء أزهر نورها * بالقهر بين شقائق ورمال**

يهيج الربيع لها فجاد نباتها * ونمت بأسحم وابل هطال**[1]

٢. الأغراض الجديدة:

شهد هذا العصر من الأحداث والتطورات ما أدى إلى ظهور بعض الأغراض المستحدثة في الشعر الأموي، وقد حمل لواء كل غرض منها جماعة من الشعراء وكونوا اتجاها خاصا بهم. ومنها ما يلي:

١- **الشعر السياسي:** قد نشأ هذا النوع كرد فعل للصراع السياسي والتنازع بين الأحزاب، ومنها الأحزاب أو الحركات الأربع التي ظهرت في هذا العصر كما ذكرنا

(١) هبه ابراهيم منصور اللبدي، مرجع سابق، ص٣١-٣٢.

سابقا، وقلنا أن لكل حزب شعراؤه الذين يدافعون عنه، وهؤلاء الأحزاب الذين أشرنا اليهم بأسمائهم هم: الحزب الأموي، العلوي، الخوارج، والزبيريون.[١]

- **الحزب الأموي:** هو حزب الدولة وكان جمهور شعرائه فخما، وكانت الدولة تنثر أموالها عليهم نثرا، ينثرها الخلفاء والولاه ويكفى أن نشير إلى ما أخذ جرير من عبد الملك في قصيدته الحائية حين أنشدها بين يديه، وإذ يقال أنها ستذيع على كل لسان لجمال موسيقاها، ومن أشهر شعراء هذا الحزب جرير والفرزدق والأخطل والعرجي وغيرهم من شعراء بني أمية، فهم أشبه ما يكونون بالصحف في عصرنا، أو وسائل الإعلام، فهم الذين يسجلون أعمال الدولة ومناقب الخلفاء، ويذيعونها في الأمة فتشيع بين الناس، ولذلك أجزل لهم الأمويون في العطاء، فهم دعاتهم وسط الشعب.[٢] يقول الأخطل في مدح الخليفة عبد الملك:

نفسي فداء أمير المؤمنيــن إذا * أبدى النواجذ يوما عارم ذكر**

الخائض الغمرة الميمون طائره * خليفة الله يستسقى به المطر**[٣]

- **الحزب العلوي:** كانوا يرون أن ترد الخلافة إلى آل البيت حتى يحققوا العدل الذي طال انتظاره بين الرعية، وينحوا عنها الظلم الذي انتشر في كل مكان، وكانوا يرون الهاشميين أحق الناس بها لأنها ميراثهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم.[٤]

---

(١) علي الخطيب، دراسات أدبية في عصر بني أمية، دار المعارف، ص٣٦.

(٢) شوقي ضيف، الشعر وطوابعه على مر العصور، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١١١٩هـ، ص٣٨.

(٣) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١٦٣.

(٤) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٣٥.

وكان من شعرائهم الكميت الأسدي الذي هجا البيت الأموي والخلافة الأموية قائلا:

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم *** **فحتى متى العناء المطول**

رضوا بعقال السوء من أمر دينهم *** **فقد ايتموا طورا عداء أو اثكلوا**

تحل دماء المسلميــــن لديـــهم *** **ويحرم طلع النخــلة المتهــدل**(١)

- **حزب الخوارج:** وكان ينادي بأن لا تقصر الخلافة على قريش بل ترد إلى الأمة لتختار بنفسها أكفأ أبنائها، فتتحقق بذلك المساواة ويتحقق العدل الذي حرمت الرعية منه، إذ يتولى الخلافة خير الأمة ورعًا وتقوى، ولو كان عبدًا حبشيا، وذهبوا إلى أن الجماعة الإسلامية برضائها عن الخلفاء الأمويين قد ضلت الطريق، ومن شعراء هذا الحزب الطرماح وزوجته أم حكيم.(٢) قال الطرماح:

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له *** **إن لم أفز فـــوزة تنـجي من النار**

والنار لم ينج من روعاتها أحـد *** **إلا المنيب بقلب المخلص الثاري**

أو الذي سيقت من قبل مولـده *** **له السعـادة من خلاقــها البـــارى**(٣)

- **الحزب الزبيري:** وهم اتباع عبد الله بن الزبير الذي أقام أمارته في مكة المكرمة وما حولها، وأتباع أخيه مصعب بن الزبير الذي أقام أمارته في البصرة وحكمها لعدة سنين، وقد ظهر هذا الحزب بعد مخالفة إبني الزبير عبد الله ومصعب لمعاوية على وراثته للحكم، وتجمع حولهما الكثير من القبائل العربية التي تؤيد رأيهما، وقد ظل

---

(١) فالح نصيف، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٢) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٣٧.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص٥٩٠.

هذا الحزب سريا بادئ ذي بدء في عهد معاوية، وأصبح جهريا في زمن ابنه يزيد. وقد استقل عبد الله بن الزبير في الحجاز وجعل أخاه مصعب حاكما في بصرة العراق، ودام حكمه عشر سنوات، ولم تكن لهذه الفئة مبادئ معينة إلا أن تكون الخلافة مطلقة ولا تكون في البيت الأموي فقط، ومن أشهر شعراء هذا الحزب الشاعر الكبير عبد الله بن قيس الرقيات، ومن شعره:

حبذا العيش حين قومى جميع *** **لم تفرق أمورها الأهواء**

أيـــها المشتـــهي فناء قريش *** **بيد الله عمـــرها والفناء**

إنما مصعب شهـــاب من الله *** **تخلت عن وجـــهة الظلمـــاء**(1)

٢- الغزل:

الغزل غرض قديم قدم الشعر العربي، وقد كان الجاهليون يستفتحون به قصائدهم بهدف جذب القلوب واستمالة الأسماع. وقد عرف هذا العصر نوعا من الغزل يأتي في بدء القصائد على سبيل التقليد للأقدمين، والآخر يأتي في قصائد مستقلة.(2) حيث ظهر في هذا العصر غرضان شعريان مستقلان هما:

- **الغزل العذري:** وهو الشعر الذي يتغزل فيه الشاعر به بصفات محبوبته المعنوية وكانت هذه القصائد تحكي واقع الشعراء مع محبوباتهم، فهي لم تبن على الخيال أو الصورة الشعرية التخيلية، وقد كان هذا الشعر مشهودا عند الفقراء الذين عاشوا في

---

(١) فالح نصيف، مرجع سابق، ص١٩٨-١٩٩.

(٢) علي الخطيب، مرجع سابق، ص٣٤.

القرى بعيدا عن العبث والمجون، فقد تمسكوا بموروثاتهم وعادات قبائلهم، ومن أشهر شعراء الغزل العذري جميل بثينة وكثير عزة وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح.[1] ويقول الأخير في محبوبته لبنى:

وكنا جميعا قبل أن يظهر الهـوى * بأحسن حالى غبـطة وسرور**

فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهدى مقلوبة لظهور**[2]

- **الغزل الحضري (الصريح):** هذا الغزل كان يختلف عن الغزل العذري وكان يوجد في شباب المدينتين الكبيرتين: مكة والمدينة، وهو شباب مترف لم يكن يعرف العذاب والألم في الحب، فحبه حب متحضرين وكأنه فن أو لون من ألوان الحضارة والترف.[3] وخير من يمثل هذا الغزل عمر ابن أبي ربيعة ومن على شاكلته من رفاقه شعراء مكة والمدينة اللذين أترفتهم الحضارة الأجنبية الداخلة حديثا في مواطنهم، وينبغي أن نفرق بين هذا النوع من الغزل الحسي الصريح الناشيء عن الترف وبين الغزل الجسدي الذي تمليه الغريزة النوعية والذي يشترك فيها الحيوان والإنسان، وبدون ريب لم تعرف المدينتان المقدستان في العصر الأموي هذا النوع من الغزل، إنما عرفت الغزل الذي يصوره غزل عمر بن أبي ربيعة في مثل قوله:

---

(١) علا العناتي، من مظاهر التجديد في الشعر الأموي، موضوع أكبر موقع عربي بالعالم، ٧ أغسطس٢٠١٦م، عن طريق الأنترنت الشبكة العنكبوتية.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص٦٢٨.

(٣) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٥٠.

ليت هندا أنجزتنا ما تعد * وشفت أنفسنا مما تجد**

واستبدت مره واحدة * إنما العاجز من لا يستبد**

ولقد قالت لجارات لها * ذات يوم وهي تبترد**

أكما ينعتى تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد**

فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود**

حسدا حملنه من حسنها * وقديما كان في الناس الحسد**(١)

- **الغزل التقليدي:** هي أبيات في الحب والغزل يفتتح الشاعر بها قصيدته، وسمي تقليديا لأنه استمرار لغزل الجاهليين وصدر الإسلام، وفيه يتغزل الشاعر بمن يحب، وفي أكثر الأحيان يذكر إسما لحبيبته، ويذكر ساعات اللقاء وأيام الجفاء وألم الحب ولوعة الهوى والفراق كسياق عمل في افتتاح قصيدته، ومن أهم الشعراء فيه فحول شعراء ذاك العصر جرير والأخطل والفرزدق وغيرهم. ومما قاله جرير في الغزل هذين البيتين ويتمثل فيهما أفضل ما قيل في شعر الغزل في الشعر القديم أو الحديث، اذ لم يأت شاعر بمثلهما:

إن العيــون التي في طرفهــا حورٌ * قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا**

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا**(٢)

---

(١) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٥١.

(٢) فالح نصيف، مرجع سابق، ص١٩٥.

٣- **الخمريات:** هي من الفنون الشعرية التي توسعت كثيرا، فهي غرض من أغراض الشعر العربي التي كانت معروفة في الجاهلية، إلا أن الإسلام حرَّم الخمر والقول فيها فامتنع شعراء صدر الإسلام من القول فيها وحتى عن ذكرها في أشعارهم وقصيدهم، ومن المفترض أن تهجر نهائيا طالما حرمها الإسلام إلا أنها ظهرت في العصر الأموي مجددا لقلة حدة الدولة تجاه الدين، وانتشار اللهو والترف وظهور المجون لدى بعض الشعراء الشباب أو من أديان أخرى، ومن أسباب ظهورها أيضا التمازج الإجتماعي مع الأعاجم من فرس وروم وأقباط وغيرهم في الدولة الأموية واتساع رقعتها الجغرافية ومن شعراء الخمرة الشاعر الأخطل التغلبي، حيث كان مسيحيا إذ ذكرها كثيرا في قصائده وتغنى بها، وفيها يقول:

تفوج بماء يشبه الطيب طيبه *** **إذا ما تعاطت كأسها من يرد**

تميت وتحيي بعد موت وموتها *** **لذيذ ومحياها ألذوأحمد**(١)

٤- **النقائض:** هي جمع نقيضة، والمعنى مأخوذ من نقض الشيء إذ هدمه، ونقض فلان كلام فلان إذا أثبت بطلانه، بمعنى آخر هي لون من ألوان الهجاء والتحدي بين شاعرين، يبدأ الأول فيهجو الآخر ويفاخره بقصيدة من شعر الهجاء، فيرد عليه الثاني بقصيدة أخرى من ذات الوزن والقافية بحيث يحاول إثبات تفوقه عليه في المعاني وفي شدة وقوة الهجاء.(٢)

---

(١) فالح نصيف، مرجع سابق، ص١٩.

(٢) سيد غيث، الشرح الكافي في علمي العروض والقوافي، اطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ص١٣٨.

إن كلمة النقائض كانت مرتبطة بالعصر الأموي وبالشعراء الثلاثة (الفرزدق وجرير والأخطل) إلا أنها كانت موجودة في العصر الجاهلي، حيث أن النقائض هي تطور فن الهجاء، والهجاء قديم في الشعر العربي منذ الجاهلية حيث أن النقائض تولدها المنافسات القبلية على مياة الغدران والمراعي، والتي أوجدت الحروب المستمرة بين القبائل وبطونها وغصونها، فكانوا يتقاتلون وكانوا يتهاجون هجاء مرًا.(١)

صور الهجاء التي سبقت العصر الأموي كانت في أكثرها صورًا بسيطة، فالشعراء لا يتقيدون دائما بأن يردوا على خصومهم بقصائد من نفس الوزن والقافية، أو بعبارة أخرى من نفس الألحان والنغمات التي صاغ فيها الخصوم شعرهم وهجاءهم،ثم هم لا يقبلون على ذلك إقبال المحترف الذي يهب حياته لمهنة يمارسها، إنما هم يقبلون على ذلك من حين إلى حين، وفي الفترة بعد الفترة يعبرون عن رغبات قبلية أو رغبات لجماعة ومعنى ذلك أن العرب قبل عصر بني أمية لم يعرفوا هجاء منظما. وإن الهجاء تحول عند الشعراء الثلاثة إلى فن جديد أو إلى لون جديد وهو النقائض.(٢)

تميزت النقائض في العصر الأموي، وكان لها نهضة فنية خاصة بعد فتور، واعتمدت على فنى الفخر والهجاء أكثر من غيرهما، ولما كانت النقائض كثيرة العدد ومديدة الطول كثرت قوافيها، الأمر الذي دعا الشعراء إلى إحياء قواف قديمة وحديثة سدًا

(١) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ص١٦٢.
(٢) المرجع نفسه، ص١٦٣.

لحاجة النظم واستكمالًا لأبواب المناقضة، ومن ثم ظهرت ثروة لغوية أثرت المعاجم بمادة غزيرة، ووفرت للشعراء والخطباء والكتَّاب ذخيرة كلامية نافعة.(١)

النقائض عكست لنا ملامح العصر الأموي الاجتماعية مثل العصبيات، القبلية والتقاليد الاجتماعية، وكان من أسباب ظهور فن النقائض في العصر الأموي عودة العصبية القبلية التي سعى الإسلام إلى اخمادها بما جاء به من قيم سامية تحث على التسامي ونبذ كل أسباب التناحر والخصام، غير أن بعض الدارسين ومنهم شوقي ضيف، يرى أن النقائض لم تكن جَدا وإنما كان فيها من أنماط السخرية والفكاهة، دون أن يؤدي ذلك إلى شيء من الخصومة أو الاحتراب.(٢) ويرى آخرون أن النقائض زادت من حدة الخلاف وشدة النزاع الحزبي والقبلي بين الأطراف المتنازعة، حيث ذهب الشعراء في البحث عن مثالب بعضهم البعض ومثالب أقوامهم واللهاث وراء معرفة كل مثلبة في الشاعر أو في قومه وعشيرته في الماضي أو الحاضر. وفي النقائض يبالغ الشاعر في الفخر بنفسه وبقومه وبقبيلته، وينطلق في وصف خصمه وقومه وعشيرته بكل نقيصة يراها أو يسمع بها أو قيلت بهم، وقد وصلت حدًا لا يطاق بأن يقوم الشاعر بقذف الشاعر الخصم وقومه بكل نقيصة من بذاءة القول الموغل في الفحش لدى بعضهم، والسباب والشتم بما يتنافى مع الآداب والأخلاق العربية المعروفة.(٣)

---

(١) لؤي موفق الحاج علي، صورة المهجو في شعر النقائض، رسالة ماجستير، جامعة جرش، ٢٠١٥م، ص٢٨.

(٢) هدى التميمي، الأدب العربي عبر العصور، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص٨٩.

(٣) فالح نصيف، مرجع سابق، ص٢٠٢-٢٠٣.

يمكن القول أن فن النقائض يعد من الناحية الفنية نوعا راقيا من المناظرات الشعرية التي أوجدتها الحياة العقلية الأدبية النشطة التي سادت في العصر الأموي.[١]

أهم شعراء النقائض:

وقد ذكرنا سابقًا أشهر شعراء فن النقائض وهم فحول الشعر العربي في العصر الأموي وهم الفرزدق وجرير والأخطل، حيث وقف كل من الاخطل والفرزدق ضد جرير، ونذكر هنا نبذة مختصرة عن كل منهم.

- **جرير:** هو جرير بن عطية بن حذيفة، ولقب حذيفة الخطفى لقوله: **(**وعنقابا في الرسيم خيطفا**)**، وهو من بني كليب بن يربوع، وولدت جريرَ أمُه في سبعة أشهر[٢] وكان من فحول شعراء الإسلام، ومن أحسن الناس تشبيبًا، وأشد الناس هجاءً.[٣]

نشأ جرير باليمامة وعاش فيها، وتعلم مبكرا على يد جده حذيفة بن بدر، وكان عفيفًا في شعره، وقد نشأ في العصر الأموي الذي تعددت فيه الأحزاب، فكان لكل حزب شعراؤه الذين يتحدثون بإسمه ويذودون عنه، وكان جرير يذود عن شرف قبيلته، فاضطر أن يفني عمره في مصارعة الشعراء وهجائهم، حتى قيل أنه هجا وهزم ثمانين شاعرا في ذلك العصر، ولم يثبت منهم إلا الأخطل والفرزدق.[٤]

(١) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٠.
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص٤٦٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٦٤.
(٤) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٢.

- **الفرزدق:** هو أبو فراس همام بن غالب الفرزدق الدرامي التميمي، نشأ في البصرة على قول الهجاء مع شرف أسرته وغنى قبيلته وعزة نفسه، فكان يهجو حتى بني قومه وذلك لحدة طبعه وشراسة خلقه، فيشكونه إلى أبيه فيضربه، ثم لجَّ في هجاء الناس حتى استعْدُوا عليه زياد والي العراق لمعاوية، فطلبه، ففرَّ منه في مدن العراق وقبائله، ثم لجأ إلى المدينة أخيرا، واستجار بواليها سعيد بن العاص فأجاره، فلما مات زياد عاد الشاعر إلى وطنه، فشارك فيما وقع من حروب وفتن بعد موت معاوية ويزيد حتى مني بمهاجاة جرير، فشغلت فكره وملأت عمره وصقلت شعره، وظلت هذه المهاجاة أربعين سنة ونيفًا كان منها للناس مشغلة، وللسواس مهزلة، وللأدب العربي ثروة ضخمة من الشعر، لا تخلو، على سفاهتما وبذاءتها، من جمالٍ وحِكمة.[١]

تنقل الفرزدق بين الأمراء والولاة يمدحهم ثم يهجوهم ثم يمدحهم، وقيل: (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث العربية)، ولقب بالفرزدق* لجهامة وجهه وغلظه، توفي في البصرة وقد قارب المائة.[٢]

- **الأخطل:** هو غياث بن غوث، من بني ثعلب، أديب النصرانية وشاعر الدولة الأموية كان أول ما اغرم به من الشعر الهجاء، فهجا إمرأة أبيه وهو صغير، وهجا

---

(١) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١١١.

* الفرزدق هو قطع العجين ولقب به لانه كان جهم الوجه يشبه قطعه العجين.

(٢) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩١.

كعب بن جعيل شاعر ثعلب فأهمله وهو يافع، وعلق به لقب الأخطل* منذ شبَّ لسفاهته، وهجا الأنصار عندما استعان به يزيد، وهجاهم بالفلاحة واللؤم والخمر وفضَّل عليهم قريشا في قصيدته، وكاد أن يقتل لولا عون يزيد، وبالغ الأمويون في إيثاره وإكرامه، فناضل الزبير بعد الأنصار، ووقف للقبائل القيسة فهتك عنها حجاب الشرف قبيلةً قبيلة بقصيدته التي مطلعها: (الا يا اسلمى باهند هند بنى بكر وان كان حياناعدى آخر الدهر) ختم حياته بممالاة الفرزدق ومهاجاة جرير.(١)

وكان شاعرًا مصقول الألفاظ حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم.(٢)

سبب العداوة بين جرير والفرزدق:

كلا الشاعرين جرير والفرزدق من قبيلة تميم، وهي قبيلة عدنانية ضاربة في التاريخ، كان لها امتدادات في العراق وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية وما زالت، وهم بطون كثيرة منها: الرباب، دينر* سعد بن زيد، كليب التي منها جرير، ومجاشع بن دارم التي منها الفرزدق وغيرهم.(٣)

---

* الأخطل معناه طويل الأذنين مسترخيهما.

(١) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١١٠-١١١.

(٢) لؤي عطا الله الحوامدة، مرجع سابق، ص٥٥.

* دينر هي بطن من بطون قبيلة تميم

(٣) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٢.

خاضت تميم حروبا عديدة مع قبائل أخرى، إما دفاعا عن النفس أو لأسباب تتعلق بالماء والكلأ، وقد أدت هذه الحروب، إضافة إلى اتساع منازلها، أدت لأن تصبح كل بطن قبيلة قائمةً بذاتها، واشتد الخلاف بين هذه البطون والقبائل حتى أن الشاعرين الفرزدق وجرير ظلا يتهاجيان رغم إنتمائهما إلى أصل واحد هو تميم، ولكنهما من بطنين أو قبيلتين مختلفتين، فالفرزدق انتمى إلى قبيلة مجاشع بينما انتمى جرير إلى كليب كما ذكرنا، وكان جرير والفرزدق أصدقاء قريبين من بعضهم بعضا إلا في الشعر، فكان الناس يرونهما يمشيان في الأسواق مع بعضهما، ولكن عندما يأتي الشعر فكل منهما له طريقته وعداوته للآخر.(١)

أما الأخطل فإنه أقحم نفسه في المهاجاة بين جرير والفرزدق حين فضَّل الفرزدق على جرير، وامتد الهجاء بينه وبين جرير طوال حياته.(٢)

نماذج من النقائض الشعرية:

سوف نذكر هنا نماذج من النقائض بين جرير والفرزدق، ونقائض جرير والأخطل، تمتاز نقائض جرير والفرزدق عن نقائض جرير والأخطل بوجوه كثيرة، فقد استغرق مدة أطول في تأليفه، إذ انتهى جرير والأخطل من صنع نقائضهما معًا بوفاة ثانيهما في عصر الوليد بن عبدالملك سنة (٩١هـ/٧١٠م)، وكانت نقائضهما نحو عشرين عاما، أما جرير والفرزدق فقد ظلا يؤلفان فيه وفي نقائضه حتى توفيا لعهد هشام بن عبد الملك

---

(١) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٣.

(٢) أحمد سيد حامد البرجل، ألف معلومة عن اللغة العربية وأدابها، دار الفضيلة، ص٣٩.

سنة (١١٤هـ/٧٣٣م). وتسبق من حيث الزمن نقائض جرير والأخطل كما تتأخر عليها من حيث الزمن أيضا، فقد شغلتها نحو خمسة وأربعين عاما.[1]

نقائض جرير والفرزدق:

كان الفرزدق يذهب في هجائه مذهب الفخر بآبائه، فيعدد أيامهم الظافرة، ويجدد مفاخرهم الغابرة، فلا يستطيع جرير مجاراته في هذا المضمار فيعمد إلى نقض الفخر بالصلف وبالسخرية اللاذعة والفحش الموجع، وإذ أخذ جرير هذا المأخذ لا يقام له، نقرأ على سبيل المثال قصيدة الفرزدق التي مطلعها:

إن الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعـــائمه أعـــز وأطـول**

بيـــتا زراره محتـــب* بفنـــائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل**

لا يحتبى بفنـــاء بيتك مثلهم * أبدا إذا عد الفعـــال الأفضل**

فيجيبه جرير في نقيضته لها:

أخزي الذي سمك السماء مجاشعا * وبنى بناءك في الحضيض الأسفل**

بيـــتا يحـــمم قينـــكم بفنـــائه * دنسا مقــاعده خبيث المــدخل**

قتل الـــزبير وأنت عـــاقد حبوة * تبا لحـــبوتك التي لم تحـــلل**

وأفـــاك غـــدرك بالزبير على منى * ومجر جعثـــكم بذات الحرمل**

بات الفـــرزدق يستـــجير لنفسه * وعجـــان جعثن كالطريق المعمل**

---

(١) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سابق، ص١٧٥-١٧٦.

* محتب من **احتبى** الشَّخصُ جلس على أَلْيَتَيه وضمَّ فَخِذَيه وساقَيه إلى بطنه بذراعيه ليستند.

ويقول الفرزدق:

حلل الملـــوك لبــاسنا في أهلنا * والسابغات إلى الوغي تتسربــل**[1].

فيجيبه جرير:

لا تذكــروا حـــلل الملوك فإنكم * بعد الــزبير كحائض لم تغسل**

ويقول الفرزدق:

أحـــلامنا تزن الجبـــال رزانة * وتخـــالنا جنا إذا ما تجـــهل**

وادفع بكـــفك إن أردت بناءنا * تهلان ذو الهضبات هل يتحلحل**

خالي الذي غصب الملوك نفوسهم * وإليه كـــــان حباء جفنه ينقل**

إنا لنـــــضرب رأس كــل قبيلة * وأبوك خـــلف أتانه يتـــقـمل**

فيجيبه جرير:

كان الفـــرودق إذ يعوذ بخاله * مثل الذليل يعوذ تحت القرمـل**

وافـــخر بضـــبة ان أمك منهم * ليس ابن ضبة بالمعمر المخول**

أبلغ بني وقبـــان أن حلومـــهم* * خفت ولا يزنون حبة خـــردل**

ويقول الفرزدق:

وحب القصائد لي النوابغ إذ مضوا * وأبو يزيد وذو القـــــروح وجرول**

دفعــــوا إلى كتــابهن وصـــية * فورتهن كأنــــهن الجنـــــدلي**

---

(١) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١٢٠.

* حلومهم هي جمع حلم.

فيجيبه جرير:

أعددت للشعراء سمًا ناقـــــعًا * فسقيت أخـــــرهم بكأس الأول**

لما وضعت على الفرزدق ميسمى * وصغى البعيث جدعت أنف الأخطل**

حسب الفرزدق أن يسب مجاشع * ويعد شعـــــر مرقـــش ومهلـــهل**

نلاحظ أن جريرا يرغب في الطريق السهل، ويطفي حرارة الجد ببرودة الهزل ويقابل الكمي الهاجم في سلاحه ولأمته، وهو في ثوب المهرج وبزته وضحكته.(١)

أتى سليمان بأسرى من الروم، وعنده الفرزدق، قال له: قم فاضرب أعناق هؤلاء، فاستعفاه من ذلك فلم يعفه، ودفع إليه سيفا كليلا فقام الفرزدق، فضرب به عنق رجل منهم، فنبا السيف، فضحك سليمان ومن حوله، فقال الفرزدق:

مايعجب الناس أن أضحكت خيرهم * خليفة الله يستسقي به المـــــطر**

لم ينب سيفي من رعب ولا دهـــش * عن الأسير، ولكن آخر القـــدر**

ولن يقدم نفـــــــسا قبل منيـــتها * جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر**

وفي ذلك يقول جرير:

بسيف أبي رغوان قين مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم**

ضربت به عند الإمام فأرعشت * يداك وقالوا محدث غير صارم(٢)**

---

(١) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١٢١.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص٤٧٩.

فأجابه الفرزدق:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم * إذا أثقل الأعناق حمل المكارم**

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم * أبا عن كليب أو أخًا مثل دارم**(١)

النقائض بين جرير والأخطل:

كان سبب الهجاء بينهما: أن الفرزدق والأخطل وجريرا اجتمعوا عند بشر بن مروان، وكان يغري بين الشعراء، فقال الأخطل: احكم بين الفرزدق وجرير، فقال: أعفني أيها أمير، فقال: أحكم بينهما، فاستعفى بجهده فأبى إلا أن يقول، فقال: هذا حكم مشئوم، الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر، فلم يرض بذلك جرير، فكان سبب الهجاء بينهما.

فقال جرير:

يا ذا العبابة ان بشرا قد قــضى * أن لا تجود حكومه النشوان**

فدعوا الحكـومة لستم من أهلها * إن الحكومة في بني شــيبان**

وهنالك رواية أخرى تقول قدم الأخطل الكوفة على بشر بن مروان فبعث إليه محمد بن عمير بن عطا رد (وكان صهرا للفرزدق) بدراهم وحملان وكسوة وخمر، ويقال ان الذي بعث إليه بهذا اشبه بن عقال الجاشعي: وقال للأخطل: فضل شاعرنا عليه وسبه، فقال الأخطل:

أخا اليك كليب ان مجــاشعا * وأبا الفوارس نهشلا أخــــوان**

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ص٤٨٠.

قوم إذ خطرت عليك قرومهم * جعلوك بين كلاكل وجـــــران**

وإذا وضعت أباك في ميزانهم * رجحوا وشال أبوك في الميزان**

فقال جرير:

يا ذا العبابة بشرا قد قـــضى * أن لا تجوز حكومة النشـوان**[1]

والروايتان كلتاهما تقطعان بنشوب معارك الهجاء أو مناظرات الهجاء بين الأخطل وجرير إلى هذا الحُكم الذي حكم به الأخطل على جرير، منحازا إلى الفرزدق بحضرة بشر بن مروان أو في أثناء زيارته له.[2]

يقول الأخطل في نقيضته:

أما كليب بن يربوع فليس لـــهم * عند التفارط ايراد ولا صــــدر**

قوم انابت إليهم كل مخـــــزية * وكل فاحشة سبت لها مضــر**

رد عليه جرير بقوله:

ما كان يرضي رسول الله ديـــنهم * والطيبان ابوبكر ولا عـــــمر**

جاء الرسول بدين الحق فانتكثوا * وهل يضير رسول الله ان كفروا**

حيث يعيب جرير على الأخطل نصرانيته، وهذا غيض من فيض في هذا الفن وما فيه من قصائد كثيرة.[3]

---

(١) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٩

(٣) فالح نصيف، مرجع سابق، ص٢٠٥.

ولعل من أفحش هجاء الأخطل لقوم جرير قوله:

قوم إذ استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لأمهم بولي على النـــار**

فتمنع البول شحا أن تجود به * ولا تجود به إلا بمقـــــدار**

والخبز كالعنبر الهندي عندهم * والقمح خمسون أردبا بدينار[1]**

وواضح أن الأخطل لم يكتف في هذه البيوت بوصف كليب باللؤم والدناءة وابتذال الناس، بل جعل نارهم أيضا حقيرة ضئيلة تطفئها الكمية القليلة من الماء.

وكان جرير هو الأخر يحاول أن يلبس الأخطل وقومه أقبح الهجاء حيث قال في بيته المشهور:

والتغلبي إذا تنحنح للقـــرى * حكَّ استه وتمثل الأمثـــالا**

وهي صورة قبيحة كصورة الأخطل السابقة، ولكنها مضحكة، وتحمل كل ما أراده من سخرية بصاحبه وبقبيلته.[2]

وأيضا من قول الأخطل لجرير:

يا ابن المراغة ان عمي اللذا * قتلا الملوك وفككا الأغـلالا**

وأخوهم السفاح ظمأ خيـله * حتى وردن جي الكلاب نهالا[3]**

---

(١) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١١٤.

(٢) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٣) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١١٤.

يعد جرير والفرزدق والأخطل أهم رموز النقائض، فهم الذين أذكوا نارها وحددوا ميدانها، ومع ذلك ليست النقائض حكرا عليهم دون سواهم، لكنهم الأشهر في هذا المجال.[١]

خصائص الشعر الأموي:

لقد امتاز الشعر الأموي بعدة خصائص ومن أهمها ما يلي:

- استقى الشعراء مفردات من المعجم الإسلامي.
- التزام الشعراء بالقافية الواحدة والوزن الواحد.
- جزالة الألفاظ وقوة التراكيب في جسم القصيدة، ويعتبر امتدادًا لقوة القصيدة الجاهلية.
- كان الشعر الأموي بمثابة سِجِل تاريخ حقيقي لما حصل من وقائع حربية وأحداث تاريخية.
- ظهور شعر النقائض وهو شعر اختص بذكر التعصب القبلي والتفاخر بالأحساب والأنساب وكان من أهم شعرائه: جرير والفرزدق والأخطل.[٢]

مميزات الشعر في العصر الأموي:

أهم مميزات الشعر في العصر الأموي هي:

- خلوه من فحش الكلام.
- كثرة التشبيب.

---

(١) لؤي موفق الحاج علي، رسالة سابقة، ص٥٣.

(٢) زينة قابوق، حصائص الشعر في العصر الأموي، ٢٢ يونيو ٢٠١٦، أكبر موقع عربي بالعالم، عن طريق الانترنت الشبكة العنكبوتية.

- المهاجاة بين الشعراء.
- نبوغ الموالي في الشعر.
- الشعر السياسي أو المديح للاستجداء.
- وصف الخمر.(١)

ثانيًا النثر:

هو التعبير الفنِّي الراقي، يستعمله الإنسان طليقا من الوزن والقافية، ومن دون أن يكون طليقا من البلاغة وروعة التأثير، يُسْتَخدم في التعبير عن كثيرٍ من الأغراض الأدبية المعروفة، فيصبح إذ ذاك وسيلةً للإبانة عن الخواطر والمشاعر.(٢)

أنواع النثر: تمَّ تقسيم النثر إلى ثلاثة أقسام هي:

- **النثر العادي:** وهو الذي يستخدمه عامة الناس في لغة تخاطبهم العادية دون أن يحفلوا به أو يقصدوا فيه إلى شيء من الروية أو التفكير أو الزخرف، وهذا النوع من النثر يتمثل في لغة التخاطب اليومي.
- **النثر العلمي:** هو الذي تصاغ به الحقائق العلمية لمجرد إبرازها والتعبير عنها دون عناية بالناحية الفنية.

---

(١) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافية، ٢٠١٣، ص٢٣٣-٢٣٩.

(٢) خالد مصطفى الدمج، النخبة الكافية في العروض والقافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ص١٦.

- **النثر الفني:** وهو الذي يرتفع به أصحابه عن لغة الحديث العادية، ولغة العلم الجافة، إلى لغة فيها فن ومهارة وروية، ويوفرون له ضروبا من التنسيق والتنميق والزخرف، فيختارون ألفاظه، وينسِّقون جمله، وينمِّقون معانيه.(١)

فنون النثر:

أ. الخطابة:

كان ظهور الإسلام بالدعوة العظمى من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة غاية كمالها، وجعلت الأمر في أيدي رجالها، فإن الدعوة إلى الدين بالحسنى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع الفتن ورد البدع وتحميس الجند، كل أولئك من أغراض الخطابة.(٢)

في العصر الأموي ازدهرت الخطابة، وبلغت ذروتها بسبب الصراعات التي ظهرت بين بنى أمية وخصومهم، فكان للخطبة تأثيرها الشديد في السامعين وتنوعت أغراضها بين السياسي والديني والعقلي، وكان للأحزاب السياسية دور كبير في نهضة الخطابة، إذ كانت سلاحًا من أسلحتهم في الدعوة لأحزابهم ومبادئها، ويعد من أشهر خطباء الخوارج قطرى بن الفجاءة، أما الشيعة فلديهم خطباء كالحسين بن علي والمختار الثقفي. وبالنسبة للزبيريين فإن عبد الله بن الزبير كان خطيبهم، أما الحزب الأموي الحاكم فكان من خطبائه الحجاج بن يوسف وزياد بن أبي سفيان.

---

(١) محمد سيد محمد، لغة الإعلام على الخريطة اللغوية، مجلة الفيصل، العدد ١٠٦، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٠٤.

(٢) أحمد حسن الزيات، مرجع سابق، ص١٧٦.

وبجانب الخطابة السياسية ازدهرت أيضًا خطابة المحافل حين تفد الوفود على الخلفاء والولاة، وكان معاوية أول من فتح أبوابه على مصاريعها لتلك الوفود من الخطباء، وكان أشهر هؤلاء سحبان بن وائل صاحب الخطبة التي سميت بالشوهاء، والأحنف بن قيس.

وكذلك نهضت في هذا العصر الخطابة الدينية والوعظية والمناظرات، ومن أشهر من سادوا في هذا المجال الحسن البصري، وواصل بن عطاء، وخالد بن صفوان وغيرهم.

وقد اشتهرت بعض الخطب كخطبة زياد البتراء، لعدم ابتدائها بالتحميد وعدم افتتاحها بالتمجيد، والخطبة الشوهاء لخلوها من الاقتباس من القرآن الكريم وعدم تضمُّنِها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

والخطابة وإنْ كانت فنًا قديمًا لكن مازال لها حضورُها في المحافل السياسية وفي المنابر الدينية، إذ كان على الخطيب أن يبذل جهودًا كبيرة في حشد طاقته البلاغية والبيانية حتى يكون للخطبة وقعٌ عند المتلقي.[١]

ظل العرب على ما ألفوه في الجاهلية من العمامة واتخاذ المخصرة والوقوف على نشز من الأرض، والخطبة من قيام، إلا الوليد بن عبد الملك فإنه خطب وهو جالس.[٢]

---

(١) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٥.

(٢) أحمد، مرجع سابق، ص١٧٦.

ب. الرسائل:

عرف العصر الأموي فنًا أدبيًا نثريًا آخر، هو فن الرسائل، والرسائل فن أدبي قديم ازدهر وانتشر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهو فنٌ نثري يُظْهِر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية، وروعة أساليبه البيانية المنمَّقة القوية.[١]

وفي أدب الرسائل والمراسلات ظهرت نماذج متعددة وعلى فترات، تفيد بتقدم عصر بني أمية في هذا المجال، وان عدنا إلى رسائل الخلفاء الأمويين مثل معاوية وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز، ورسائل ولاتهم مثل زياد والحجاج ونصر بن سيار الليثي، وما ورد في هذه الرسائل من صيغ وعبارات وأمثال وحِكَم، فإن هذا يدعِّم ما قلناه عن تقدم هذا الفن، حتى قبل ظهور عبد الحميد بن يحيى المعافري المعروف بـ عبد الحميد الكاتب.[٢]

وقد ظهرت في هذا العصر لأول مرة الرسائل الأدبية التي تستغرق عدة صفحات، واشتهر بها كُتَّاب معروفون أمثال سالم بن هشام، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب الذي كان أبلغ كتَّاب العصر الأموي، وله رسالة اسمها (رسالة الصحابة) يقصد بها أصحاب مهنة الكتابة، وفيها يحثهم على حفظ القرآن لتلين ألسنتهم، ومعرفة الفقه والميراث، وحفظ الأشعار، ومعرفة تاريخ الحروب العربية والأعجمية.[٣]

---

(١) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢) عمر بن سليمان العقيلي، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٣) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٩.

وتنوَّعت الرسائل وتعدَّدت أغراضها، حيث ازدهرت الرسائل وانقسمت إلى قسمين، القسم الأول الرسائل الديوانية ونمت على يد عبد الحميد الكاتب، وهي تضمنت أمور السياسة. والقسم الثاني الرسائل الإخوانية وهي رسائل خاصة تتضمن شكرا أو تعزية أو تهنئة.(١)

كان أصحاب الرسائل هم الذين يدبِّجون الكتب على ألسنة الخلفاء والولاة بحكم وظيفتهم، وكانوا يُختارون من أرباب الكلام وأصحاب الفصاحة والبيان، وكلٌ منهم يحاول أن يُظهِر براعته ومهارته وحزقه في تصيف، الألفاظ وصياغة المعاني حتى تروق لمن يكتب على لسانه، وينال رضاه استحسانه.

وعلى هذا النحو تكوَّنت طبقةٌ كبيرة من كُتَّاب محترفين، تتابعت أجيالهم على مرِّ الزمن في ذلك العصر، وكانوا منتشرين في كل بلاد الخلافة، إذ لم تختص بهم دمشق وحدها، فقد كان لكل والٍ وقائدٍ كاتبٌ، وأحيانا كان يتخذ الوالي في العمل الكبير أو الولاية الكبيرة طائفةً من كتَّاب، وكثيرا ما كان يطمح كتَّاب الولايات إلى أن يلفتوا ببلاغتهم من يكتبون إليهم من الخلفاء، حتى يتم تعيينهم في دواوينهم، تطورت الرسائل في عهد عبد الملك بن مروان وقائده الحجاج بن يوسف خاصة في فترة الصراع مع الخوارج. فقد كثرت الرسائل بين عبد الملك و الحجاج و بين الحجاج و قاداته مما أدي الي تطور الكتابة، واشتهر الحجاح بأنه كان كثير التعهد لرسائل قواده حتى إذا لفتته رسالةٌ ببلاغتها سأل

(١) لعاني غانية، بلاغة النثر في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة أحمد بن بله، الجزائر، ص٥٦.

عن كاتبها، وطلب مثوله بين يديه. وكان إذا أعجبه كاتبُ وملأ نفسه، ربما أرسل به إلى عبد الملك بن مروان ليسلكه بين كتابه.[١]

ج. **التوقيعات:** هي عبارات موجزة كان يكتبها الخليفة أو الوالي أو عمالهما في أسفل الشكاوي والمظالم الخاصة بطلاب الحاجات، التي كانت تُرفَع إليهم.[٢]

ظهرت التوقيعات في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وازدهرت في عهد بني أمية بسبب الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة الإسلامية، وانتشار الكتابة والتعلم والتعليم، كما أن الولاة كانوا بحاجة إلى الردود السريعة على مكاتباتهم أو رسائلهم.[٣]

نماذج من التوقيعات:

وقَّع معاوية: (نحن الزمان، من رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتضع)

ووقَّع عبد الملك في كتاب الحجاج الذي شكا فيه أهل العراق: (أرفق بهم فإنه لا يكون مع الرفق ما تكره، ومع الخرق، ما تحب).

ووقَّع كذلك عبد الملك بن مروان في كتاب آتاه من الحجاج: (جنِّبْني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب).

---

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارفة، مصدر، الطبعة السابعة، ص٤٦٦.

(٢) يونس هلال منديل، أدب زهاد التابعين موضوعاته وفنونه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٤.

ومما يلاحظ في هذه النماذج من التوقيعات إيجازها غير المخل، ودقة التعبير عن الأمر دون موارية أو مجاملة، وانبهار قادتها بها بحسن سبكها وبديع بيانها وكأنها الأجوية المسكتة التي لا تحتاج إلى مزيد[١].

د. الوصايا:

هي عهدٌ من الموصِّي لمن يعقبه، في التزام ما يراه خيرا وصالحا له في حياته، واحتلت وصية الخلفاء في العصر الأموي أهميةً كبيرة، بما حملته من أبعاد ودلالات في كيفية مواجهة كثير من الصعوبات والتحديات، التي واجهت ولاة الأمر على الصعيدين الداخلي والخارجي[٢].

سوف نذكر هنا بعض الوصايا من الآباء لأولادهم، فمنها ما كان سياسيا، كالوصية التي أسداها مروان بن الحكم لولده عبد العزيز، حين ودعه بمهر وتوجه إلى الشام ويقول فيها:

أرسل حكيما ولا توصه، أي بنيى أنظر إلى عُمَّالك، فإن كان لهم عندك حق غُدوةً فلا تؤخره إلى عشية، وإن كان لهم عشية فلا تؤخره إلى غدوة، وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم، وإياك أن يظهر لرعيتك منك الكذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذبٌ، لم يصدقوك في الحق، واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يستبن لك فاكتب إليَّ يأتك رأي فيه إن شاء الله تعالى، وإن كان بك غضب على أحد رعيتك فلا

---

(١) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٦.

(٢) عبد الستار إسماعيل عبد الرحمن، وصايا الخلفاء في العصر الأموي، مجلة التربية والعلم، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠١١م، ص١٣٣.

تؤاخذه به عند ثورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكن منك ما يكون وأنت ساكن الغضب، فتطفيء الجمرة، فإن أول من جعل السجن كان حليمًا ذا أناة، ثم أنظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة، فليكونوا أصحابك وجلساءك، ثم أعرف منازلهم منك على غير استرسال ولا نقاض، أقول هذا واستخلف الله عليك.

يدعو مروان بن الحكم ولده إلى اعطاء العاملين معه حقوقهم في مواعيدها لضمان طاعتهم، وأن يتصف بالصدق أمام الرعية، وأن يستشير أهل العلم، وألا يعاقب أحدا ساعة الغضب، وأن يتخير الجلساء من ذوي الحسب والدين والمروءة.(١)

وقد اشتركت المرأة في الوصايا أيضًا، إذ أوصت أسماء بنت أبي بكر ولدها عبد الله بن الزبير عندما كان الحجاج محاصرًا له في مكة، وقد أمَّنه عبد الملك بن مروان، فقالت: أي بنيي، لا تقبل خطة تخاف على نفسك منها القتل، مت كريمًا، وإياك أن تؤسر، أو تعطي بيديك، فقال: يا أمه، أني أخاف أن يمثَّل بي بعد القتل، فقالت: لا يضير الشاة سلخها بعد الذبح.

ومن الوصايا ما فيه توجيهات تربوية، فهذا عبد الملك بن مروان يحث أولاده على المعروف، فيقول: يا بني عبد الملك، أحاسبكم أحاسبكم، صونوها ببذل أموالكم فما يبالي رجل منكم ما قيل فيه بعد قول الأعشي:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجـــاراتكم غــرثي يبتن خمائصا**

(١) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٦-٩٧.

وما يبالي قوم ما قيل منهم من المدح بعد قول زهيرة:

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل**

فهو يدعوهم إلى الأخذ بهذه الوصية في الإنفاق، وأن ينطبق عليهم قول زهير في البذل والعطاء. أما بيت الأعشى فهو هجاء مُرْ، إذ يعاب على قوم أن يبيتوا شباعا ونساء الحي جائعات، وفي هذه الوصية دعوة إلى أن يحافظ أولاد عبد الملك على مكانتهم الاجتماعية ببذل الأموال لمستحقيها.(١)

أثر الأدب الفارسـي والرومانـي على الأدب العربي:

الأثر الفارسي:

أثَّر الأدب الفارسي في الأدب العربي، حيث أنهم عندما دخلوا الإسلام اضطروا إلى تعلم اللغة العربية، وسرعان ما ظهر منهم ومن نسلهم شعراء، وقد ظهر منهم في الدولة الأموية عددٌ ليس بالقليل، ومن أشهرهم (زياد الأعجم) وأسرة ابن يسار النسائي، فهي أسرة فارسية شاعرة، اشتهر منها إسماعيل بن يسار، ومحمد، وإبراهيم، وللثلاثة شعر يتغنى به، وكلهم ذوو نزعة فارسية، يتعصب للعجم وينقم من العرب.

هؤلاء وأمثالهم نشأوا نشأة فارسية، وتأدبوا بالأدب الفارسي، ثم صاغوا أدبهم في القالب العربي فأحكموا التقليد، فألفاظهم عربية وتراكيبهم عربية وأوزانهم كذلك عربية، ولكن هذا

---

(١) هدى التميمي، مرجع سابق، ص٩٧.

لا يمنع أن بعض المعاني الفارسية والخيال الفارسي والروح الفارسي، كان يتسرب إلى نفوسهم، ثم إلى شعرهم.(١)

وإضافة إلى هذا فإن كثيرًا من الشعراء والأدباء من العرب كانوا ينزلون فارس أو العراق ويخالطون أهله، ويرون مدنيتهم فيكون لها الأثر في شاعريتهم.(٢)

وتأثرت الناحية اللغوية بالتأثيرات الفارسية، حيث أن اللغة العربية لم تعد ملكًا للعرب وحدهم في هذا الوقت الذي شرَّقت فيه وغرَّبت، بل صارت لهم وللشعوب التي أسلمت وأقبلت على تعلم لغة الإسلام، ولا شك أن هؤلاء المستعربين لا يتعصبون للغة العربية كما يتعصب لها أبناؤها، لذا اتسع المجال لدخول كلمات أعجمية في اللغة العربية، أكثرها فارسية،(٣) فأخذوا منهم (الكوز، الجرة، الإبريق، الطست، الخوان، الطبق، القصعة، الخز، الديباج، السندس، الياقوت، الفيروز، البلور، الكعك، الفالوذج، الفلفل، الزنجبيل، القرفة، النرجس، النسرين، العنبر، الكافور، الصندل، القرنفل، السراويل، الإستبرق، الجوز، اللوز، الطيلسان، الميزان والزئبق...إلخ) وهذه الأسماء تريك أن العرب اضطروا إلى أخذ كلمات فارسية في كل مرفق من مرافق الحياة، وقد بدأ هذا قبل ظهور الإسلام بدليل ورود بعض هذه الكلمات في القرآن الكريم، فلابد أن يكونوا أخذوا منهم

---

(١) أحمد أمين، مرجع سابق، ص١١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٩.

(٣) أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، ص١٧٦.

بعد الفتوحات الإسلامية تراكيب للجمل جديدة، ومعاني جديدة، وخيالًا جديدًا، ولكن من العسير تعيين ما أخذوا بدقة.(١)

كما يظهر لنا أنه في أواخر عهد الدولة الأموية حوَّل الفرس الكتابة العربية إلى نمط آخر لم يكن يعرفه العرب، وهو نوع الكتابة التي اشتهر بها عبد الحميد الكاتب، فقد كان كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، حيث أنه كان كاتب كل من عبد الملك بن مروان، ويزيد، ثم لم يزل كاتبًا لخلفاء بني أمية حتى انقضت دولتهم،(٢) يقول عنه ابن خلكان: "إنه كان في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب إمامًا مبدعًا وعنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا، ولآثاره اقتفوا وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب، فاستعمل الناس ذلك بعده".(٣)

ودليلنا على أن منحاه في الكتابة كان ذا صبغة فارسية أنه من الموالي، وأصله من الأنبار، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي، ويدلك على هذا أيضًا أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة، وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي.(٤)

---

(١) أحمد أمين، مرجع سابق، ص١١٩-١٢٠.

(٢) ابن عبد ربه، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٧٣.

(٣) ابن خلكان، مصدر سابق، الجزء الول، ص٤٣٠.

(٤) أحمد أمين، مرجع سابق، ص١٢٥

الأثر الروماني:

عندما نتحدث عن الأدب الروماني لابد من ذكر الأدب اليوناني، حيث كان لليونان أدب غزير المادة متنوع الموضوع، فلديهم قصص خرافية عن آلهتهم الأقدمين، وشعر وصفي قصصي يصف حروبهم وأبطالهم، يسمى شعر الملاحم، وشعر غنائي يصفون فيه مشاعرهم، ويتعرضون فيه للمدح والفخر والحماسة والغزل والرثاء، ونحو ذلك مما تعرض له الشعر العربي.[١]

ولديهم شعر تمثيلي يتخيلون فيه واقعة حربية كما يتخيلون رجالها، ثم يعمدون إلى تصوير الحوادث، ويضعون على لسان رجالها ما يتناسب مع شخصياتهم.

ولهم في هذه الأنواع كلها الشئ الكثير، الذي أثَّر في الأدب العربي قديمه وحديثه، ونبغ منهم شعراء عدة في بلادهم وفي مستعمراتهم، وبقي من شعرهم إلى يومنا هذا ما يكفي لتصوير ذلك تصويرًا بديعًا.

ولهم غير الشعر كتابة راقية وخطابة، وأبحاث وافية منظمة في الكتابة والخطابة وعلم البيان، كالذي ترى في أبحاث أرسطو. وأيضًا كتبوا التاريخ ونظموه بالقدر الذي يسمح به عصرهم. ولما ذهب سلطانهم وأصبحوا إقليمًا رومانيًا ضعفت آدابهم، ولكن ظل أهم ما وصلوا إليه محفوظًا يتغذى به الرومانيون (على نحو ما كان بين الفرس والعرب) وظهر في هذا العصر أدباء ومؤرخون أمثال بلوتارك، ولوسيد.

---

(١) المرجع نفسه، ص١٢٧.

ولكن هل تأثر العرب والمسلمون بهذه الآداب في العصرالأموي كما تأثروا بالفلسفة اليونانية؟

يظهر لنا أن التأثير الأدبي كان ضعيفًا، فإنا نرى الشعر العربي في العصر الأموي ظل حافظًا لكيانه، يترسم الطريق الذي خطه له الشعر الجاهلي في بحوره وفي قافيته، وحتى في موضوعاته.[١]

ومن العسير العثور على معان يونانية وردت في شعرهم، وإذا بحثنا في ذلك العصر عن شاعر أصله يوناني أو روماني تعلم العربية وشعر بها، فلا نجد، مع أنا وجدنا كثيرين من أصل فارسي أصبحوا شعراء في العربية ونجد أن المؤرخين المسلمين في ذلك العهد تأثروا في طريقة تدوين الحوادث بالنمط الفارسي لا بالنمط اليوناني، ويتجلى ضعف التأثير اليوناني في العرب في ضعف معلومات المسلمين عن الحياة الأدبية اليونانية.

وعلى الجملة يظهر لنا أن الآداب الفارسية كانت أكثر تأثيرًا في الأدب العربي من الآداب الرومانية،[٢] ويمكن أن يكون السبب في ذلك أن الفرس قد أثَّروا بشئ من معانيهم وخيالاتهم، لأنهم هم الذين انتقلوا للعربية ولم تنتقل العربية إليهم، وإذ كان الرومان لم ينتقلوا إلى العربية لذا لم يكن أثرهم فيها كبيرًا.

وسبب آخر دعاهم إلى التأثر بالفارسية أكثر من الرومانية، ذلك أن دولة الفرس ذابت في المملكة العربية، وكانت حياة الفرس الاجتماعية تحت أعين العرب يعرفون عنها

---

(١) أحمد أمين، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٦.

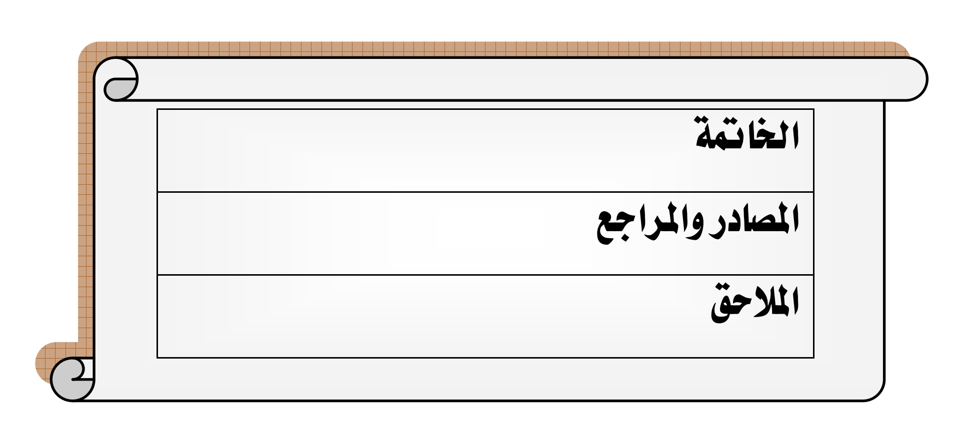
الكثير، فاستطاعوا أن يتذوقوا شيئًا من أدبهم، أما الحياة الرومانية فكانت بعيدة كل البعد عن معيشة العرب، ولم تكن تحت أعينهم لينظروها، فهنا آلهة تخالف كل المخالفة تعاليم دينهم، وهنالك نظم سياسية واجتماعية لا عهد لهم بها، وأنواع من اللهو لم يألفوها، والأدب كما نعلم إنما هو صورة منعكسة للمعيشة الاجتماعية، فكان لزامًا ألا يتذوق العرب الأدب الروماني أو أن يتأثروا به.

وهناك أشياء رومانية كان لها أثر في الأدب العربي الأول: كلمات أخذها العرب منهم كالقسطاس (الميزان)، السجنجل (المرآة)، البطاقة (الرقعة)، القسطل (الغبار)، القنطار، البطريق، الترياق، النقرس والقولنج (في الطب). الثاني: ما كان من أثر في الشعر لشعراء النصرانية في الإسلام، أمثال الأخطل والقطامي، وحتى هؤلاء أثر النصرانية في شعرهم قليل، حتى أن الأديب لامانس نفسه يعترف بقوله: (إن أثر النصرانية في ديوان الأخطل أثر ضعيف، وبه نصرانية سطحية، ككل العقائد الدينية بين البدو).[١]

---

(١) أحمد أمين، مرجع سابق، ص١٣٧.

الخاتمة
المصادر والمراجع



الخاتمة
المصادر والمراجع
الملاحق

الخاتمة:

حدثت تغيرات في كلتا الناحيتين الاجتماعية والثقافية في الدولة، حيث نجد في الحياة الاجتماعية أن العناصر التي كانت موجودة أصلًا كالقيسية واليمانية، كان لهما أثر واضح، فكان كل خليفة يأتي للحكم يقرِّب قبيلة ويترك الأخرى، لذلك ظهرت الصراع بينهما واضحةً، ما عدا فترة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي لم يتعصب لقبيلة دون الأخرى، فهو قد حاول العدل والمساواة بين الجميع. ومن العناصر التي استفادت منها الدولة عنصر الموالي، إذ كان لهم إنجاز كبير ودور مشهود في الحضارة الأموية.

وقد شهد ذاك العصر قوة بروز الفئات المذهبية مثل الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم، مما قاد للتحزب الطائفي والتعصب الديني والصراع الحاد الذي يهدد السلم الإجتماعي، فكانت الدولة تتعامل معهم بعنف.

أما في الناحية الثقافية نجد أن المراكز والمؤسسات الثقافية قد تعددت، ومنها الكتاتيب والمساجد وقصور الخلفاء والمكتبات والبيمارستات، ولم تهتم الدولة بهذه المؤسسات والمراكز وحدها بل كان العلماء والطلبة أنفسهم يدعمونها، وهذه المراكز والمؤسسات أدت إلى تطور الحياة الفكرية في العصر الأموي، ونشَّطت كثيرًا من العلوم مثل الفقه والحديث وعلم القراءات والتفسير والعلوم الطبية والهندسية والحساب والكلام والفلك، وأيضا كان هنالك تطور واضح للنشاط الأدبي.

وأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

١- نبوغ الموالي في شتى مجالات الحياة وكان لهم دور في الحضارة الأموية.

٢- أدت الفتوحات إلي ظهور مجتمعات جديدة امتزجوا مع العرب وأثروا عليهم تأثيرًا واضحا، من أمثلة هذا التأثير(الفارسي والروماني).

٣- التأثيرات التي حدثت في العصر الأموي من المجتمعات الفارسية والرومانية أدت إلى حياة اللهو والترف.

٤- تعددت المراكز والمؤسسات الثقافية في الدولة الأموية ولكن كان المسجد هو أهم تلك المؤسسات وأقواها على الإطلاق.

٥- كثرة الطرق والأساليب التربوية التي استخدمها العلماء في العصر الأموي.

٦- اهتمام الأمويين بالمراكز والمؤسسات التعليمة أسهم بدور كبير في تطور الحياة الثقافية.

٧- نجد أن التمويل قد تنوعت مصادره، فلم يكن يعتمد على الدولة فقط، بل ساهم العلماء والطلبة في تمويل المراكز والمؤسسات التعليمية.

٨- أدى انتشار المراكز والمؤسسات التعليمية إلى ازدهار الحياة الفكرية في العصر الأموي، وشملت العلوم النقلية والعلوم العقلية وأيضا النشاط الأدبي.

التوصيات:

وأهم التوصيات التي يمكن أن نشير إليها إجراء مزيد من الدراسات عن أماكن التعليم في العصر الأموي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الحديث النبوي

١-	محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري (كتاب العيدين)، المكتبة الإسلامية.
٢-	أبي الحسين مسلم بن الحجاج، البر والصلة الآداب، المجلد الثامن، مطبعة العامرى (تركيا)، ١٣٣٠هـ.
٣-	محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، الجزء الأثنين والخمسين، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الثالثة.

أولًا المصادر

أ. الكتب:

١-	إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (القيرواني)، زهر الآداب وتمر الألباب، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، (د . ت).
٢-	أبو العباس أحمد بن علي (القلقشندي)، صُبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق محمد حسن شمس الدين، الأجزاء (١،٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٣-	أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بي أبي بكر (ابن خلكان)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الأول والثاني، دار صادر. بيروت، الطبعة الأولي،١٩٠٠م.
٤-	أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (الأصفهاني)، الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، الأجزاء (١،٤،٥،٧،٩،١٠،١٤)، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م.
٥-	أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
٦-	أبو القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر): أ- تهذيب تاريخ مدينة دمشق، الجزء الرابع، هذبه: عبدالقادر بدران، دار السيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩م. ب- تاريخ مدينة دمشق، الأجزاء (٨،١١،١٧، ٥٥،٦٠،٦٢،٦٣،٢٨،٣٧،٤٠،٥٠)، تحقيق محب أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.
٧-	أبوبكر أحمد بن علي البغدادي، الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع، الجزء الثاني، مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٣هـ.
٨-	أبوبكر بن أبي داؤد السجستاني، كتاب المصاحف، الجزء الأول، محقق: محب الدين عبد السجان واعظ، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٩-	أبو جعفر محمد بن جرير(الطبري)، تاريخ الأمم والملوك، الأجزاء(١،٢،٣،٤،٥،٦،٧)، دار الكتب العلمية،

	بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١٠-	أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني، المعمرون والوصايا، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م.
١١-	أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، نسب قريش وأخبارها، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
١٢-	أبو عبيد بن عبدوس (الجهشياري)، الوزراء والكتاب، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
١٣-	أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ابن قتيبة): أ- الشعر والشعراء، الجزء الأول، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م . ب- عيون الأخبار، المجلدات (١،٤)، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م. ج- المعارف، صححه وعلق عليه، محمد إسماعيل العبادي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.
١٤-	أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، الطبعة الأولى،(د . ت).
١٥-	أبي الحسن علي بن اسماعيل الشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الجزء الأول، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
١٦-	أبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٧-	أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
١٨-	أبي الفداء الحافظ إبن كثير الدمشقي (ابن كثير)، البداية والنهاية، الأجزاء (٨،٩)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٩-	أبي عبد الله الإمام مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى، الأجزاء (١،٢)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٣، ص٢٧١.
٢٠-	أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: أ- البيان والتبيين، الأجزاء (١،٢،٣)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،

	الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ب- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة ، الطبعة الأولي، ١٣٣٢هـ-١٩١٤م.
٢١-	أبي محمد علي بن أحمد (ابن حزم الأندلسي): أ- الفصل في الملل والأهواء والنحل، الجزء الرابع، دار الجيل، بيروت. ب- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م. ج- رسائل ابن حزم الاندلسي، المحقق إحسان عباس، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
٢٢-	أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، علق عليها: أحمد عبيد، عالَم الكتب، الطبعة السادسة، ١٤٠٤/٩٨٤م.
٢٣-	أبي محمد عبد الملك بن هشام العافري، (ابن هشام)، السيرة النبوية، الأجزاء (٢،٤،٥)، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة جديدة، ١٣٩١-١٩٧١م.
٢٤-	أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخَرَاج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
٢٥-	أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (اليعقوبي)، تاريخ اليعقوبي، الأجزاء (١،٢،٣)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٦-	أحمد بن محمد الأندلسي، (ابن عبد ربه)، العقد الفريد، الأجزاء (١،٢،٣،٥،٧،٨)، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٨٢م.
٢٧-	أحمد بن يحي بن جابر البغدادي البلاذري: أ- فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٩٨٧م. ب- أنساب الأشراف، الأجزاء (١،٣،٤،٥،٦)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢٨-	الأبراشي محمد، تهذيب الشباب يتغلب الزمان، طبعة بالمطبعة العمومية، مصر، ١٨٩٢م.
٢٩-	الإمام ابن الجوزي، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة للطبع

	والنشر والتوزيع، مكة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ -١٩٨٠م.
٣٠-	الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، صححه وعلق عليه الأستاذ احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٣١-	الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، بهجة المجالس، وأنس المجالس، المجلد الأول، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
٣٢-	تقي الدين أحمد بن تيمية، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال "مختصر منهاج السنة "اختصره الحافظ أبوعبد الله محمد بن عثمان الذهبي، وكالة الطباعة والترجمة"، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٣٣-	جمال الدين أبوسحاق ابراهيم علي الفيروزابادي، طبقات الفقهاء، المكتبة العربية السعودية، (د.ت).
٣٤-	جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغردي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة سنة ١٩٦٤م.
٣٥-	الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق على الخاقاني، مطبعة مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م .
٣٦-	الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة خياط، بيروت.
٣٧-	شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٨-	شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الجزء الأول، دار صادر، بيروت.
٣٩-	شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، نهاية الأرب، الجزء الأول، المطبعة الرحمانية، القاهرة الطبعة الثانية، سنة ١٩٢٤م.
٤٠-	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ابن خلدون): أ- تاريخ ابن خلدون، الأجزاء (١،٣)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م.

	ب- مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٨١م.
٤١-	عزالدين أبي الحسن علي بن أبي كرم، (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، الأجزاء (٢،٣،٤،٥،٦،٧،٨)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٤٢-	علي بن الحسين المسعودي (المسعودي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الأجزاء (١،٢،٣)، مطبعة السعادة القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٤٣-	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق حسان عبد المنان، الأجزاء (٥،٧)، بيت الأفكار الدولة.
٤٤-	محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل، تجريد الأغاني، الجزء الأول، تحقيق د.طه حسين وإبراهيم الأبياري، كتاب التحرير، القاهرة، ١٩٦٣م.
٤٥-	محمد بن سعيد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، الأجزاء (٢،٦،٨)، مكتبة الخانكي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٤٦-	محمد بن علي " إبن طباطبا "، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية، دار صادر بيروت، ١٨٩٢م.
٤٧-	محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، اعتنى به عبد الحليم قابة، دار البلاغ للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.
٤٨-	محمد بن محمد بن محمد بن أبو بكر ابن عاصم الغرناطي، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٩م.
٤٩-	محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، الأجزاء (٢،٦،٧،٨،٩،١١،١)، دار صادر، ١٩٥٦م
٥٠-	محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٩م.
٥١-	محمد مرتضى الحسيني الزبير، تاج العروس، تحقيق ابراهيم الترزي، الأجزاء (٣،١٠)، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٢-١٩٧٢م.
٥٢-	موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الأول، المطبعة الوهيبية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٥٣-	مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، الأجزاء (٣،١)، مكتبة المثني، بغداد، ١٨٧١م.

ب. كتب المعاجم والبلدان:

١-	أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب (ابن النديم) الفهرست، تحقيق، رضا تجدد، بيروت دار المسيرة، ١٩٨٨م.
٢-	شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي (ياقوت الحموي)، معجم البلدان، المجلدات (٢،١)، دار صادر بيروت، ١٩٨٦م.

ج. الدوريات:

١-	أبو الأعلى المودودي، حقوق أهل الذمة، كتاب المختار، نشر في مجلة ترجمات القرآن، ١٩٤٨م.
٢-	أمير البيان العربي وفالح نصيف، موسوعة شعراء العربية، المجد الثالث (شعراء العصر الأموي الجزء الأول والجزء الثاني)، مؤسسة النور الثقافية، (د.ت).

ثانيًا المراجع:

أ. الكتب:

١-	ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر الأموي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢-	أبو الوفا الغنيمي الثفتازاني، علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة ١٩٧٩م.
٣-	أبوزيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤١٧هـ.
٤-	اجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه (محمد يوسف، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الخالق)، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية.
٥-	إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٤م.
٦-	أحمد أمين، فجر الإسلام، بحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م .
٧-	أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).

٨-	أحمد زكي صفوت: أ- جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ. ب- جمهرة خطب العرب، الجزء الثالث، المكتبة العلمية، بيروت(د.ت).
٩-	أحمد سيد حامد البرجل، ألف معلومة عن اللغة العربية وآدابها، دار الفضيلة، (د.ت).
١٠-	أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشر، ١٩٦٠م.
١١-	أحمد عوض أبو الشباب، الخوارج (تاريخهم، فرقهم، وعقائدها)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
١٢-	أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابلسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥م.
١٣-	أحمد محمد الحوفي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٤-	اسكندر أغا ابكاريوس، نهاية الأدب في أخبار العرب، مطبعة الوطنية، بيروت، ١٨٥٢م.
١٥-	اسماعيل سامعي، علم التاريخ، دراسة في المناهج والمصادر، مركز الكتاب الأكاديمي ٢٠٠٦م.
١٦-	اسمة العظم، المجتمع في العصر الأموي، دار العلم للملاين، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٦م.
١٧-	أمير أسعد خير الله، الطب العربي، المطبعة الأميريكانية، بيروت ١٩٤٦م.
١٨-	أمين أبو لاوي، أصول التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي الإمام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٩-	ايمان علي النور، دور الموالي في سقوط الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م) منشورات جامعة قاريونس (بنغازي - ليبيا)، الطبعة الأولي، ٢٠٠٨م.
٢٠-	باقر شريف القرشي، حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الجزء الثاني، دار البلاغة الطبعة الأولي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٢١-	بثينه بن حسين،الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،

	الطبعة الأولي، (د.ت).
٢٢-	بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ٢٠٠٢م.
٢٣-	توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، دار الكتب، ١٩٧٠م.
٢٤-	جرجي زيدان: أ- تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م. ب- تاريخ التمدن الإسلامي، الأجزاء (٢،٥)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، (د.ت). ت- العرب قبل الإسلام، مطبعة مصر، سنة ١٩٩٢م.
٢٥-	حربي عباس، حسان حلاق، العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر١٩٩٥م.
٢٦-	حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الأول، دار الجيل بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤١٦هـ-١٩٩٢م.
٢٧-	حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، الشركة المتحدة، القاهرة، ١٩٧٨م.
٢٨-	حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢٩-	حسين عطوان، الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولي، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣٠-	حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.
٣١-	خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبيلة من المنظور الإسلامي، توزيع مؤسسة الجريسي، (د.ت).
٣٢-	خالد مصطفى الدمج، النخبة الكافية في العروض والقافية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية.
٣٣-	خالد يوسف، الهجاء عند جرير والفرزدق، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت لبنان، (د.ت).
٣٤-	خليل داوود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة ، لبنان.
٣٥-	سعد مرسى أحمد، سعيد إسماعيل علي، تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠م.

٣٦-	سعيد إسماعيل علي، التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.
٣٧-	سعيد اسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م.
٣٨-	السيد عبد العزيز سالم: أ- دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية)، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية،١٩٨٢م. ب- محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
٣٩-	سيد غيث، الشرح الكافي في علمي العروض والقوافي، اطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، (د.ت).
٤٠-	السير توماس. و. أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمه إلى العربية (د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين)، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولي، ١٩٤٧م.
٤١-	شحادة على الناطور، التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الإسلام، دار الكندي، ١٩٩٧م.
٤٢-	شوقي ضيف: أ- التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٥٩م. ب- الشعر وطوابعه على مر العصور، دار المعارف، الطبعة الثانية، (د.ت). ج- تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصدر، الطبعة السابعة، (د.ت).
٤٣-	الشيخ الأمين محمد عوض الله، تاريخ الدولة الأموية، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٤٤-	الشيخ محمد الخضري، الدولة الأموية،دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٤٥-	صلاح طهبوب، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر الأموي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
٤٦-	عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٤٧-	عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس، ١٩٩٥م.
٤٨-	عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السُّنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا ١٩٨٤م.
٤٩-	عبد الرحمن النعلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.
٥٠-	عبد العزيز قاسم محمد الطائي، مباديء اللغة العربية (قواعد أحكام علمي النحو والصرف)، دار الكتب

	العلمية بيروت، لبنان، (د.ت).
٥١-	عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مكتبة فهد الوطنية، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ.
٥٢-	عبد الله بن أحمد، التقويم التربوي للمتعلمين لدى العلماء المسلمين، مكتبة الرشد مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٥٣-	عبد الله بن سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٥٤-	عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٥٥-	عبد الله فياض، صدر الإسلام والدولة الأموية، مطبعة الارشاد (بغداد)، الطبعة الأولى،١٩٦٧م.
٥٦-	عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، ١٩٩٦م.
٥٧-	على عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية ((مدخل و دارسة))، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
٥٨-	علي إبراهيم حسن: أ- التاريخ الإسلامي العام: الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية- مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، (د.ت). ب- نساء لهنَّ نصيب من التاريخ، مكتبة النهضة القاهرة، الطبعة الثانية،١٩٦٣م.
٥٩-	علي الخطيب، دراسات أدبية في عصر بني أمية، دار المعارف.
٦٠-	علي بن ابراهيم، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٦١-	علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.
٦٢-	علي محمد الصلابي:

	أ- الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار- الجزء الاول، دار اليقين للنشر والتوزيع مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ب- عمر بن عبد العزيز(معالم التجديد والإصلاح الراشدي على مناهج النبوة) دار التوزيع والنشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٦٣-	عماد علي عبد السميع حسين، الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (د.ت).
٦٤-	عمر بن سليمان العقيلي، تاريخ الدولة الأموية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٦٥-	عمر فروج، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم، بيروت، ١٣٩٠هـ.
٦٦-	عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٦٧-	فالح الربيعي، تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٦٨-	فالح نصيف الحجية الكيلاني، الموجز في الشعر العربي، الجزء الأول، مركز النور، عمان، الأردن.
٦٩-	قصي الحسني، تجديد الدولة العربية زمن الأمويين، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولي، ١٩٩٧م.
٧٠-	كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الرابع، (حققه عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب)، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٧٧م.
٧١-	لطيفة البكادي، حركة الخوارج (نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي ٣٧-١٢٣هـ)، الجزء الثالث، دار الطباعة بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٧٢-	محمد الحسيني عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م.
٧٣-	محمد الطيب النجار، الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.
٧٤-	محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام في شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، الجزء الثالث، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٧٥-	محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، دار المسرة للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٧٦-	محمد حسين أل ياسين، المباديء الأساسية في طرق التدريس العامة، دار القلم، بيروت.
٧٧-	محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخديجي الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٧٨-	محمد صالح بن علي جان، المرشد النفيس إلى أسلم طرق التدريس، دار الطرفين، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٧٩-	محمد ضيف الله بطانية، تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٨٠-	محمد عباد الجابري، العقل السياسي العربي ومحدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.
٨١-	محمد علي، الإسلام والحضارة العربية، الجزء الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م.
٨٢-	محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول دار الشرق بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٣هـ.
٨٣-	محمد كرد علي، خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٣هـ.
٨٤-	محمد منير مرسى، أصول التربية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٨٥-	محمد موسى أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٥ هـ.
٨٦-	محمد يسري، علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة (المبادئ والمقدمات)، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٨٧-	محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد الأموي، الجزء الرابع، المكتبة الإسلامية، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٨٨-	محي الدين بن عبد حسين عرار، الدولة الأموية نشأتها وأسباب سقوطها، دار الإعصار العلمي، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
٨٩-	مصطفي حلمي، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٩٠-	مصطفي محمد حسين، دراسات في تطور فن النسيج والطباعة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م.
٩١-	مقداد محمود، الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.

٩٢-	مكي أقلانية، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الأولى، مطبعة طوب بريس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٩٣-	ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
٩٤-	ناصر بن عبد الله بن علي العفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، الجزء الأول، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٩٥-	نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى والقديم، الجزء السادس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية،١٩٧٠م.
٩٦-	نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، المطبعة المدنية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ.
٩٧-	نهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي والتدريب الفاعل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
٩٨-	هدى التميمي، الأدب العربي عبر العصور، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
٩٩-	هشام (جعيط)، نشأة المدينة العربية الإسلامية الكوفية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
١٠٠-	وجيه قانصو، الشيعة الإمامية بين النص والتاريخ، دار الفارابي، بيروت، (د.ت).
١٠١-	يحي وهيب الجبوري، مجالس العلماء والأدباء والخلفاء (مرآة للحضارة العربية الإسلامية)، دار العرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٠٢-	يونس هلال منديل، أدب زُهَّاد التابعين موضوعاته وفنونه، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

ب. الرسائل الجامعية:

١-	جليلة عبد الله حسين، نظم الحكم والإدارة في عهد عبد الملك بن مروان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، ٢٠١٥م.
٢-	حسين هادى محمد العواجي، النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٩٣م.
٣-	سعد سعيد جابر الرفاعي، مصادر وأساليب تمويل التعليم في العصور الإسلامية الأولى، رسالة ماجستير

	غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى مكة المكرمة،١٤٢٢هـ.
٤-	سمية عبد الماجد بشير، مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية في العراق إبان الدولة الأموية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة امدرمان الاسلامية،١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٥-	صالحة بنت جاي بن يحي السفياني، التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.
٦-	عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف، الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢١هـ.
٧-	عبد الرحيم عبد الله محمد النقبي، التعليم في العصر الأموي(٤١ – ١٣٢هـ/٦٦١ – ٧٤٩م) رسالة ماجستير، (جامعة الشارقة)، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.
٨-	عبد العزيز علوان سعيد عبده، أثر الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٩-	لعاني غانية، بلاغة النثر في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٤م.
١٠-	لؤى موفق الحاج علي، صورة المهجو في شعر النقائض، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة جرش ٢٠١٥م.
١١-	مي علي محمود حسين، الوقف كمصدر للتمويل مع التطبيق علي قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠١٤م.
١٢-	نجاة هاشمي، عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير، غير منشورة – جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٥م.
١٣-	هبه ابراهيم منصور اللبدي، الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٢م.

ج. المجلات العلمية:

١-	أبو حسام الأعظمي، الدولة الأموية والسنة النبوية، مركز سلف للبحوث والدراسات، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
٢-	أحمد فؤاد باشا، المؤسسات العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٧م.
٣-	تغريد السويل، بدرية القحطاني، نورة التميمي، التعليم في العصر الأموي، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٤م.
٤-	رحيم محمد، مجالس الشعر والغناء عند الولاة والعمال العرب خلال العصر الأموي، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، هيئة التحرير، المجلد الثامن، العدد الخامس عشر، ٢٠٠٩م.
٥-	عبد الرحمن بن عبد العزيز الجربوي، الوقف والحضارة الاسلامية، مجلة البيان مكتبة مشكاة الاسلامية، العدد ٣١٢، ٢٠١٣/٦/٨م.
٦-	عبد الرحمن زكي، العربية الإسلامية، الفيصل مجلة ثقافية شهرية، مركز الملك *فيصل* للبحوث والدراسات الإسلامية، (العدد ٢٧)، ١٣٩٩هـ/أغسطس ١٩٧٩م.
٧-	عبد الستار إسماعيل عبد الرحمن، وصايا الخلفاء في العصر الأموي، مجلة التربية والعلم، جامعة الكويت، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠١١م.
٨-	محمد ثابت البلداوي، المفهوم الإسلامي للفضاء الداخلي السكني دراسة تحليلية لعينات من القصور الإسلامية، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، (المجلد السادس عشر)، العدد الثاني، جامعة الزرقاء (٢٠١٦ مايو).
٩-	محمد سيد محمد، لغة الإعلام على الخريطة اللغوية، مجلة الفيصل، العدد ١٠٦، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

د. القواميس والموسوعات:

١-	علي مولا، الموسوعة العربية، المجلد الأول، هيئة الموسوعة العربية (مكتبة الاسكندرية)، الطبعة الاولي ١٩٩٨م.
٢-	م.ت هوتسما، ت.و.أرنولد: ر. باسيت: ر. هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثلاثون، المحقق (إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، حسن حبشي، عبد الرحمن الشيخ، محمد عناني)، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٤٨٩هـ/١٩٩٨م .

هـ. الانترنت:

١-	جمانة محمد نايف الدليمي، الوصايا التربوية في العصرين الأموي والعباسي، موقع دنيا الوطن، عن طريق الانترنت الشبكة العنكبوتية ٢٠١٠م.
٢-	زينة قابوق، خصائص الشعر في العصر الأموي، ٢٢ يونيو ٢٠١٦، أكبر موقع عربي بالعالم، عن طريق الانترنت الشبكة العنكبوتية.
٣-	علا العناتي، من مظاهر التجديد في الشعر الأموي، موضوع أكبر موقع عربي بالعالم، ٧ أغسطس٢٠١٦م، عن طريق الانترنت الشبكة العنكبوتية.
٤-	محمد مهند مراد ايهم، المعتزلة، في السبت ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٧م، موقع أهل القرآن، عن طريق الإنترنت، الشبكة العنكبوتية.
٥-	ويكبيديا الموسوعة الحرة، الهجاء (شعر)، عن طريق الإنترنيت الشبكة العنكبوتية.
٦-	ويكيبيديا الموسوعة الحرة، وقف (اسلام)، عن طريق الشبكة العنكبوتية الانترنت.

ملحق رقم (١)

أسماء الخلفاء الأمويين ومدة خلافة كل منهم

ـ معاوية بن أبي سفيان	(٤١ ـ ٦٠ هـ/ ٦٦١ ـ ٦٨٠ م)
ـ يزيد الأول بن معاوية	(٦٠ ـ ٦٤ هـ/ ٦٨٠ ـ ٦٨٣ م)
ـ معاوية الثاني بن يزيد	(٦٤ هـ/ ٦٨٤ م)
ـ مروان بن الحكم	(٦٤ ـ ٦٥ هـ/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥ م)
ـ عبد الملك بن مروان	(٦٥ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٥ـ ٧٠٥ م)
ـ الوليد الأول بن عبد الملك	(٨٦ ـ ٩٦ هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥ م)
ـ سليمان بن عبد الملك	(٩٦ ـ ٩٩ هـ/ ٧١٥ ـ ٧١٧ م)
ـ عمر بن عبد العزيز	(٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧٢٠ م)
يزيد الثاني بن عبد الملك	(١٠١ ـ ١٠٥ هـ/ ٧٢٠ ـ ٧٢٤ م)
ـ هشام بن عبد الملك	(١٠٥ ـ ١٢٥ هـ/ ٧٢٤ ـ ٧٤٣ م)
ـ الوليد الثاني بن يزيد	(١٢٥ ـ ١٢٦ هـ/ ٧٤٣ ـ ٧٤٤ م)
ـ يزيد الثالث بن الوليد الأول	(١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م)
ـ مروان بن محمد	(١٢٧ ـ ١٣٢ هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٥٠ م)

المرجع : محمد سهيل طقوش ، أسماء الخلفاء الأمويين و مدة خلافة الحكم ،ص: ٢٠٧

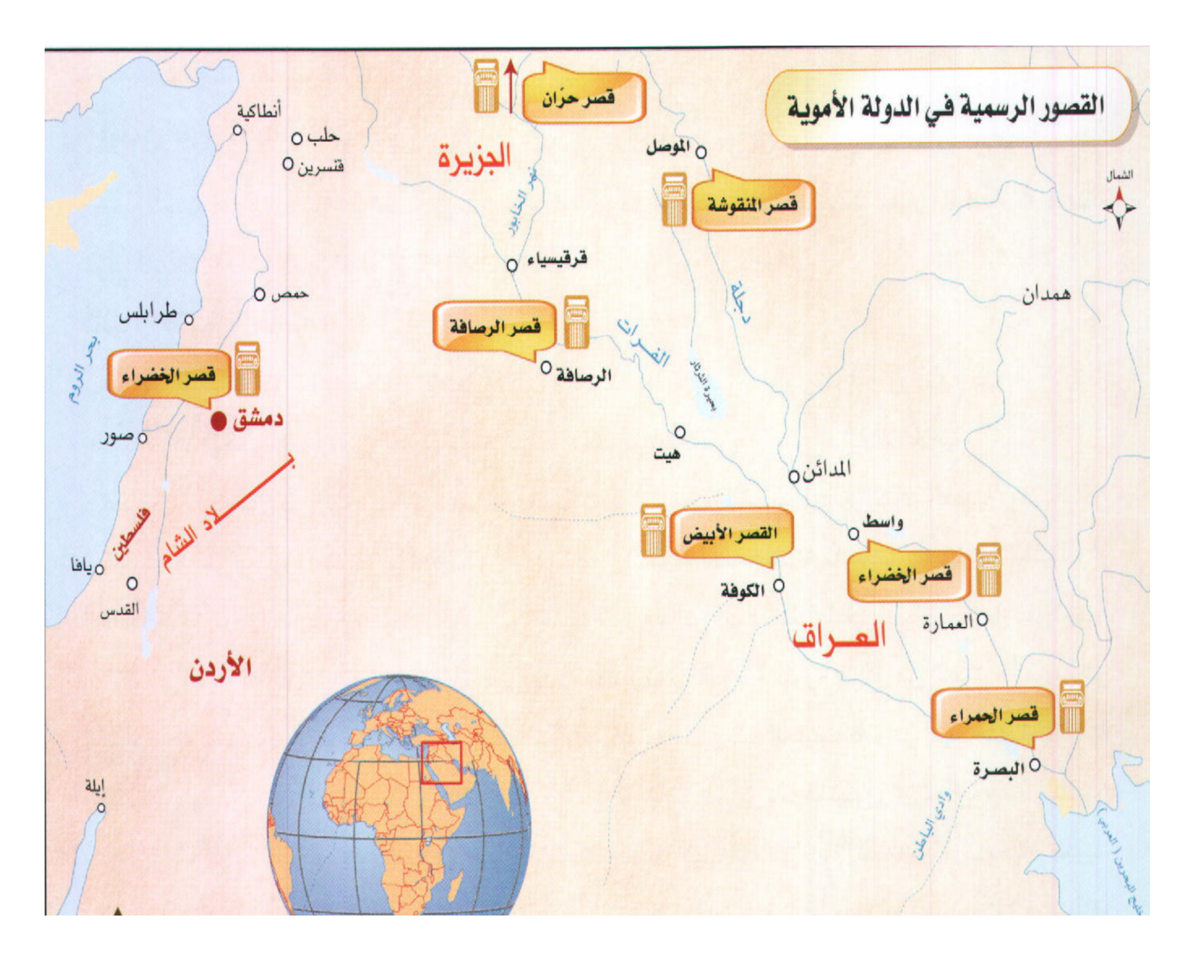
ملحق رقم (٢)

خريطة الدولة الأموية



المرجع : موقع المرسال عن طريقة الانترنت الشبكة العنكبوتية ، خريطة الدولة الأموية .

ملحق رقم (٣)



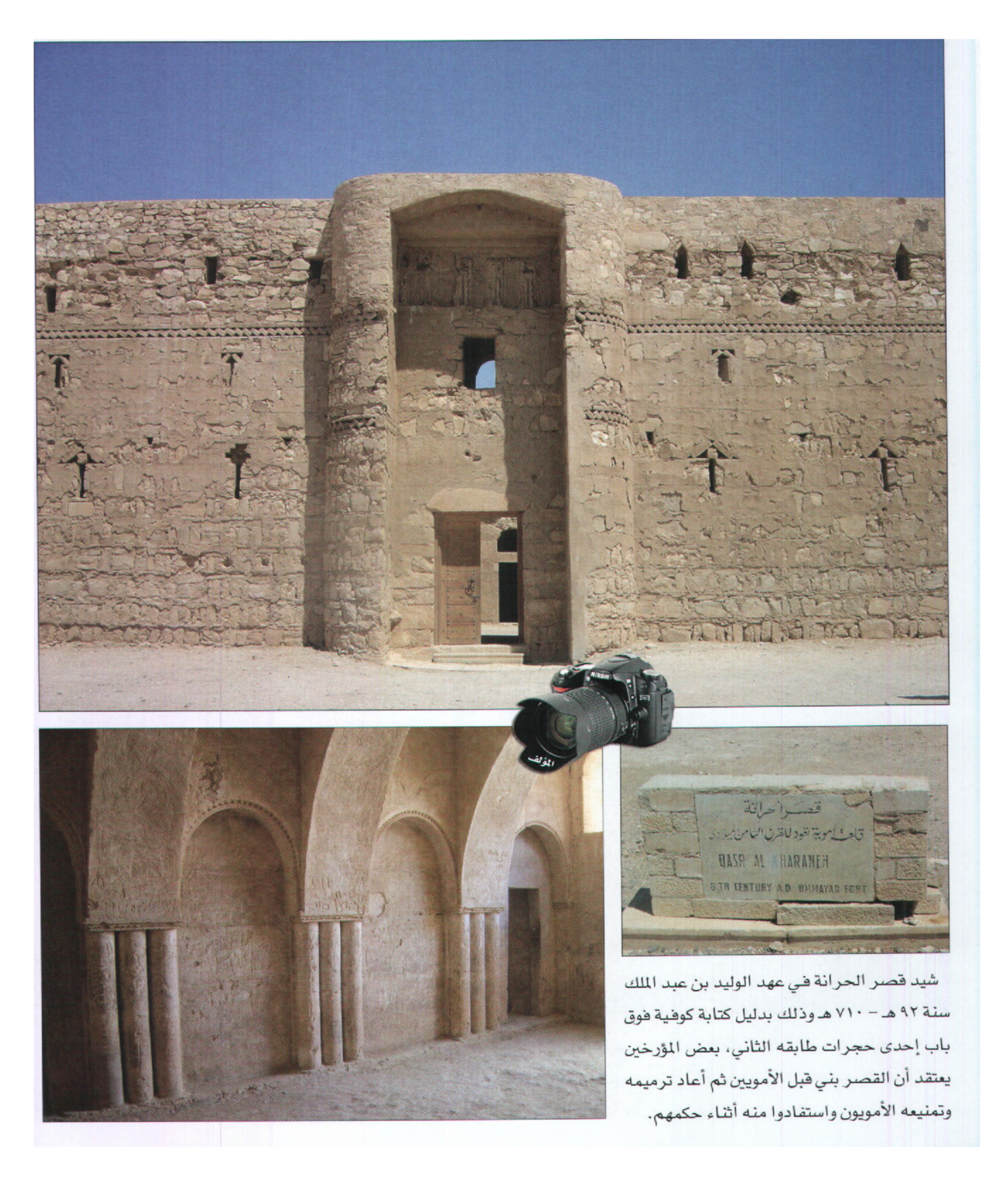
المرجع : سامي بن عبد الله بن أحمد، خريطة للقصور الرسمية في الدولة الأموية، ص: ٣٠١ .

ملحق رقم (٤)



المرجع: سامي بن عبد الله بن أحمد، خريطة توضح القصور الخاصة للخلفاء الأمويين، ص: ٣٠٣

ملحق رقم (٥)



المرجع : سامي بن عبد الله بن أحمد، قصر الحرانة في عهد الوليد بن عبدالملك ، ص : ٣٠٥ .

ملحق رقم (٦)



المرجع : سامي بن عبد الله بن أحمد ، نموذج للباس الجندي في العصر الأموي ، ص: ٣٣٥